# الكشف

## عن

# شرف أهل البيت الكرام

## لأفضل الرسل والأنام ﷺ


تأليف العلّامة

محيي الدِّين محمد بن سليمان بن سعد الرُّوميّ الحنفيّ

المعروف بالكافيجي

المتوفّى سنة (٨٧٩هـ)

رحمه الله تعالى



تحقيق

د. أحمد فتحي البشير | حسام صلاح الضرغامي





دار الفتح

للدراسات والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّه المصطفي مَن شاء من الناس رُسلًا لهداية البَشر، والصَّلاة والسَّلام الأتمَّان الأكملان على مَن كان يعفو ويصفح على مَن عليهم قد قَدَر، صلى اللَّه عليه وعلى أهل بيته المطهَّرِين من الرِّجس، الصَّابرين على ما أصابهم في هذه الدُّنيا مِن كَدَر، وأزواجِه أمَّهات المؤمنين المُنزَّهات عن قول مَن خاصَم وفَجَر، وعلى أصحابه المنتخَبين الَّذين حمِد اللَّه لهم ما قدَّموا وشَكَر، والتَّابعين وأئمَّة الدِّين أُولي الألباب خير مَن نظَر في الآيات واعتَبَر، وتجاوزْ عنَّا واعفُ يا أكرم مَن غَفَر.

أمَّا بعد؛ فإنَّ من أنماط التَّصنيف عند أهل العلم ما يُعرَف بالتَّصنيف في المناقب أو الفضائل، وهي تعُمُّ فضائل الأشخاص والأماكن والأوقات والكُتب والمصنَّفات، وإنَّما صنَّف أهل العلم في ذلك؛ لِمَا ينبني عليه من عملٍ أو اعتقاد.

وقد كثُرت هذه المصنَّفات وتنوَّعت؛ فبعضُهم وضع مصنَّفًا مفرَدًا في علامات نبوَّته ومعجزاته وفضائله وشمائله ﷺ، وبعضُهم وضعه في فضائل أهل البيت مجتمعِين، وبعضُهم صنَّف في فضائل أحد أفراد أهل البيت، وبعضُ الصَّحابة أُفردت فضائلهم بالتَّصنيف، لا سيَّما الخلفاء الأربعة، وبعضُهم صنَّف في فضائل العشرة المبشَّرين بالجنَّة.

وبعضهم صنَّف في فضائل بعض أعلام التَّابعين، وبعضُهم في مناقب الأئمَّة المتبوعين أصحاب المذاهب الأربعة المرضيَّة، وكذلك أُفردت مناقب كلِّ واحد منهم بمصنَّفات.

وكذلك وُضعت المصنَّفات في فضائل بعض الأماكن؛ كمكَّة والمدينة والشَّام ومصر، وكذلك وُضعت في فضائل الشُّهور؛ كفضل شهر رمضان، ووُضعت أيضًا في فضائل الأيَّام؛ كيوم عرفة.

وكلُّ صِنف من هذه الكتب صنَّف فيه كثيرون؛ بين مختصِر ومتوسِّط ومُطوِّل.

لكن كثرة هذه المصنَّفات وتشعُّبها ربَّما فات معها الغرض والمقصد من هذه المصنَّفات، لا سيَّما مع مبتدئ في العِلم أو متوسِّط أو عاميٍّ يُستحَب في حقِّه معرفة فضائل أعلام أُمَّته ومناقبهم الَّذين قاموا بكتاب اللَّه عز وجل وبسُنَّته ﷺ؛ فنفوا عنهما تحريفَ الغالين وانتحالَ المُبطِلين وتأويلَ الجاهلين؛ فحفظ اللَّه دِينه بهم.

فكان من الحَسَن المفيد أن تُجمَع فضائل كلِّ هؤلاء الأعلام ومناقبهم على وجه الاختصار، بما نستطيع أن نطلِق عليه: القَدْر الَّذي يُستحَبُّ للمُسلِم أن يعرفه من مناقب هؤلاء الأعلام وفضائلهم.

وممَّن أسهَم في هذا وقام بالتَّصنيف فيه العلَّامةُ المتفنِّن أستاذ الأستاذين محيي الدِّين الكافِيَجي؛ فقد ألَّف كتابه هذا في ذِكر فضائل أهل البيت الكرام ومشاهير الأعلام من الصَّحابة والتَّابعين والأئمَّة المتبوعين ومناقبهم، على وجه الاختصار غير المُخلِّ بالغرض والمقصد من ذِكر هذه الفضائل والمناقب.

فقد تكلَّم الكافِيَجي في كتابه هذا في بيان علامات نبوَّته ﷺ ومعجزاته، وفضائله وشمائله وخُلُقه، وبيان شرف أهل البيت عليهم السلام، وفي ذِكر

فضائل أزواجه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وفضائل الخلفاء الرَّاشدين الأربعة، وباقي العشرة المبشَّرين بالجنَّة، وكذلك بيَّن فضائل بعض التَّابعين، ثُمَّ فضائل الأئمَّة الأربعة، وفضائل الكعبة المشرَّفة ومكَّة والمدينة ومصر والشَّام واليمن، ثمَّ ختم الكتاب بالكلام عن فضل الولاية والملوك والسَّلاطين، وأدرَج في ذلك الكلام عن بعض الآداب المتعلِّقة بسلامة البَدَن، وأكل الطَّيِّبات، ونحو ذلك.

وقد بيَّنَّا في كلامنا في «المدخل إلى الكتاب» سببَ اقتصار المؤلِّف في عنوان كتابه على ذِكر شرف أهل البيت، وإن كان كلامه ليس بمقتصِر عليهم عليهم السلام.

ولهذا لمَّا وقفنا على هذا الكتاب، وظهرت لنا أهمِّيَّته من هذه الجهة الَّتي بيَّنَّاها، وكان للكتاب نسخة وحيدة - رأينا العمل عليه وإخراجه ضمن سلسلة نعمل عليها مع عملنا على «مجموع رسائل الكافِيَجي»، وهي إخراج مجموعة من كتب الكافِيَجي غير الدَّاخلة في مجموع رسائله.

ولم نَألُ - يعلم اللَّه - جهدًا في سبيل إخراج هذا الكتاب في صورة جيِّدة خالية قَدْر الطَّاقة من التَّصحيف والتَّحريف والسَّقط، لا سيَّما أنَّ الكتاب ليس له إلَّا نسخة وحيدة، ويعلم كلُّ مشتغل بتحقيق النُّصوص ما يحفُّ الاعتماد على نسخة وحيدة من بعض مخاطر في إخراج النُّصوص وتحقيقها!

واللَّهَ نسأل ألَّا يحرمنا أجر ما بذلناه، وأن ينفع بالكتاب ويكتب له القبول، إنَّه تعالى خير مسئول.

المحقِّقان

# التَّعريف بالعلَّامة محيي الدِّين الكافِيَجي
# رحمة اللَّه عليه

- اسمُه، ونسبُه، وكنيتُه، ولقبُه.
- مولدُه.
- نشأتُه، وتحصيلُه للعلم، ورحلتُه.
- شيوخُه، وتلاميذُه.
- مكانتُه العلميَّة، وصفاتُه، وثناءُ العلماء عليه.
- مصنَّفاتُه.
- وفاتُه.

# اسمُه ونسبُه وكنيتُه ولقبُه

ـ هو[1]: محمَّد بن سليمان بن سعد بن مسعود، محيي الدِّين، أبو عبد اللَّه

---

(١) من مصادر ترجمته (مرتَّبة حسب وفيات مؤلِّفيها):
ـ «المنهل الصَّافي والمستوفى بعد الوافي» لابن تغري بردي (ت.٨٧٤هـ) (١٠/ ٦٦، ٦٧).
ـ «الدَّليل الشَّافي على المنهل الصَّافي» له أيضًا (٢/ ٦٢٤).
ـ «دستور الأعلام بمعارف الأعلام» لابن عزم التَّميميِّ (ت.٨٩١هـ) (ل/ ١٢٢أ) من النُّسخة المحفوظة بمكتبة «الحرم المكِّيِّ» برقم: (٢٨ تاريخ).
ـ «الضَّوء اللَّامع لأهل القرن التَّاسع» للسَّخاويِّ (ت.٩٠٢هـ) (٧/ ٢٥٩-٢٦١).
ـ «بغية الوعاة في طبقات اللُّغويِّين والنُّحاة» للسُّيوطيِّ (ت.٩١١هـ) (١/ ١١٧-١١٩).
ـ «حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة» له أيضًا (١/ ٥٤٩، ٥٥٠).
ـ «المنجم في المعجم» له أيضًا (ص١٨٣-١٨٦).
ـ «نيل الأمل في ذيل الدُّول» للملَطيِّ (ت.٩٢٠هـ) (٧/ ٩٨، ١٠٤).
ـ «بدائع الزُّهور في وقائع الدُّهور» لمحمَّد بن إياس (ت.٩٣٠هـ تقريبًا) (٣/ ٩٤، ٩٥).
ـ «الشَّقائق النُّعمانيَّة في علماء الدَّولة العثمانيَّة» لطاش كبرى زاده (ت.٩٦٨هـ) (ص٤٠، ٤١).
ـ «مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة» له أيضًا (٢/ ١١١، ١١٢).
ـ «حدائق أحداق الأزهار ومصابيح أنوار الأنوار» لابن الحنبليِّ (ت.٩٧١هـ) (ص٥٩).
ـ «كتائب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النُّعمان المختار» لمحمود بن سليمان الكفويِّ (ت.٩٩٠هـ تقريبًا) (ل٢٥٨أ) من نسخة «مكتبة عاطف أفندي» بتركيا، برقم: (١٨٠٧).
ـ «الطَّبقات السَّنيَّة في تراجم الحنفيَّة» لتقيِّ الدِّين الغزِّيِّ (ت.١٠١٠هـ) (ل٤٠٠أ-٤٠١أ) من النُّسخة المحفوظة بـ«المكتبة السُّليمانيَّة» بتركيا، برقم: (٨٢٩).
ـ «سلَّم الوصول إلى طبقات الفحول» لحاجِّي خليفة (ت.١٠٦٧هـ) (٣/ ١٤٦، ١٤٧).
ـ «شذرات الذَّهب في أخبار مَن ذهب» (ت.١٠٨٩هـ) لابن العماد (٩/ ٤٨٨-٤٩٠).
ـ «طبقات المفسِّرين» للأدنه وي (ت.١٠٩٥هـ تقريبًا) (ص٣٤٣). =

= - «دستور الإعلام بمعارف الأعلام» لإبراهيم بن سليمان الجنينيّ (ت.١١٠٨هـ) (ل/ ١٦٤ب) من النُّسخة المحفوظة بمكتبة «جار اللَّه» بتركيا، برقم: (١٦٠٥).

- «ديوان الإسلام» لشمس الدِّين الغزِّيّ (ت.١١٦٧هـ) (٤/ ٦٣، ٦٤).

- «البدر الطَّالع بمحاسن من بعد القرن السَّابع» للشَّوكانيّ (ت.١٢٥٠هـ) (٢/ ١٧١، ١٧٣).

- «الفوائد البهيَّة في تراجم الحنفيَّة» للَّكنويّ (ت.١٣٠٤هـ) (ص١٦٩، ١٧٠).

- «روضات الجنَّات في أحوال العلماء والسَّادات» للخوانساريّ (ت.١٣١٣هـ) (٨/ ١١٥، ١١٦).

- «هديَّة العارفين: أسماء المؤلِّفين وآثار المصنِّفين» لإسماعيل البغداديّ (ت.١٣٣٩هـ) (٢/ ٢٠٨).

- «نشأة النَّحو وتاريخ أشهر النُّحاة» لمحمَّد الطَّنطاويّ (ت. بعد ١٣٥٧هـ) (ص٢٠٣، ٢٠٤).

- «تاريخ الأدب العربيّ» لكارل بروكلمان (ت.١٩٥٦م/ ١٣٧٥هـ) (٦/ ٤٦٦).

- «الأعلام» للزِّركليّ (ت.١٣٩٦هـ) (٦/ ١٥٠، ١٥١).

- «معجم المؤلِّفين» لعمر كحَالة (ت.١٤٠٨هـ) (١٠/ ٥١، ٥٢).

- «معجم المفسِّرين من صدر الإسلام وحتَّى العصر الحاضر» لعادل نويهض (ت.١٤١٧هـ) (٢/ ٥٣٥، ٥٣٦).

- «الموسوعة الميسَّرة في تراجم أئمَّة التَّفسير والإقراء والنَّحو واللُّغة» لمجموعة من الباحثين (٣/ ٢١٠٩، ٢١١٠).

- «معجم تاريخ التُّراث الإسلاميّ في مكتبات العالم» لعليّ الرِّضا قرَّه بلُوط، وأحمد طوران قرَّه بلُوط (٤/ ٢٧٥٧، ٢٧٥٨).

وقد حاولنا استقراء المصادر الَّتي يغلب على الظَّنِّ أنَّها ترجمتْ للكافِيَجي رحمه اللَّه، لا سيَّما المصنَّفة منها في تراجم السَّادة الحنفيَّة وطبقاتهم؛ كـ«الغرف العليَّة في تراجم متأخِّري الحنفيَّة» لابن طولون (ت.٩٥٣هـ)، و«طبقات الحنفيَّة» للحنَّائيّ (ت.٩٧٩هـ)، و«الأثمار الجَنيَّة في أسماء الحنفيَّة» لملَّا عليّ القاري (ت.١٠١٤هـ)، وكذلك كتب التَّراجم الأخرى؛ كـ«عنوان الزَّمان بتراجم الشُّيوخ والأقران» للبقاعيّ (ت.٨٨٥هـ)، و«عنوان العنوان» له أيضًا، =

............................................................

= فاطَّلعنا على هذه المصادر كلِّها، المطبوع منها والمخطوط، إلَّا أنَّا لم نقف له في أيٍّ منها على ترجمة مفردة.

هذا، وقد تناولتْ بعض الدِّراسات المعاصرة حياة ومؤلَّفات العلَّامة الكافِيَجي رحمه اللَّه بالبحث، وبعضها تناول جانبًا من علومه بالدِّراسة، ومن أهمِّ هذه الدِّراسات:

- «عِلم التَّأريخ عند المسلمين»، تأليف: فرانز روزنتال، ترجمة: د. صالح أحمد العليّ، مؤسَّسة الرِّسالة - بيروت، ط: ٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، (٢/ ٣١٧) وما بعدها.
- «الكافِيَجي: حياته ومؤلفاته»، إعداد: د. محمود الفجَّال، «مجلَّة عالم الكتب»، المجلَّد: ١١، العدد: ٣، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- «منهج البحث التَّاريخيِّ عند الكافِيَجي في رسالته: المختصَر في علم التَّاريخ»، إعداد: أحمد إلياس حسين، «مجلَّة كلِّيَّة التَّربية» - جامعة الخرطوم، العدد: ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- «المصطلح في علوم القرآن بين الكافِيَجي والسُّيوطيِّ - دراسة مقارنة»، إعداد: د. ناصر بن محمَّد المطروديّ، «مجلَّة جامعة أمِّ القرى»، العدد: ٥٤، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- «الكافِيَجي: مؤرِّخ أهمله التَّاريخ»، إعداد: يسري عبد الغنيِّ عبد اللَّه، «دوريَّة كان التَّاريخيَّة»، العدد: ٢١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- «جهود الكافِيَجي في علوم القرآن وقواعد التَّفسير - دراسة نظريَّة وتطبيقيَّة على كتابه: التَّيسير في قواعد علم التَّفسير»، إعداد: صادق سيمن، الجامعة الأردنيَّة، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.
- «العلَّامة محيي الدِّين الكافِيَجي: حياته ومصنَّفاته»، تأليف د. عبد الواحد جهداني، ومعه تحقيق ثلاث رسائل للكافِيَجي، وهو مطبوع بدار الكتب العلميَّة! ط١: ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.
- مقدِّمة د. هشام بن محمَّد السَّعيد لكتاب: «الوجيز النِّظام في إظهار موارد الأحكام»، وهو منشور بـ«مجلَّة الجمعيَّة الفقهيَّة السُّعوديَّة»، العدد: ٢٥، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- مقدِّمة الباحث: محمَّد عدنان عبد الرَّحمن لكتاب: «الكشف عن شرف أهل البيت الكرام لأفضل الرُّسل والأنام»، وهي رسالته للماجستير من جامعة «أمِّ درمان» بجهوريَّة السُّودان، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م؛ كما سيأتي.

الرُّوميُّ، البَرغَميُّ(١)، ثمَّ المصريُّ، الحنفيُّ، ويُعرف بالكافِيَجي(٢)(٣).



---

= ـ «عِلم التَّاريخ عند الكافِيَجي: مقاربة إبستمولوجيَّة»، إعداد: ميلود بلعالية دومة، «مجلَّة الإحياء»، كلِّيَّة العلوم الإسلاميَّة، جامعة باتنة ١ ـ الجزائر، العدد: ٢٠، ١٣٣٨هـ ـ ٢٠١٧م.

إلى غير ذلك، وقد استفدتُ من أعمالهم جميعًا، فجزاهم اللَّه خير الجزاء.

(١) أو: «البَرغَمويُّ»؛ نسبة إلى «بَرغَمَهْ ـ Berghama»؛ مدينة في تركيا الآسيويَّة (الأناضول).

راجع: «سلَّم الوصول إلى طبقات الفحول» (٤/ ٢٤٤)، و«المعجم الجغرافيّ للإمبراطوريَّة العثمانيَّة» لموستراس (ص١٥٣).

وقد تصحَّفت في كثير من المصادر إلى «البرعميّ» بالمهمَلة.

(٢) بكسر الفاء وفتح التَّحتيَّة، قال السُّيوطيُّ: «وحرَّف مَن سكَّنَها» يعني الياء. ويُقال فيها أيضًا: «الكافِياجي».

وهي نسبة إلى «كافية ابن الحاجب»؛ نُسب إليها لكثرة اشتغاله بها قراءةً وإقراءً.

وأصله: «الكافية چي»؛ أي: صاحب الكافية. و«چي» ـ بجيم عجميَّة مكسورة وياء ساكنة ـ بمعنى: صاحب، في لغة الرُّوم والتُّرك.

راجع أيضًا: «لبّ اللُّباب» للسُّيوطيّ (ص٢١٨)، و«الطِّراز الأوَّل» لابن معصوم (٤/ ١٩٦).

(٣) وزاد بعض الباحثين في نسبته: «المحيويّ»؛ اغترارًا بما في «الضَّوء اللَّامع»، والصَّواب أنَّها اختصار للقب: «محيي الدِّين»، وقد نصَّ السَّخاويُّ في مقدِّمة الكتاب (١/ ٥، ٦) على أنَّه سيقتصر في مثل هذه الألقاب (المركَّبة) على شطرها الأوَّل، وعدم الإفصاح بالمعطوف عليه؛ للعِلم به، وخشية التَّطويل.

وممَّا ينبغي التَّنبيه عليه أيضًا: أنَّ اسمه ورد في بعض المصادر هكذا: «محمَّد بن سليمان بن سعيد»، وهو تصحيف، والصَّواب أنَّه: «محمَّد بن سليمان بن سعد» كما أسلَفْنا.

# مولدُه

ـ وُلد بـ«ككجهْ كِي»[١] من بلاد صَرُوخان[٢][٣] من ديار ابن عثمان الرُّوم، وذلك سنة ٧٨٨[٤]، ويقال: ٨٠١هـ[٥].



(١) وذكرها روزنثال باسم: «كوك جاكي». «عِلم التَّأريخ عند المسلمين» (٢/ ٣١٨).

(٢) أو «صارُوخان، أو سارُوخان ـ Sarukhan»، وهو اسم إمارة أو لواء في ولاية «آيدين» في تركيا الآسيويَّة (الأناضول)، بالقرب من مدينة «أزمير»، مركزها (عاصمتها) مدينة «مغنيسا» أو: «مانيسا»، وتُنسب هذه الإمارة إلى رجل يدعى «صارُوخان» (ت.٧٤٥هـ)، وكان رئيس قبيلة تركمانيَّة، والقائد العسكريَّ لدى سلطان سلاجقة الرُّوم، وهو غير «صارُوخان الخوارزميِّ» الَّذي ترجمه الذَّهبيُّ في «تاريخ الإسلام» (١٤/ ٤٤٣)، وذكر أنَّه مات سنة ٦٤٣هـ.
راجع: «رحلة ابن بطُّوطة» (٢/ ١٩٣) ت: التَّازي، مع حاشية المحقِّق، و«المعجم الجغرافيّ للإمبراطوريَّة العثمانيَّة» (ص٣٢٥، ٤٦٦)، والموسوعة الحرَّة «ويكيبيديا».

(٣) أمَّا ما ذكره إسماعيل باشا في «هديَّة العارفين» (٢/ ٢٠٨) من أنَّ الكافِيَجي مصريُّ المولد؛ فلا أساس له، ولعلَّه سَبْق قلم منه؛ فإنَّ الكافِيَجي لم يدخل الدِّيار المصريَّة إلَّا بُعيد سنة ٨٣٠هـ، كما ذكر السَّخاويُّ في «الضَّوء اللَّامع» (٧/ ٢٦٠).

(٤) وهو ما جزم به تلميذه السُّيوطيُّ في «بغية الوعاة» (٧/ ٢٦٠) ـ وكان من أعلم النَّاس به ـ، وقريب منه ما ذكره السَّخاويُّ في «الضَّوء اللَّامع» (٧/ ٢٦٠) من أنَّ مولده كان قبل ٧٩٠هـ، أمَّا في «حُسن المحاضَرة» (١/ ٥٤٩) فذكر السُّيوطيُّ أنَّه: «وُلد قبل ثمان مئة تقريبًا».

(٥) كذا ذكر صاحب «المنهل الصَّافي» (١٠/ ٦٦)، وقال: «هكذا كتب لي [يعني: الكافِيَجي] بخطِّه». وغلَّط السَّخاويُّ قائله، ولعلَّ مستندَه في هذا أنَّ العلَّامة ابن فِرِشْتَه ـ وهو أحد شيوخ الكافِيَجي ـ مات سنة ٨٠١هـ؛ فكيف أخذ عنه في السَّنة الَّتي وُلد فيها؟!

## نشأتُه وتحصيلُه للعِلم ورِحلتُه

اشتغل الكافِيَجي رحمه اللَّه بالعِلم أوَّل ما بَلَغ، وجَدَّ في تحصيله، وأعانه على ذلك ما حَباه اللَّـهُ عز وجل به من جودة قريحة، وسَيَلان ذِهن، وحدَّة ذكاء، ومتانة حِفظ مشهود له بها، وقد يسَّر اللَّه عز وجل له مع ذلك عددًا من الشُّيوخ المتقنين المتفنِّنين في علوم المعقول والمنقول؛ ممَّا انعكس على شخصيَّته، وتكوينه العِلميِّ والمعرفيِّ.

وقد نال رحمه اللَّه في بلاده منزلة كبيرة في سنٍّ مبكِّرة من عمره؛ فقد تصدَّر للتَّدريس، وكانت حلقته العِلميَّة فيها من العلماء خَلْق لا يُحصَون(١).

وكانت له رحلة عظيمة في سبيل العِلم تحصيلًا وبذلًا؛ فقد رحل إلى بلاد العَجَم والتَّتر، ولقي هناك جماعة من العلماء الأجلَّاء، حصَّل منهم عِلمًا جمًّا.

وقدم الشَّام، وحَجَّ، ودخل القدس، ثمَّ قدم القاهرة بُعيد ٨٣٠هـ، وقد جاوز حينها الأربعين من عمره، هذا على القول بأنَّ مولده كان سنة ٧٨٨هـ، أمَّا على القول بأنَّ مولده كان سنة ٨٠١هـ؛ فيكون حينها فوق الثَّلاثين بقليل، وهذا شهادة أخرى على مزيد نبوغه وتميُّزه.



---

(١) راجع: «إنباء الهصر بأبناء العصر» للصَّيرفيِّ (ص٣٥٧، ٣٥٨).

# شيوخُه وتلاميذُه

* أمَّا شيوخه؛ فقد رُزق الكافِيَجي رحمه اللَّه ـ كما أسلَفْنا ـ بعدد من الشُّيوخ الَّذين لازمهم وتخرَّج بهم في علوم المعقول والمنقول، سواء في بلاده أو في أثناء رحلته إلى بلاد العَجَم والتَّتر.

ومن أشهرهم:

١ ـ العلَّامة عبد اللَّطيف بن عبد العزيز بن أمين الدِّين ابن فِرِشْتَه الكرمانيُّ، الحنفيُّ، المعروف بابن المَلِك، المتوفَّى سنة ٨٠١هـ.

٢ ـ العلَّامة برهان الدِّين أبو الحسن حَيدَر (أو حَيدَرة) بن محمَّد بن إبراهيم الخَوافيُّ، الهَرَويُّ، الشِّيرازيُّ، ثمَّ الرُّوميُّ، الحنفيُّ، المتوفَّى بعد سنة ٨٢٠هـ.

٣ ـ العلَّامة حافظ الدِّين محمَّد بن محمَّد بن شهاب الكَردَريُّ، الخوارزميُّ، الحنفيُّ، المعروف بابن البزَّازيِّ، المتوفَّى سنة ٨٢٧هـ.

٤ ـ العلَّامة شمس الدِّين محمَّد بن حمزة بن محمَّد الرُّوميُّ، الحنفيُّ، المعروف بابن الفَنَريِّ، المتوفَّى سنة ٨٣٤هـ.

٥ ـ العلَّامة عبد الواجد بن محمَّد بن محمَّد المشهديُّ، العجميُّ، ثمَّ الكُوتائيُّ (أو الكوتاهيُّ)، الحنفيُّ، المتوفَّى سنة ٨٣٨هـ[١].

---

(١) ويعدُّ الحافظ ابن حجر من جملة شيوخه كذلك؛ فقد أَذِن له في روايته عنه جميع مرويَّاته، وذلك في سنة ٨٤٢هـ، راجع: «الضَّوء اللَّامع» (٧/ ٢٦١)، وذكره السَّخاويُّ كذلك فيمن أخذ عن شيخه ابن حجر في كتاب «الجواهر والدُّرر» (٣/ ١١٤٤).

* وأمَّا تلاميذه؛ فقد رُزق كذلك بعدد جمٍّ من التَّلاميذ النُّجباء الَّذين نقلوا عِلمه وتصانيفه ونشروها بين النَّاس، وقد ذكر السَّخاويُّ أنَّ طلبتَه تقدَّمتْ في حياته وصاروا أعيان الوقت، وتزاحَموا عنده من سائر المذاهب والفنون.

فمن أشهرهم وألزَمهم له:

١ ـ الإمام العلَّامة برهان الدِّين أبو إسحاق إبراهيم بن عليٍّ بن محمَّد بن ظَهِيرة المكِّيُّ، القرشيُّ، الشَّافعيُّ، قاضي مكَّة المشرَّفة، المتوفَّى سنة ٨٩١هـ.

٢ ـ العلَّامة المؤرِّخ نور الدِّين أبو الحسن عليُّ بن داود بن إبراهيم القاهريُّ، الخطيب، الجوهريُّ، الحنفيُّ، المعروف بابن الصَّيرفيِّ، المتوفَّى سنة ٩٠٠هـ.

٣ ـ العلَّامة الحافظ شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد السَّخاويُّ، القاهريُّ، الشَّافعيُّ، نزيل الحرمين الشَّريفين، المتوفَّى سنة ٩٠٢هـ.

٤ ـ الإمام الحافظ جلال الدِّين أبو الفضل عبد الرَّحمن بن أبي بكر بن محمَّد الخُضَيريُّ، السُّيوطيُّ، الشَّافعيُّ، المتوفَّى سنة ٩١١هـ.

٥ ـ شيخ الإسلام زين الدِّين أبو يحيى زكريَّا بن محمَّد بن أحمد الأنصاريُّ، السُّنَيكيُّ، ثمَّ القاهريُّ، الأزهريُّ، الشَّافعيُّ، المتوفَّى سنة ٩٢٦هـ.

* * *

## مكانتُه العِلميَّة وصفاتُه وثناءُ العلماء عليه

تبوَّأ رحمه اللَّه منزلة كبيرة بين أهل عصره من شيوخه وأقرانه فمَن بعدهم، وقد وَلِيَ مشيخةَ عدد من المدارس العِلميَّة الرَّفيعة في ذلك العصر؛ كالمدرسة البرقوقيَّة، والمدرسة الأشرفيَّة، وكذا المدرسة الشَّيخونيَّة الَّتي وَلِيَ مشيختها بعد أن رغب عنها العلَّامة ابن الهُمام رحمه اللَّه (ت.٨٦١هـ).

وكان رحمه اللَّه متقلِّلًا من الدُّنيا جدًّا، كثير التَّعبُّد على كِبَر سنِّه، وكان يُوصف بالدِّين التَّامِّ والصِّيانة والعفَّة، وسلامة الصَّدر والحِلم على أعدائه، والكرم وإكثار الصَّدقة والإطعام، واستحضار القرآن والبكاء الكثير عند سماعه وقوَّة الاستنباط منه، والوجه البهيِّ والشَّيبة المنوَّرة، ومزيد الرَّغبة في إلقاء العِلم وتقريره، وكذا في إطرائه وتعظيمه، ولا يَرُوج عنده غالبًا إلَّا من يَسلُك معه ذلك، وكان رحمه اللَّه إليه النِّهاية في حُسن العِشرة والممازَجة مع أصحابه، ومداعبتهم وملاطفتهم.

وقد نال رحمه اللَّه ـ من معاصِريه فمَن بعدهم ـ كثيرًا من الثَّناء الَّذي يدلُّ على رفعة درجته وعلوِّ منزلته..

فقد وصفه الحافظ ابن حجر[1] بالشَّيخ، الإمام الأوحد، الفاضل البارع، جمال المدرِّسين، مُفيد الطَّالبين.

وقال تلميذه ابن تغري بردي: «الإمام العلَّامة، أحد أئمَّة السَّادة الحنفيَّة».

---

(١) كما في «الضَّوء اللَّامع» (٧/ ٢٦١).

ووصفه كذلك ابن عَزم التَّميميُّ بالعلَّامة، أستاذ الأستاذين، الإمام الكبير في المعقولات كلِّها.

وقال تلميذه الحافظ السَّخاويُّ: «ظهرت كفاءته وكمالاته، فأقبل عليه الفضلاء... وخضعت له الرِّجال، وذلَّت له الأعناق، وصار إلى صِيت عظيم وجلالة، وشاع ذِكره، وانتشرت تلامذته وفتاواه، وأخذ النَّاس عنه طبقة بعد أخرى، بل والطَّبقة الثَّالثة أيضًا، وتقدَّمتْ طلبتُه في حياته وصاروا أعيان الوقت، وتزاحَموا عنده من سائر المذاهب والفنون... وبالجُملة فقد صار علَّامة الدَّهر، وأوحَد العصر، ونادرة الزَّمان، وفخر هذا الوقت والأوان».

وقال تلميذه الحافظ السُّيوطيُّ: «العلَّامة، أستاذ الأستاذين... كان الشَّيخ إمامًا كبيرًا في المعقولات كلِّها... بحيث لا يشقُّ أحدٌ غبارَه في شيء من هذه العلوم، وله اليد الحسنة في الفقه والتَّفسير والنَّظر في علوم الحديث... وكان الشَّيخ رحمه اللَّه صحيح العقيدة في الدِّيانات، حَسَن الاعتقاد في الصُّوفيَّة، محبًّا لأهل الحديث، كارهًا لأهل البدع... واسع العِلم جدًّا؛ لزمتُه أربع عشرة سنة؛ فما جئتُه من مرَّة إلَّا وسمعتُ منه من التَّحقيقات والعجائب ما لم أسمعه قبل ذلك».

إلى غير ذلك من الثَّناء العاطر الَّذي يعسُر حصره ويطول ذِكره.

❊ ❊ ❊

# مصنَّفاتُه

صنَّف رحمه اللَّه في مختلف العلوم والفنون رسائل كثيرة تَربُو على المئة، إلَّا أنَّ أغلبها مختصَرات، فضلًا عن الفتاوى والتَّقريرات الَّتي نقلها عنه تلاميذه، وهي منثورة في تصانيفهم، وقد وصف السَّخاويُّ تصانيفه بأنَّها «دالَّة على توسُّعه في العلوم، ومزيد استحضاره لها»، وقال السُّيوطيُّ: «وأمَّا تصانيفه في العلوم العقليَّة فلا تُحصَى؛ بحيث إنِّي سألتُه أن يسمِّي لي جميعها لأكتبها في ترجمته، فقال: لا أقدر على ذلك، قال: ولي مؤلَّفات كثيرة أُنسِيتُها، فلا أعرف الآن أسماءها!» ا.هـ، وهذا بيان ما وقفنا عليه من هذه التَّصانيف(١):

١ـ الإحكام في معرفة الأيمان والأحكام(٢).

٢ـ إشارات لطيفة ونِكات شريفة في عِلم الكلام.

٣ـ الإشراق في مراتب الطِّباق(٣).

٤ـ الإلماع بإفادة «لو» للامتناع في قوله: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾.

---

(١) مرتَّبة على حروف الهجاء، مع بيان المكرَّر منها والمطبوع.

ونذكر هنا كلَّ ما نُسب إلى الكافِيَجي رحمه اللَّه من مصنَّفات، سواء صحَّت نِسبتها إليه أم في نِسبتها إليه شكٌّ، أمَّا ما تيقَّنَّا من نِسبته إليه على سبيل الوهم والخطأ فلا نذكره.

ولم نذكر كذلك تقاريظ الكافِيَجي لمصنَّفات أقرانه وتلاميذه؛ فإنَّها غير داخلة تحت مسمَّى التَّصنيف، وقد وقفنا ـ بحمد اللَّه ـ على قدْر لا بأس به من هذه التَّقاريظ.

(٢) طُبع بدار الأصالة ـ مصر، دار الضِّياء ـ الكويت، بتحقيق: د. أحمد رجب أبو سالم، ط١: ١٤٤١هـ ـ ٢٠٢٠م، ضمن مجموع.

(٣) طُبع بدار الكتب العلميَّة! ـ بيروت، بتحقيق: د. عبد الواحد جهداني، ط١: ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م.

٥- الإلما والإنما فيما يتعلَّق ببحث «أمَّا».

٦- الأُنس الأنيس في معرفة شأن النَّفس النَّفيس.

٧- الأنموذج في بحث الاستعارة(١).

٨- أنوار السَّعادة في إعراب (شرح) كلمتي الشَّهادة(٢).

٩- الأنوار في عِلم التَّوحيد(٣).

- بحر الحياة في معرفة الصِّفات = نهر الحياة في معرفة الصِّفات.

١٠- البِشارة في قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾.

١١- بنات الأفكار في شأن الاعتبار.

١٢- التَّحرير لِما ذُكر في «الدُّرِّ المنظوم والوشي المرقوم» من الأمور الثَّلاثة، الَّتي هي الغلط والسَّهو والنِّسيان.

١٣- تحفة الإخوان في إعراب «الحمد للَّه أكمل الحمد».

١٤- التَّذكرة لأُولي الألباب (في الكلام على البسملة)(٤).

---

(١) طُبع بمؤسَّسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشِّعريِّ، بتحقيق: عثمان موافي، ط١: ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

وهو منشور كذلك بـ«مجلَّة كلِّيَّة اللُّغة العربيَّة بالمنصورة» بجامعة الأزهر، بتحقيق: د. أحمد فريد أبو سالم، المجلد: ٣، العدد: ٢٩، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

ثمَّ طُبع بدار الكتب العلميَّة! بتحقيق: أ.د. محمَّد السَّيِّد سلَّام، ط١: ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

(٢) نُشر بـ«مجلَّة العلوم الإنسانيَّة» - كلِّيَّة التَّربية للعلوم الإنسانيَّة، بتحقيق: أ.م.د. حسن غازي السَّعديِّ، أ.م.د عبد الكريم حسين السعديِّ، المجلد: ٢٢، العدد: ١، ٢٠١٥م.

(٣) طُبع باسطنبول، بتحقيق: حليم جالِيش، ط١: ١٩٩٩م.

(٤) طُبع بدار الظَّاهريَّة - الكويت، بتحقيق: د. هاني البُرعي، ط١: ١٤٤٠هـ-٢٠١٨م، وأصلها =

١٥- التَّرغيب في كشف رموز «التَّهذيب».

١٦- تلخيص «الجامع الكبير».

١٧- تلخيص «المجمع»[١].

١٨- تمرين الأذهان في مضارِّ المناظَرة والبرهان (في «مَن» الشَّرطيَّة).

١٩- التَّمهيد في شرح التَّحميد.

٢٠- التَّيسير في قواعد عِلم التَّفسير[٢].

٢١- جواب الأنظار (في أبحاث الجلالة).

٢٢- جواب عن سؤال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾.

٢٣- حاشية على «تفسير البيضاويِّ».

٢٤- حاشية على «شرح الهداية».

٢٥- حاشية على «الكشَّاف».

٢٦- حاشية على «المتوسِّط»[٣].

٢٧- حاشية على «المطوَّل».

٢٨- حُسن الختام للمرام من هذا الكلام.

٢٩- حلُّ الإشكال في مباحث الأشكال.

---

= رسالة علميَّة (دكتوراه!) بجامعة «أمِّ درمان» بجمهوريَّة السُّودان.

(١) يعني: «مجمع البحرين وملتقى النَّيِّرين» لابن السَّاعاتيِّ (ت.٦٩٤هـ).

(٢) طُبع مرَّات، منها: طبعة دار القلم ـ دمشق، بتحقيق: ناصر بن محمَّد المطروديِّ، ط١: ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

(٣) المقصود بـ«المتوسِّط»: كتاب «الوافية في شرح الكافية» للرُّكن الأستراباذيِّ (ت.٧١٥هـ).

٣٠ـ ختام المِسك.

٣١ـ خلاصة الأقوال بالحُجج والبيِّنات في شأن قول النَّبيِّ ـ عليه أفضل الصَّلوات وأزكى التَّحيَّات ـ: «إنَّما الأعمال بالنِّيَّات»(١).

٣٢ـ الدُّرَّة الغالية العالية النُّورانية والألطاف الشَّريفة الربَّانيَّة.

٣٣ـ ذخيرة القَصر في تفسير سورة العصر(٢).

٣٤ـ الرَّحمة في بيان أحوال عالم البَرزَخ(٣).

ـ رسالة في إعراب «لا إله إلا اللَّه» = أنوار السَّعادة في إعراب (شرح) كلمتي الشَّهادة.

٣٥ـ رسالة في تبيان استقبال القِبلة.

٣٦ـ رسالة في بيان المعجزات(٤).

٣٧ـ رسالة في التَّغليب.

---

(١) طُبع مرَّات، منها: طبعة دار الذَّخائر ـ القاهرة، بتحقيق: حسام صلاح الضِّرغاميِّ، و د. أحمد فتحي البشير، ط١: ١٤٤١هـ ـ ٢٠٢٠م، ضمن «مجموع رسائل العلَّامة محيي الدِّين الكافِيَجي» (١ ـ الرَّسائل الحديثيَّة).

(٢) نُشر بجامعة الطَّائف، بتحقيق: مرزوق علي إبراهيم، ط١: ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.
ونُشر أيضًا بالمجلة العلميَّة لكلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها بطنطا (العدد الثَّالث)، بتحقيق: محمَّد السَّيِّد عبد العظيم النَّشاويِّ.

(٣) طُبع بدار الأصالة ـ مصر، دار الضِّياء ـ الكويت، بتحقيق: د. أحمد رجب أبو سالم، ط١: ١٤٤١هـ ـ ٢٠٢٠م، ضمن مجموع.

(٤) نُشر بتحقيق: صلاح الدِّين خليل الموصليِّ. «مجلة عالم التُّراث» بدمشق (١/ ١١٣-١٢٥)، نقلًا عن د. قباوة. مقدِّمة «شرح قواعد الإعراب» (ص١٢).

٣٨ـ رسالة في طبقات البطون لبيان أحكام الوقف على أولاد الأولاد.

٣٩ـ رسالة في عِلم التَّفسير ووجوه القراءات.

٤٠ـ رسالة في المحبَّة.

٤١ـ رسالة في مسألة الاستثناء.

٤٢ـ رمز الأسرار في مسألة «أفعل التَّفضيل».

٤٣ـ رمز الأسرار في مسألة الكحل (أكمل)[1].

٤٤ـ رمز الخِطاب بشرح (برشح) العُباب.

٤٥ـ الرَّمز على كنز العوارف لطالب العُلا والمعارف = الرَّمز في عِلم الاستبدال[2].

٤٦ـ الرَّمز في عِلم الاسْطُرلاب.

ـ الرَّمز للمدراك على طريقة السَّلف والخلف بأخصر الكلام = الوجيز النِّظام في إظهار موارد الأحكام.

٤٧ـ الرَّوح في عِلم الرُّوح[3].

٤٨ـ الرَّوضة الزَّاهرة النَّافعة في الدُّنيا والآخرة في بيان الجمعة وصلواتها وشروطها.

---

(١) طُبع بدار العصماء ـ دمشق، بتحقيق: عادل الشّنداح، ط١: ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٦م، ومعه رسالة أخرى في الكحل أيضًا، كلاهما بعنوان: «رسالتان في مسألة الكحل».

(٢) طُبع بدار الكتب العلميَّة! ـ بيروت، بتحقيق: د. عبد الواحد جهداني، ط١: ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م.

(٣) طُبع بدار الأصالة ـ مصر، دار الضِّياء ـ الكويت، بتحقيق: د. أحمد رجب أبو سالم، ط١: ١٤٤١هـ ـ ٢٠٢٠م، ضمن مجموع.

٤٩ـ زين (زُبدة) الفرح بمولد النَّبيِّ ﷺ.

٥٠ـ سؤال في استبدال الوقف بالمِلك.

٥١ـ سيف الحقِّ والنُّصرة على رقاب أهل البغي والفتنة.

٥٢ـ سيف القضاة (الفقهاء!) على البغاة[١].

٥٣ـ سيف الملوك والحكَّام المرشد لهم إلى سبيل الحقِّ والأحكام[٢].

٥٤ـ الشَّافي الكافي[٣]، ولعلَّه: الكافي الشَّافي.

٥٥ـ شرح أبيات «كتاب الضَّوء».

ـ شرح الاستعارة = الأنموذج في بحث الاستعارة.

٥٦ـ شرح أسماء اللَّه الحسنى[٤].

ـ شرح «تهذيب المنطق والكلام» = التَّرغيب في كشف رموز «التَّهذيب».

٥٧ـ شرح «الجغمينيِّ» في الهيئة.

٥٨ـ شرح «قواعد الإعراب»[٥].

٥٩ـ شرح «القواعد العضديَّة».

ـ شرح «مختصر الجرمينيِّ»! = شرح «الجغمينيِّ» في الهيئة.

---

(١) طُبع بدار الكتب العلميَّة! ـ بيروت، بتحقيق: إلياس قبلان، ط١: ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

(٢) طُبع مع سابقه.

(٣) نُشر بتحقيق: صلاح الدِّين خليل الموصليِّ. «مجلة عالم التُّراث» بدمشق (١/ ١١٣-١٢٥)، نقلًا عن د. قباوة. مقدِّمة «شرح قواعد الإعراب» (ص١٢).

(٤) طُبع بدار الكتب العلميَّة! ـ بيروت، بتحقيق: د. أحمد رجب أبو سالم، ط١: ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

(٥) طُبع مرَّات بتحقيق: أ.د. فخر الدِّين قباوة، آخرها بدار السَّلام ـ القاهرة، ط٤: ١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م.

٦٠- شرح «المواقف في عِلم الكلام».

٦١- الظَّفر والخلاص[١].

- عقد الفرائد من بحر (تحرير) الفوائد = شرح أسماء اللَّه الحسنى.

٦٢- الغُرَّة الواضحة في تفسير الفاتحة[٢].

٦٣- فرائد بحر الفوائد[٣].

٦٤- الفرح والسُّرور في بيان المذاهب الأربعة في العصور (والعصور)[٤].

٦٥- قِبلة الأرواح (في التَّصوُّف).

٦٦- قرار الوجد بشرح (في شرح) «الحمد».

٦٧- قرَّة النَّواظر في روضة النَّوادر (في الأدب)[٥].

٦٨- قلائد العقيان في بحر فضائل رجب وشعبان.

٦٩- قلائد العقيان للمقام الفخريِّ سيِّدي عثمان.

٧٠- الكافي الشَّافي (في مسألة العقل والعِلم)[٦].

---

(١) طُبع بدار الكتب العلميَّة! - بيروت، بتحقيق: د. عبد الواحد جهداني، ط١: ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.

(٢) طُبع بدار الإحسان - القاهرة، بتحقيق: د. عليّ رمضان الأزهريِّ، ط١: ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.

(٣) طُبع بدار الأصالة - مصر، دار الضِّياء - الكويت، بتحقيق: د. أحمد رجب أبو سالم، ط١: ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م، ضمن مجموع.

(٤) طُبع بدار الإرشاد - اسطنبول، بتحقيق: حسن أوزأر، ط١: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

(٥) نُسب إليه في كتاب «معجم تاريخ التُّراث الإسلاميِّ في مكتبات العالم» (٤/ ٢٧٥٨)، وقال مؤلِّفاه: «وفي نِسبته إلى المؤلِّف شبهة».

(٦) طُبع بدار الأصالة - مصر، دار الضِّياء - الكويت، بتحقيق: د. أحمد رجب أبو سالم، ط١: ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م، ضمن مجموع.

٧١ـ الكافي في بيان الصَّفِّ الطَّويل المستقيم النَّاتئ (النَّائي) عن الكعبة.

٧٢ـ كشَّاف المشكلات وحلَّال المعضلات.

٧٣ـ الكشف عن شرف أهل البيت الكرام لأفضل الرُّسل والأنام ﷺ.

٧٤ـ كشف النِّقاب للأصحاب والأحباب (في إعجاز القرآن).

٧٥ـ كشف الوجوه الحسنة المستورة بالنِّقاب لفضل اللَّه الجوَّاد الوهَّاب.

ـ الكلام على البسملة = التَّذكرة لأُولي الألباب.

٧٦ـ لوامع الأنوار (في التَّصوُّف).

٧٧ـ محاكَمات بين المتكلِّمين على «الكشَّاف».

٧٨ـ المختار في مسألة الكحل (أكمل).

٧٩ـ المختصَر «مشتمل على أمور متعلِّقة باستبدال الوقف».

٨٠ـ مختصَر في عِلم الإرشاد[1].

٨١ـ المختصَر في عِلم الأثر[2].

٨٢ـ المختصَر المفيد في عِلم التَّاريخ[3].

٨٣ـ معراج الطَّبقات ورفع الدَّرجات لأهل الفهم والثِّقات.

---

(١) طُبع بدار الأصالة ـ مصر، دار الضِّياء ـ الكويت، بتحقيق: د. أحمد رجب أبو سالم، ط١: ١٤٤١هـ ـ ٢٠٢٠م، ضمن مجموع.

(٢) طُبع بدار الذَّخائر ـ القاهرة، بتحقيقي، بالاشتراك مع د. أحمد فتحي البشير، ط١: ١٤٤١هـ ـ ٢٠٢٠م، ضمن «مجموع رسائل العلَّامة محيي الدِّين الكافِيَجي» (١ ـ الرَّسائل الحديثيَّة).
وطُبع قبلها بدار الرُّشد ـ الرِّياض، بتحقيق: د. عليّ زوين، ط١: ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

(٣) طُبع بدار عالم الكتب ـ بيروت، بتحقيق: د. محمد كمال الدِّين، ط١: ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

- منبع الدُّرر في عِلم الأثر = المختصَر في عِلم الأثر.

٨٤- منازل الأرواح (في التَّصوُّف)[١].

٨٥- نزهة الإخوان في آي القرآن.

٨٦- نزهة الإخوان في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾.

٨٧- نزهة الأرواح وغِبطة الأشباح (في التَّصوُّف)[٢].

٨٨- نزهة الأصحاب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟﴾.

٨٩- نزهة الأصحاب في الكحل[٣].

- نزهة الطُّلَّاب في شرح «قواعد الإعراب» = شرح «قواعد الإعراب».

٩٠- النُّزهة في روضة الرُّوح والنَّفس.

٩١- نزهة المعرِب في المشرق والمغرب[٤].

٩٢- النَّسب لأهل الأدب.

٩٣- نشاط البشارة بالإشارة.

٩٤- نشاط الصُّدور لشرح (في شرح) كتاب «الفرح والسُّرور»[٥].

---

(١) طُبع بدار السَّلام - القاهرة، بتحقيق: مجدي السَّيِّد، ط١: ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(٢) طبع باسطنبول، بتحقيق: محمَّد سعيد العثمانيِّ، ط١: ١٣٢٠هـ - ١٩٠٢م.

(٣) طُبع بدار العصماء - دمشق، بتحقيق: عادل الشّنداح، ط١: ١٤٣٦هـ - ٢٠١٦م، ومعه رسالة أخرى في الكحل أيضًا، كلاهما بعنوان: «رسالتان في مسألة الكحل».

(٤) منشور بجامعة «Necmettin Erbakan» بتركيا، بتحقيق: مراد طلال، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

(٥) طُبع بدار الإرشاد - اسطنبول، بتحقيق: حسن أوزأر، ط١: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٩٥ـ النَّصر القاهر والفتح الظَّاهر.

٩٦ـ نظام قلائد العِقيان[١].

٩٧ـ نهر الحياة في معرفة الصِّفات.

٩٨ـ نيل المرام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

٩٩ـ الهداية لبيان الخَلق والتَّكوين.

١٠٠ـ الوجيز النِّظام في إظهار موارد الأحكام[٢].

هذا بالإضافة إلى ما أشَرنا إليه من الفتاوى والأبحاث والتَّقريرات الَّتي نقلها عنه تلاميذه ومترجِموه في ثنايا تصانيفهم، وقد وقفنا على قدْر لا بأس به منها، وليس هذا موضع ذِكرها.



(١) نُشر بـ«مجلَّة معهد المخطوطات العربيَّة»، بتحقيق: عبد القادر محمَّد المهديُّ أبو سنيج، المجلد: ٦٣ ـ الجزء الثَّاني، ١٤٤١هـ ـ ٢٠١٩م.

(٢) نُشر بـ«مجلَّة الجمعيَّة الفقهيَّة السُّعوديَّة»، بتحقيق: د. هشام بن محمَّد السَّعيد، العدد: ٢٥، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م.

## وفاتُه

مات رحمه اللَّه بالقاهرة ليلة يوم الجمعة(١) رابع جمادى الأولى(٢) سنة ٨٧٩هـ، وذلك بعد مرض ألمَّ به منذ أوائل المحرَّم من نفس العام.

وحُمل نعشه حتَّى صلِّى عليه بسبيل المؤمنين باستدعاء السُّلطان له وشهوده الصَّلاة عليه، ثمَّ دُفن بحوش كان أعدَّه لنفسه، وحوَّطه قبل موته بثلاثة أيَّام بجوار سبيل التُّربة الأشرفيَّة، كان هو يدفن به الغرباء المتردِّدين إليه ونحوهم، وتأسَّف النَّاس على فَقده، ولم يخلِّف بعد مثلَه رحمه اللَّه.

وقد رثاه جماعة، منهم الشِّهاب المنصوريُّ (ت.٨٨٧هـ)، فقال: [البسيط]

بكَتْ على الشَّيخ محيي الدِّين كافِيَجي
عيونُنا بدموعٍ من دمِ المُهَجِ
كانت أساريرُ هذا الدَّهر من دُرَرٍ
تُزْهَى فبُدِّل ذاك الدُّرُّ بالسَّبَجِ
فكم نَفى بسماعٍ من مكارمِهِ
فقرًا وقوَّم بالإعطاءِ مِن عِوَجِ

(١) وقيل: صبيحته. «الضَّوء اللَّامع» (٧/ ٢٦١).

(٢) وهو قول عامَّة المؤرِّخين، وقيل: جمادى الثَّانية، ولم نقف على من قال به سوى السَّخاويِّ. المصدر السَّابق.

ولعلَّ هذا الاختلاف هو ما دفع الأستاذ عمر كحَالة ليؤرِّخ وفاته في «إحدى الجمادين»، كما «معجم المؤلِّفين» (١٠/ ٥٠، ٥١).

يـا نـورَ عِلـمٍ أراهُ اليـومَ منطفئًـا
وكانتِ النَّاس تمشي منه في سُرَجِ

فلـو رأيـتَ الفتـاوى وهْـي باكيـةٌ
رأيتهـا مـن نَجِيـع الدَّمـع فـي لُجَجِ

ولـو سَـرَتْ بِشَـاهُ عنـه ريـحُ صَبـا
لاستنشَـقوا من ثَناهـا أطيبَ الأرَجِ

يا وَحشةَ العِلم مِن فيه إذا اعتركَتْ
أبطالُـه فتـوارَتْ فـي دُجَـى الرَّهَـجِ

لم يَلحَقُوا شَأْوَ عِلمٍ من خصائِصهِ
عَنَّـا ورتبتُـه فـي أرفـع الـدَّرَجِ

قـد طالمـا كان يَقرينـا ويُقرِئُنـا
فـي حالتَيْـه بوَجـهٍ منـه مبتهـجِ

سَـقيًا لـهُ وكسـاهُ اللَّـهُ نـورَ سَـنًا
مـن سندسٍ بيـد الغفـرانِ مُنتَسَـجِ

رحمه اللَّه رحمةً واسعةً

* * *

# التعريف بكتاب
# «الكشف عن شرف أهل البيت الكرام»

- توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلِّف.
- تحقيق اسم الكتاب.
- منهج المصنِّف ومصادره في الكتاب.
- وَصْف النُّسخة الخطِّيَّة للكتاب.
- منهج العمل في الكتاب.
- نماذج من النُّسخة الخطِّيَّة للكتاب.

# توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلِّف

- لم يذكر أحدٌ ممَّن ترجم للكافِيَجي رحمه اللَّه - فيما نعلم - كتاب «الكشف عن شرف أهل البيت الكرام» ضمن مؤلَّفاته؛ شأنُه شأنُ أغلب تلك المؤلَّفات(١).

- وقد اجتمع لنا من القرائن الدَّالَّة على ثبوت نسبة هذا الكتاب للكافِيَجي ما وصل بنا إلى درجة اليقين - أو كاد - من صحَّة هذا الأمر، ومن هذه القرائن:

١ - أنَّ الكافِيَجي ضمَّن كتبَه الأخرى عددًا من النُّصوص المقتبَسة من هذا الكتاب(٢)؛ فقد صنَّفه سنة ٨٦١هـ، ونقل منه - على سبيل المثال - في كتابه: «المختصَر في علم التَّاريخ»(٣)، الَّذي صنَّفه سنة ٨٦٧هـ، ونقل منه أيضًا في كتابه: «سيف الملوك والحكَّام المرشِد لهم إلى سبيل الحقِّ والأحكام»(٤)، الَّذي صنَّفه سنة ٨٧٠هـ.

٢ - أنَّ النَّهج المتَّبَع في مقدِّمة الكتاب وخاتمته، وكذا في تقسيمه وأسلوب

---

(١) لا سيَّما أنَّ أغلبها رسائل صغيرة؛ ممَّا يصعِّب عمليَّة حصرها واستيفائها، وقد تقدَّم أنَّ تلميذه السُّيوطيَّ ذكر أنَّ تصانيفه في العلوم العقليَّة لا تُحصَى؛ بحيث إنَّه سأله أن يسمِّي له جميعها ليكتبها في ترجمته، فقال: «لا أقدر على ذلك»، قال: «ولي مؤلَّفات كثيرة أُنسِيتُها، فلا أعرف الآن أسماءها!». راجع: (ص٢١) من هذه المقدِّمة.

(٢) وهي عادة لا تكاد تفارقه في أغلب تصانيفه، وراجع في تفصيل ذلك: «مجموع رسائل العلَّامة محيي الدِّين الكافِيَجي» (الرَّسائل الحديثيَّة) (ص٣٧، ١٩١)، بتحقيقنا.

(٣) انظر: «الكشف عن شرف أهل البيت الكرام» (ص١٥٧، ١٥٨).

(٤) انظر: السَّابق (ص١٣٧، ١٣٨).

صياغة عباراته= هو نَهج الكافِيَجي نَفْسه، وكلُّ من عالَج شيئًا من تصانيف الرَّجل، وأمعَن النَّظر فيها؛ عَلِم أنَّ له أسلوبًا مميَّزًا، ولوازم لا يكاد يُفارقها في أغلب تصانيفه، ومن ذلك:

- تقسيم كتبه ورسائله إلى أبواب وخاتمة، والنَّصُّ على أسمائها في المقدِّمة.

- الاستطراد الكثير، والاستغراق في مسائل جزئيَّة قد يظنُّ من ليس له عناية بكتب الرَّجل أنْ ليس لها كبير تعلُّق بموضوع الكتاب.

- الإكثار من إيراد الاعتراضات وافتراضها أيضًا، مع الإجابة عنها، وذلك بقوله: «فإن قلتَ...، قلتُ...»، وهو ما يسمَّى بـ«الفَنقُلة».

- وضع حواشٍ على الكتاب، وخَتْم كلِّ حاشية بقوله: «منه»، ولعلَّها إشارة إلى أنَّ هذه الحاشية من صُنع الكافِيَجي نَفْسه[1]، وقد وقفنا على هذا الصَّنيع (في كتب أخرى له) بخطِّه، ونقلها عنه النُّسَّاخ؛ من تلاميذه وغيرهم.

٣- أنَّ النُّسخة الخطِّيَّة الوحيدة للكتاب نُسبت إلى الكافِيَجي، ولم يُنسب الكتاب في كتب التَّراجم أو الفهارس أو غيرها إلى أحد غيرِه.

**وممَّا قد يُستأنس به أيضًا في إثبات نِسبة هذ الكتاب إلى الكافِيَجي:**

١- أنَّ مصنِّف الكتاب كان حنفيَّ المذهب- على ما يبدو-، ويظهر ذلك من خلال اعتنائه في هذا الكتاب بإيراد اختيارت السَّادة الحنفيَّة، واستطراده في ذِكر مناقب الإمام أبي حنيفة رحمه اللَّه، بل وإيراد أقوال تُشير إلى تفضيل مذهبه على سائر المذاهب[2]، ومن المعلوم أنَّ الكافِيَجي كان حنفيًّا.

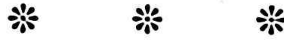
---

(١) ولعلَّه كان يصنع لك حتَّى لا تختلط حواشيه بحواشي غيره ممَّن قد يقرأ الكتاب بعده فيعلِّق عليه، كما كان كثير من أهل العلم يتوقَّى من ذلك بإيراد توقيعه عقب كلِّ تعليق له.

(٢) انظر: «الكشف عن شرف أهل البيت الكرام» (ص٧٧، ص١٠٧-١١٤، ١٤٤، ١٤٥، ١٦٥).

٢ ـ أنَّ مصنِّف الكتاب كان مصريًّا، ويظهر ذلك من حماسته الواضحة عند الكلام على فضل مصر وأهلها وما خصَّها اللَّه به، ومنزلة ولايتها، واستطراده في بيان ذلك[1]، ومن المعلوم أنَّ الكافِيَجي وإن كان أصله رُوميًّا، إلَّا أنَّه أقام بمصر أغلب عمره، ومات ودُفن بها رحمه اللَّه.

٣ ـ أنَّ الكتاب صنِّف في حياة الكافِيَجي رحمه اللَّه؛ فقد تقدَّم أنَّه صنِّف سنة ٨٦١هـ، ومن المعلوم أنَّ الكافِيَجي مات سنة ٨٧٩هـ.



(١) انظر: «الكشف عن شرف أهل البيت الكرام» (ص١٤٨-١٥١)، وقارن ذلك بما أورده في فضائل غيرها من البلدان ـ عدا مكَّة والمدينة ـ؛ كاليمن والشَّام.

# تحقيق اسم الكتاب

ـ تقدَّم أنَّ الكتاب لم يذكره أحد ممَّن ترجم للكافِيَجي رحمه اللَّه ضمن مؤلَّفاته.

ـ لكنَّ المؤلف رحمه اللَّه نصَّ بنَفْسه على اسم كتابه ـ كما هي عادته ـ في مقدِّمته، فقال[1]: «وسمَّيتُه بالكشف عن شرف أهل البيت الكرام لأفضل الرُّسل والأنام».

ـ وهو ما يُطابق ما ورد على غِلاف النُّسخة الخطِّيَّة؛ إذ جاء العنوان هكذا: «كتاب الكشف عن شرف أهل البيت الكرام لأفضل الرُّسل والأنام».

وهذا كافٍ في بيان اسم الكتاب.



(١) «الكشف عن شرف أهل البيت الكرام» (ص٥٥).

# منهج المصنِّف ومصادره في الكتاب

ـ أفرَد الكافيجي كتابه هذا بالأصالة في ذِكر الأحاديث والأخبار الواردة في فضائل أهل بيت النَّبيِّ ﷺ ومناقبهم، كما صرَّح المصنِّف بهذا، ونصَّ عليه في مقدِّمة الكتاب، لكنَّه لم يكتف بهذا، وضمَّن كتابه أيضًا ذِكر فضائل بعض الصَّحابة والتَّابعين والأئمَّة الأربعة والسَّلاطين، وكأنَّ المصنِّف بذلك يجعل هؤلاء من أهل بيت النُّبوَّة مجازًا؛ لأنَّ هؤلاء من ورثته عليه السلام؛ إذا الميراث الحقيقيُّ الَّذي يتركه الأنبياء هو العلم، وهؤلاء هُم نقلة الدِّين والعلم، القائمون على حفظ الشَّرع؛ فقد قال ﷺ: «إنَّ العُلَماءَ هُم ورَثةُ الأنبياءِ، إنَّ الأنبياءَ لَم يُورِّثُوا دِينارًا ولا دِرهَمًا، إنَّما ورَّثُوا العِلمَ، فَمَن أخَذَهُ أخذَ بِحَظٍّ وافِرٍ»[1].

وقد قسَّم الكافِيَجي كتابه إلى أربعة أبواب، وخاتمة:

ـ أمَّا الباب الأوَّل: فقد جعله لبيان ما يتعلَّق بحقوقه ﷺ، وقد تكلَّم في ذلك عن ثلاثة أمور:

ـ الأوَّل: في بيان علامات النُّبوَّة.

ـ الثَّاني: في بيان معجزاته ﷺ.

ـ الثَّالث: في بيان أنَّ فضائله ﷺ كثيرة، وشمائله وخُلُقه عديدة.

ـ وأمَّا الباب الثَّاني: فقد جعله في بيان شرف أهل البيت عليهم السلام، وفي ذِكر فضائل أزواجه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» (٣٦٤١)، والتِّرمذيُّ في «جامعه» (٢٦٨٢)، وابن ماجه في «سننه» (٢٢٣)؛ من حديث أبي الدَّرداء رضي اللَّه عنه.

وقد بدأه الكافيجي ببيان مكانة أهل بيته عليه السلام الَّتي تدلُّ عليها النصوص الشَّرعيَّة من الكتاب والسُّنَّة، ثمَّ شرع المصنِّف في ذِكر كلِّ فرد من أفرادهم مُعرِّفًا به.

وبعد ذلك تكلَّم عن أزواجه أمَّهات المؤمنين رضي اللَّه عنهنّ.

- وأمَّا الباب الثَّالث: فتكلَّم فيه عن بعض الصَّحابة والتَّابعين، وبدأ بتقرير وجوب تعظيم الصَّحابة جميعًا، والكفِّ عن القدح فيهم، مؤيِّدًا ذلك بالأدلَّة.

وبعد تقريره هذا تكلَّم عن الخلفاء الرَّاشدين الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ رضي اللَّه عنهم؛ فذكر ما جاء من الأخبار والأحاديث في فضائلهم ومناقبهم، وشيئًا ممَّا رُوي من كلام بعضهم، ثمَّ ذكر تاريخ وفَيَاتهم.

وبعد ذلك ذكر باقي العشرة المبشَّرين بالجنَّة، لكنَّه اكتفى بذِكر أسمائهم وبذِكر الحديث الَّذي جاء في الشَّهادة لهم بالجنَّة، إلَّا أنَّه أورد حديثين في فضائل سعد بن أبي وقاص رضي اللَّه عنه.

وقد أنهى كلامه عن الصَّحابة بالتَّنبيه على أنَّهم لا يُذكَرون إلَّا بخير، وأنَّه يُرجى لهم أكثر ممَّا يُرجى لغيرهم من المؤمنين.

ثُمَّ تكلَّم المصنِّف عن التَّابعين؛ فعرَّف بالتَّابعيِّ، فذكر التَّعريفات الَّتي قِيلت فيه، وأورد بعد ذلك ما جاء من الآيِ والأحاديث في تفضيل التَّابعين على غيرهم ممَّن جاء بعدهم، ثمَّ ذكر جماعة من التَّابعين، وشيئًا من مناقبهم، وبعضًا ممَّا رُوي من كلامهم.

- وأمَّا الباب الرابع: فجعله في ذِكر جماعة من الفقهاء الَّذين وصفهم بالأبرار الصُّلحاء الأخيار، وفي فضائل الكعبة وغيرها من الأماكن والبقاع.

وقدَّم الكافِيَجي حديثه في هذا الباب بذِكر ما جاء في القرآن والأحاديث والآثار عن فضل العلم، ثُمَّ ذكر جماعة من هؤلاء الفقهاء، وهُم الأئمة الأربعة رضي اللَّه عنهم؛ أبو حنيفة ومالك والشَّافعيُّ وأحمد، وذكر شيئًا من فضائلهم وما قيل في مدحهم.

وقد ذيَّل كلامه هذا عن الأئمة الأربعة بذِكر طائفة من الأخبار والآثار الَّتي تحثُّ على الزُّهد في الدُّنيا، والاستغناء باللَّه عن النَّاس، والطَّاعة والأعمال الصَّالحة، والتَّوبة والاستغفار.

وبعد ذلك تكلَّم عن فضائل الكعبة المشرَّفة وبعض المدن والبقاع، وذكر ما جاء في هذا من أخبار وآثار.

- **وأمَّا خاتمة الكتاب:** فقد أفرَدَها المصنِّف للكلام على ما يتعلَّق بالسَّلاطين والملوك، وبدأ كلامه ببيان فضل الولاية وعِظم قدْرها وخطرها، مؤيِّدًا ذلك بالأحاديث والآثار، وبعد ذلك بيَّن ما يجب على السُّلطان أن يراعيه فيما يتعلَّق برعيَّته وينبغي عليه التَّنبُّه إليه في أثناء تدبير مُلكه والقيام بحقوق هذه الولاية الَّتي أُسندت إليه.

وبعد ذلك تكلَّم عن بعض المسائل المتعلِّقة بالسَّلاطين؛ كمسألة حُكم الدُّخول عليهم ومخالطتهم، وحُكم تقبيل أيديهم، وغير ذلك من المسائل.

وقد ختم الكافِيَجي هذه الخاتمة بذِكر جملة من آداب الأكل والطعام، وبيَّن وجه ذِكر هذه الآداب الَّتي قد يبدو ذِكرها غريبًا بعد الكلام الَّذي قرَّره في الأبواب الأربعة؛ إذ الظَّاهر أنه لا ارتباط بين هذه الآداب وبين ما قرَّره من الكلام عن حقوقه ﷺ، وشرف أهل بيته وأزواجه، إلى آخر ما قرَّره في هذه الأبواب، والوجهُ

هو: أنَّ الغرض ممَّا ذُكِر في هذه الأبواب هو لقاء اللَّه تعالى في دار الثَّواب، ولا طريق للوصول إلى هذا اللِّقاء إلَّا بالعلم والعمل، ولا يُمكِن المواظبة عليهما إلَّا بسلامة البَدَن، ولا تصفو سلامة البَدَن إلَّا بالأطعمة والأقوات وتناولها بقَدْر الحاجة.

وهذا آخر ما تعرَّض له المصنِّف في كتابه وأنهاه به، ونصَّ على أنه بذلك قد تمَّ.

وللمصنِّف تعليقات مفيدة إلَّا أنها قليلة، وذلك لأنه أقام كتابه وبناه على ذِكر الأحاديث والأخبار - كما سبَق تقريره -، هذا مع ذِكر بعض الأشعار التي تدعم الفكرة التي يُقرِّرها.

وتكمُن أهمِّيَّة هذا الكتاب في أنَّ مصنِّفه قد بيَّن باختصار غير مُخِلٍّ حقوقَه ﷺ؛ من علامات نبوَّته، ومعجزاته، وفضائله، وشمائله عليه السلام، وعرَّف بأهل بيته ﷺ، وما لهم من الشرف والفضائل، وبأشهر الصَّحابة وأفضلهم وأعلاهم رتبةً، وكذا جماعة من التَّابعين، وأئمة المذاهب الأربعة المشهورة، وكأنَّ المصنِّف يريد أن يُبيِّن ما يُمكِن أن نصِفه بأنَّه ما لا يَسَع المُسلِمَ جهلُه من هذه المباحث الَّتي قرَّرها في كتابه هذا.

ولا شكَّ أنَّ ما قام به الكافِيَجي مهم، لا سيَّما في زمننا هذا الَّذي راج فيه الجهل، ولم يعُد أهلُه يصبرون على قراءة المطوَّلات، فمِثل هذا الكتاب لو يُقرأ في المجالس وحلقات العلم لِعوامِّ النَّاس وغيرهم، لكان مفيدًا محقِّقًا الغرض من موضوعه.

*　*　*

## وَصْف النُّسخة الخطِّيَّة للكتاب

وقَفْنا لكتابنا هذا على نسخة خطِّيَّة وحيدة(١)، وهذا وَصْفها:

هي نسخة محفوظة بدار الكتب المصريَّة برقم: (٨٧٣ تاريخ تيمور)، وتقع في (٧٥) لوحة، ومسطرتها: (١٥) سطرًا.

وهي نسخة كاملة، كُتبت بخطٍّ معتادٍ أقرب إلى النَّسخ، بخطِّ عليِّ بن أحمد السّلطيِّ(٢).

وجاء على غلافها ما يلي: «كتاب الكشف عن شرف أهل البيت الكرام لأفضل الرُّسل والأنام، تأليف الشَّيخ الإمام العالم العلَّامة محيي الدِّين الكافِيَجي، نفعنا اللَّه به وبعلومه المسلمين [كذا]».

وعلى غِلاف النُّسخة تملُّك، لكنَّه كُتب بخطٍّ غير واضح.

وتتميَّز هذه النُّسخة باستدراك بعض السَّقط الواقع فيها، وبنقل الحواشي الَّتي من الأصل المنتسَخ منه، والَّتي يبدو أنَّها للكافِيَجي نَفْسه ـ كما تقدَّم بيانه في أثناء الكلام على «توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلِّف» ـ، وتتميَّز هذه النُّسخة أيضًا باتِّباع ناسخها لنظام التَّعقيبة.

أمَّا ختام النَّاسخ فكان كما يلي: «وكان الفراغ من هذه النُّسخة العظيمة في يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الأوَّل سنة ثمانية وعشرون [كذا] وألف من الهجرة

---

(١) وقد حقِّق الكتاب في رسالة علميَّة (ماجستير) بجامعة أمِّ درمان الإسلاميَّة بالسُّودان، إعداد: محمَّد عدنان عبد الرَّحمن، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

(٢) لم نقف له على ترجمة.

النَّبويَّة، على صاحبها أفضل الرُّسل والسَّلام [كذا]، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلام على المرسلين، والحمد للَّه ربِّ العالمين، كاتبه الفقير عليُّ بن أحمد السّلطيُّ، غفر اللَّه له ولي ولولديه [كذا!]، ولمن دعا له بالمغفرة، ولجميع المسلمين، آمين».

أمَّا عن تقييم هذه النُّسخة الفريدة؛ فهي في الجملة نسخة سقيمة؛ فقد وقع فيها كثير من السَّقط والتَّحريف البيِّن، فضلًا عن الأخطاء النَّحويَّة، وهذا الأمر لا يخرج عن أحد احتمالين؛ فإمَّا أنَّ ناسخها لم يكن من أهل العلم، وإمَّا أن يكون نقل هذه النُّسخة من أصل سقيم، وإن كان هذا الاحتمال الأخير لا يُعفي النَّاسخ من تَبِعة هذه الأخطاء، ومع ذلك فإنَّ الاحتمال الأوَّل هو الأقرب؛ بدليل ما وقع في ختام النَّاسخ من أخطاء ليس لها علاقة بالأصل المنتسَخ منه، واللَّه أعلم.



# منهج العمل في الكتاب

**يتلخَّص المنهج الَّذي سِرنا عليه في تحقيق هذا الكتاب في النِّقاط الآتية:**

ـ أثبَتنا النَّصَّ المحقَّق وَفق الرَّسم الإملائيِّ الحديث، وقسَّمناه إلى فقرات، وضبَطناه بالشَّكل، مع وضع علامات التَّرقيم المناسِبة.

ووضعنا أرقام لوحات النُّسخة الخطِّيَّة في ثنايا النَّصِّ بين معقوفين هكذا [].

ـ أثبَتنا التَّعليقات والحواشي الواردة في النسخة الخطِّيَّة في حواشي الكتاب المحقَّق، وأشَرنا إلى ذلك في موضعه.

ـ صوَّبنا من الألفاظ ما كان مصحَّفًا أو خطأً محضًا ـ وهو كثير ـ، وأشَرنا إلى بعض ذلك في الحاشية ـ كأمثلة فقط ـ؛ تدليلًا على كثرة الأخطاء الواردة في الأصل الخطِّيِّ، ولم نستوعب ذلك تخفيفًا على القارئ، وتجنُّبًا لإثقال الحواشي.

وما كان على الاحتمال أثبَتناه كما هو، وأشَرنا إليه في الحاشية كذلك.

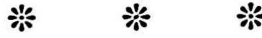
ـ قُمنا باستدراك الأسقاط الواقعة في الأصل الخطِّيِّ، وأثبتناها من أصولها المنقولة منها، ووضعناها بين معقوفين هكذا []، مع الإشارة إلى بعضها في الحاشية أيضًا.

ـ عزَونا الآيات الواردة في الكتاب إلى سُوَرها، مع ذِكر رقم الآية، وخرَّجنا الأحاديث والآثار والأبيات الشِّعريَّة وغيرَها من مصادرها الأصليَّة، وقد اجتهَدنا في الحُكم على الأحاديث والآثار قَدر الاستطاعة، وتوسَّعنا في ذلك إذا اقتضى المقام، مع ذِكر ما يَعضُد حُكمنا من أقوال أهل العِلم.

- وثَّقنا النُّصوص الَّتي نقلها المصنِّف رحمه اللَّه من كتب أهل العِلم، سواء منها ما كان بالتَّصريح أو بالإشارة.

- وضَعنا مقدِّمة للكتاب تحدَّثنا فيها عن التَّعريف بالمصنِّف وكتابه محلِّ التَّحقيق باختصارٍ، ثمَّ ختمنا كلامنا على المقدِّمة بوصف نُسخة الكتاب الخطِّيَّة، وذِكر خطَّة عملنا في تحقيقه.

- صنَعنا فهرسًا تفصيليًّا لموضوعات الكتاب ومحتوياته.



# نماذج من النُّسخة الخطيَّة للكتاب

تملك يحيى بن تيمور
٨٨٢

# كتاب الكشف

عن شرف اهل البيت الكرام

لافضل الرسل والانام

تأليف الشيخ الامام

العالم العلامه

محيي الدين

الكافيجي

نفعنا الله به وبعلومه المسلمين



تاريخ تيمور
٨٧٧

غلاف الأصل

بسم الله الرحمن الرحيم رب أعن
الحمد لله الذي خلق الانسان وعلمه البيان
والصلاة والسلام على أفضل رسله محمد صاحب
المعجزة والبرهان وعلى آله وأصحابه أهل
الفضل والرضوان وعلى التابعين
لهم إلى يوم الجزاء بالخير والاحسان
أما بعد فقد سألني بعض الاخوان
في الدين أن أجمع له أخبارا وأحاديث
في فضائل أهل البيت فشرعت ذلك
مستعينا بالله وهاب الخير والصواب
وهو المعين ومفتح الأبواب وجعلته
مشتملا على أربعة أبواب وخاتمة
الكتاب وسميته بالكشف عن شرف
أهل البيت الكرام لأفضل الرسل والأنام
صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ذوي

القدر

الصفحة الأولى

الشاكرين فان الدعا له مجازاة له على احسانه
لاسيما ان الدعا هو مخ العباده وقد قال الله تعالى
ادعوني استجب لكم وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدعا
هو العباده وعن معاذ قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم من كان اخر كلامه لا اله الا الله
دخل الجنه اللهم اجعل اخر كلامنا كلمة التوحيد
والشهاده واجعل ماوانا دار الخير والسعادة
وارزقنا عفوك وكرمك النظر الى وجهك
الكريم انك انت الجواد الرحيم وصلى على
رسولك محمد وعلى اله واصحابه اجمعين وسلام
على المرسلين والحمد لله رب العالمين
وقال مؤلفه عفا الله عنه وكان الفراغ منه
في ... من جمادى الاخر سنه احدى
وستين وتمامها به من هجره عفا الله لمؤلفه ولكاتبه
ولجميع المسلمين
...
امين
امين

ختام المصنِّف

# الكشف المختار عن شرف أهل البيت الكرام لأفضل الرسل والأنام ﷺ

تأليف العلامة

محيي الدين محمد بن سليمان بن سعد الرومي الحنفي

المعروف بالكافيجي

المتوفى سنة (٨٧٩هـ)

رحمه الله تعالى

تحقيق

د. أحمد فتحي البشير | حسام صلاح الضرغامي



دار الفتح

للدراسات والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ أَعِن

الحمد للَّه الَّذي خلق الإنسان وعلَّمه البيان، والصَّلاة والسَّلام على أفضل رُسله محمَّد صاحب المعجزة والبرهان، وعلى آله وأصحابه أُولي الفضل والرِّضوان، وعلى التَّابعين لهم إلى يوم الجزاء بالخير والإحسان.

أمّا بعد؛ فقد سألني بعض الإخوان في الدِّين أن أجمع له أخبارًا وأحاديث في فضائل أهل البيت، فشرعتُ في ذلك مستعينًا باللَّه وهَّاب الخير والصَّواب، وهو المُعين ومفتِّح الأبواب، وجعلتُه مشتملًا على أربعة أبواب وخاتمة الكتاب، وسمَّيتُه بـ:

# الكشف عن شرف أهل البيت الكرام ذوي أفضل الرُّسل والأنام ﷺ

صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، وعلى آله وأصحابه ذوي [٢/ و] القَدْر العِظام.

# البَابُ الأَوَّلُ

## فيما يتعلَّق بحقوق النَّبيِّ ﷺ

وفيه ثلاثة أمور:

### الأوَّل: بيان علامات النُّبوَّة:

قال أَنَس: «إنَّ رسول اللَّه ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشَقَّ عن قلبه، فاستخرج منه عَلَقة، فقال: هذا حظُّ الشَّيطان منك، ثمَّ غسله في طَسْت من ذهب بماء زمزم، ثمَّ لَأَمه وأعاده في مكانه، وجاء الغلمان يَسعَون إلى أمِّه -يعني ظِئرَه(١)-، فقالوا: إنَّ محمَّدًا قد قُتل، فاستقبلوه وهو منتَقِع اللَّون(٢)». قال أَنَس: «فكنت أرى أثَر المَخِيط في صدره»(٣).

وعن جابر بن سَمُرة، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إنِّي لأعرِفُ حَجَرًا بمَكَّةَ كان يُسلِّمُ عَلَيَّ قبلَ أن أُبعَثَ، إنِّي لأعرِفُهُ [٢/ ظ] الآنَ»(٤).

وذُكر في «دلائل النُّبوَّة» للبيهقيِّ: «إنَّ اللَّهَ تعالى أَوحَى في الزَّبُورِ إلى داودَ عليه السلام: يا داودُ، إنَّه سيأتي مِن بَعدِكَ نَبِيٌّ يسمَّى أحمَد ومحمَّدًا، صادقًا

---

(١) الظِّئر: المُرضِعة.

(٢) أي: متغيِّر اللَّون.

(٣) أخرجه مسلم (١٦٢) من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه.

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٧٧) من حديث جابر بن سَمُرة رضي اللَّه عنه.

سيِّدًا، لا أغضَبُ عليه أبدًا، ولا يُغضِبُني أبدًا، وقد غَفَرتُ له قبل أن يَعصِيَني ما تقدَّمَ مِن ذَنبِهِ وما تأخَّرَ منه، وأُمَّتُهُ مَرحُومةٌ، أَعطَيتُهُم مِن النَّوافِلِ مثلَ ما أَعطَيتُ الأنبياءَ، وافتَرَضتُ عليهم الفرائضَ[1] الَّتي افتَرَضتُ على الأنبياءِ والرُّسُلِ، يَأْتُونَ يومَ القيامةِ نورُهُم مثلُ نُورِ الأنبياءِ»[2].

وذُكر فيها أيضًا: «إنَّ اللَّه عز وجل لمَّا قرَّب موسى نَجِيًّا قال: ربِّ، إنِّي أَجِدُ في التَّوراةِ أُمَّةً خيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ للنَّاسِ؛ يَأمُرُونَ بالمعروفِ ويَنهَونَ عن المُنكَرِ، ويُؤمِنُونَ باللَّهِ، فاجعَلهُم أُمَّتي، قال: تِلكَ أُمَّةُ أحمدَ.

قال: ربِّ، إنِّي أَجِدُ في التَّوراةِ أُمَّةً هم الآخِرونَ من الأُمَمِ، السَّابقونَ يومَ [٣/ و] القيامةِ، فاجعَلهُم أُمَّتي، قال: تِلكَ أُمَّةُ محمَّدٍ.

قال: ربِّ، إنِّي أَجِدُ في التَّوراةِ أُمَّةً أناجِيلُهُم في صُدُورِهم يَقرءُونها، وكلُّ مَن قَبلَهم يَقرءُونَ كُتُبَهم نَظَرًا، ولا يَحفَظُونها، فاجعَلهُم أُمَّتي، قال: تِلكَ أُمَّةُ أحمدَ.

قال: ربِّ، إنِّي أَجِدُ في التَّوراةِ أُمَّةً يُؤمِنُونَ بالكتابِ الأوَّلِ والآخِرِ، ويُقاتِلُونَ رُءُوسَ الضَّلالةِ، حتَّى يُقاتِلُوا الأعورَ الكذَّابَ، فاجعَلهُم أُمَّتي، قال: تِلكَ أُمَّةُ محمَّدٍ.

قال: ربِّ، إنِّي أَجِدُ في التَّوراةِ أُمَّةً يأكُلُونَ صَدَقاتِهم في بُطُونِهم، وكان مَن قَبلَهم إذا أخرَجَ صَدَقَتَهُ بَعَثَ اللَّهُ عليها نارًا فأَكَلَتْها، فإن لم تُقبَل لم يَقرَبها[3]

---

(١) مقابله في الأصل حاشية نصُّها: «[...] الفرائض: الغُسل من الجنابة، والحجُّ، والجهاد».

(٢) أخرجه البيهقيُّ في «دلائل النُّبوَّة» (١/ ٣٨٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ٣٩٦)؛ عن وهب بن منبِّه، والإسناد إليه تالفٌ؛ فهو من رواية عن المنعم بن إدريس اليمانيِّ، عن أبيه، وعبد المنعم متَّهم بالكذب، وأبوه ضعيف أيضًا. راجع: «ميزان الاعتدال» (٥٠٠٥، ٦٤٠).

(٣) كذا في الأصل.

النَّارُ، فاجعَلهُم أُمَّتي، قال: تِلكَ أُمَّةُ محمَّدٍ.

قال: ربِّ، إنِّي أَجِدُ في التَّوراةِ أُمَّةً إذا هَمَّ أَحَدُهُم بسَيِّئةٍ لم تُكتَب عليه، فإن عَمِلَها [٣/ ظ] كُتِبت عليه سَيِّئةً واحدةً، وإذا هَمَّ أحدُهُم بحَسَنةٍ ولم يَعمَلها كُتِبت له حَسَنةً، فإن [عَمِلَها][1] كُتِبت له عَشرَ أمثالِها، إلى سبعِ مئةِ ضِعفٍ، فاجعَلهُم أُمَّتي، قال: تِلكَ أُمَّةُ محمَّدٍ.

قال: ربِّ، إنِّي أَجِدُ في التَّوراةِ أُمَّةً هم المُستَجِيبُونَ والمُجابُ لهم، فاجعَلهُم أُمَّتي، قال: تِلكَ أُمَّةُ أحمدَ»[2].

قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ١٠٥ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغٗا لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ ١٠٦ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وذُكر في «الشِّفا»[3] أيضًا أنَّ من دلائل النُّبوَّة: ما حكى من حضر عند مولده: من كونه رافعًا رأسه عندما وضعته أمُّه، شاخصًا ببصره إلى السَّماء[4]، وما رَأَته

---

(١) زيادة لا بدَّ منها.

(٢) أخرجه البيهقيُّ في «دلائل النُّبوَّة» (١/ ٣٧٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ٣٩٥)؛ عن وهب بن منبِّه أيضًا، وإسناده تالفٌ كسابقه.

(٣) (ص٤٥٩).

(٤) جزء من حديث حليمة السَّعديَّة رضي اللَّه عنها الشَّهير في رضاع النَّبيِّ ﷺ، وقد أخرجه ابن إسحاق في «السِّيرة» [كما في «سيرة ابن هشام» (١/ ١٦٥)]، ومن طريقه ابن راهويه [كما في «إتحاف الخيرة المهرة» (٦٣١٣ ـ ١)]، وأبو يعلى (٧١٦٣)، وابن حبَّان (٦٣٣٥)، وغيرهم. وقد حسَّن السُّيوطيُّ هذا الحديث، ونقل عن الذَّهبيِّ أنَّه قال: «جيِّد الإسناد». يُنظر: «مناهل الصَّفا في تخريج أحاديث الشِّفا» (ص١٤٢، ١٧٢).

من النُّور الَّذي خرج معه عند وِلادته حتَّى أضاء ما بين المشرق والمغرب(١)، حتَّى نظرتْ قابِلَتُه(٢) [٤/ و] إلى قصور الرُّوم(٣).

ومن ذلك: ارتجاج إيوان كِسرى، وسقوط شُرُفاته، وغَيْض بُحيرة طَبَرِيَّة(٤)، وخمود نار فارس، وكان لها ألف عام لم تَخمُد(٥)، وأنَّه كان إذا أكل مع عمِّه أبي(٦) طالب وآله وهو صغير شبعوا ورَوُوا، وإذا غاب عنهم فأكلوا في غَيبته لم يشبعوا(٧).

---

(١) أخرجه أحمد (١٧١٥٠)، والبزَّار (٤١٩٩)، وابن حبَّان (٦٤٠٤)، والحاكم (٢/ ٤٨)؛ من حديث العِرباض بن سارية رضي اللَّه عنه، وقال الحاكم: «صحيح الإسناد»، وتعقَّبه الذَّهبيُّ بأنَّ فيه أبا بكر بن أبي مريم، وهو ضعيف.
والحديث له شواهد، منها: حديث عُتبة بن عَبد رضي اللَّه عنه؛ لذا قال الذَّهبيُّ: «حسن إن شاء اللَّه». «تاريخ الإسلام» (١/ ٤٩٤).

(٢) القابِلة: هي المرأة الَّتي تساعد الحامل عند الولادة، وتتلقَّى وليدها عند الوَضع.

(٣) أخرجه أبو نُعيم في «الدَّلائل» (٧٧)؛ من حديث الشِّفاء بنت عوف أمِّ عبد الرَّحمن بن عوف رضي اللَّه عنهما، وفيه شاذَان النَّضر بن سلمة، وهو متَّهم بالوضع. راجع: «ميزان الاعتدال» (٨٥٥٥).

(٤) أي: نَضَب ماؤها.

(٥) أخرجه ابن أبي الدُّنيا في «الدَّلائل» [كما في «جامع الآثار» (٣/ ٤٦)]، والطَّبريُّ في «تاريخه» (٢/ ١٦٦)، وأبو نُعيم في «الدَّلائل» (٨٢)، والبيهقيُّ في «الدَّلائل» (١/ ١٢٦)؛ من حديث مخزوم بن هانئ المخزوميِّ، عن أبيه، في حديث طويل.
ولم نقف لمخزوم على ترجمة، وأمَّا أبوه هانئ فقد قال ابن الأثير وابن حجر: «ليس في الحديث ما يدلُّ على صُحبته». «أسد الغابة» (٤/ ٦٠٦)، و«الإصابة» (١١/ ٢٠٣).
وقال أبو منصور الأزهريُّ عن هذا الحديث: «حسن غريب»، وقال الذَّهبيُّ: «منكر غريب». «تهذيب اللُّغة» (٤/ ١٦٢)، و«تاريخ الإسلام» (١/ ٤٩١).

(٦) في الأصل: «أبو».

(٧) أخرجه ابن سعد في «الطَّبقات» (٢٥٠) من حديث عبد اللَّه بن عبَّاس رضي اللَّه عنهما بإسناد ضعيف. =

ومن ذلك: إظلال اللَّه له بالغَمام[١] في سفره[٢]. إلى غير ذلك الَّذي أحصاه أصحاب الخبر[٣] والأثر.

## الأمر الثَّاني: بيان معجزاته:

وهي ما قُصد به إظهار صِدق مَن ادَّعى أنَّه رسول اللَّه ﷺ.

ومن معجزاته: القرآن:

قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]؛ ولهذا لمَّا سمع الوليد بن المغيرة من النَّبيِّ ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ الآية [النَّحل: ٩٠]، قال: «واللَّه، إنَّ له لحلاوة،

---

= وأخرجه أبو نُعيم في «الدَّلائل» (١٠٤) من طريق عبد اللَّه بن كعب بن مالك، عن شيوخ من قومه، وإسناده ضعيف جدًّا. وله روايات أخرى مرسَلة.

(١) في الأصل: «الغمام».

(٢) أخرجه التِّرمذيُّ (٣٦٢٠)، والبزَّار (٣٠٩٦)، والحاكم (٢/ ٦١٦)؛ من حديث أبي موسى الأشعريِّ رضي اللَّه عنه، في قصَّة خروج النَّبيِّ ﷺ مع عمِّه أبي طالب إلى الشَّام.

وقال التِّرمذيُّ: «حسن غريب»، وقال الحاكم: «صحيح، على شرط الشَّيخين»، وتعقَّبه الذَّهبيُّ فقال: «أظنُّه موضوعًا؛ فبعضه باطل».

والحديث تفرَّد به قُراد أبو نوح ـ وهو ثقة له أفراد ـ عن يونس بن أبي إسحاق ـ وهو صدوق يَهِم قليلًا ـ؛ كما في «التَّقريب» (٣٩٧٧، ٧٨٩٩)؛ لذا فقد ذكر الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (١/ ٦٤٣): أنَّ رجال إسناده ثقات.

والقصَّة بها ألفاظ استنكرَها غير واحد من الحفَّاظ ـ منهم ابن حجر نفسه ـ تتعلَّق بذِكر أبي بكر وبلال رضي اللَّه عنهما في هذا الحديث، رغم استحالة حدوث ذلك، وهذا ما حَدا بالذَّهبيِّ للحُكم على القصَّة برُمَّتها بالوضع، والتَّفصيل أولى، واللَّه أعلم.

(٣) في الأصل: «الخير».

[٤/ ظ] وإنَّ عليه لطُلاوة(١)، وإنَّ أسفله لمُغدِق(٢)، وإنَّ أعلاه لمُثمِر، ما يقول هذا بَشَرٌ»(٣)، وإنَّما هذا كلام خالق القُوَى والقُدَر.

ومنها: أنَّ أبا بكر الصِّدِّيق قال: «نظرتُ إلى أقدام المشركين على رءوسنا ونحن في الغار، فقلت: يا رسول اللَّه، لو أنَّ أحدهم نظر إلى قدمه أبصَرَنا، فقال: «يا أبا بكرٍ، ما ظَنُّكَ بِاثنَينِ اللَّهُ ثالِثُهُما»(٤)؛ قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التَّوبة: ٤٠].

ومنها: «أنَّ عبد اللَّه بن سَلَام سمع بمَقدَم رسول اللَّه ﷺ وهو في أرض يَختَرِف ـ أي: يجمع التَّمر(٥) ـ، فأتى النَّبيَّ ﷺ فقال: إنِّي أسألك عن ثلاث لا يعلمهنَّ إلَّا نبيٌّ: فما أوَّل أشراط السَّاعة؟ وما أوَّل طعام أهل الجنَّة؟ وما يَنزِع(٦) الولدُ؛ إلى أبيه أو إلى أمِّه؟ قال: [٥/ و] «**أَخبَرَني بِهِنَّ جِبريلُ آنِفًا؛ أَمَّا أَوَّلُ أشراطِ السَّاعةِ فَنَارٌ تَحشُرُ النَّاسَ مِن المَشرِقِ إلى المَغرِبِ، وأَمَّا أَوَّلُ طعامٍ يَأكُلُهُ أهلُ**

---

(١) الطَّلاوة ـ مثلَّثة ـ: الحُسن، والرَّونَق، والبهجة، والعُذوبة.

(٢) الغَدَق: الماء الكثير. والشَّجرة إذا كان أصلها غدقًا كانت نامية مخضرَّة مثمرة.

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٠٦)، وعنه البيهقيُّ في «الشُّعب» (١٣٣)، وفي «الدَّلائل» (٢/ ١٩٨)، وأخرجه الواحديُّ في «أسباب النُّزول» (٤٣٦)؛ من حديث عبد اللَّه بن عبَّاس رضي اللَّه عنهما، وقال الحاكم: «صحيح الإسناد، على شرط البخاريِّ»، وقال البيهقيُّ ـ بعد أن أورد للحديث عدَّة شواهد مرسَلة ـ: «وكلُّ ذلك يؤكِّد بعضُه بعضًا».

وقال العراقيُّ في «المغني عن حمل الأسفار» (١/ ٢٢٣): «سنده جيِّد».

(٤) أخرجه البخاريُّ (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١)؛ من حديث أبي بكر رضي اللَّه عنه.

(٥) في الأصل: «التمن»!

(٦) كُتب فوقها في الأصل بخطٍّ دقيق: «أي: يُشبه».

الجَنَّةِ فَزِيادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وإذا سَبَقَ ماءُ الرَّجُلِ ماءَ المَرأَةِ نَزَعَ الولَدَ، وإذا سَبَقَ ماءُ المَرأَةِ نَزَعَتْ»، قال: أشهد أن لا إله إلَّا اللَّه، وأنَّك رسول اللَّه، يا رسول اللَّه، إنَّ اليهود قوم بُهت، وإنَّهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يَبهَتوني، فجاءت اليهود، فقال رسول اللَّه ﷺ: «أيُّ رَجُلٍ عبدُ اللَّهِ فِيكُم؟» قالوا: خَيرُنا وابن خَيرِنا، وسيِّدُنا [و] ابن سيِّدِنا، قال: «أَرَأَيتُم إنْ أَسلَمَ عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ؟» قالوا: أعاذَه اللَّهُ من ذلك، فخرج عبد اللَّه فقال: أشهد أن لا إله إلَّا اللَّه، وأنَّ محمَّدًا رسول اللَّه، فقالوا(١): شرُّنا وابن شرِّنا، فانتَقَصُوه(٢)، قال: هذا الَّذي كنت [٥/ ظ] أخاف يا رسول اللَّه»(٣).

ومنها: أنَّ سعد بن أبي وقَّاص قال: «رأيت(٤) عن يمين رسول اللَّه ﷺ وعن شماله يومَ أُحُد رجلين عليهما ثيابٌ بِيضٌ، يقاتِلان(٥) كأشدِّ القِتال، ما رأيتُهما قبل ولا بعدُ»، يعني: جبرائيل وميكائيل(٦).

ومنها: أنَّ جابرًا قال: «عطش النَّاس يوم الحُدَيبية، ورسول اللَّه بين يديه رِكْوة(٧)، فتوضَّأ منها ثمَّ أقبل النَّاس نحوه، قالوا: ليس عندنا ماء نتوضَّأ به ونشرب إلَّا ما في رِكْوَتك، فوضع النَّبيُّ ﷺ يده في الرِّكوة، فجعل الماء يَنبُع ويَفُور من

---

(١) في الأصل: «فقال».

(٢) في الأصل: «فانتقضوه».

(٣) أخرجه البخاريُّ (٣٣٢٩) من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه.

(٤) في الأصل: «أرأيت».

(٥) في مصادر التَّخريج: «يُقاتِلانِ عنه».

(٦) أخرجه البخاريُّ (٤٠٥٤)، ومسلم (٢٣٠٦).

(٧) الرّكوة ـ مثلّثة ـ: إناء صغير من جِلد يُشرب فيه الماء.

بين أصابعه كأمثال العيون! قال: فشَرِبنا وتوضَّأنا». قيل لجابر: كم كنتم؟ قال: «لو كنَّا مئة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مئة»(١)(٢).

وقال سهل بن سعد: قال رسول اللَّه ﷺ يوم خيبر: «**لأُعْطِيَنَّ هذه الرَّايةَ غَدًا رَجُلًا يفتَحُ اللَّهُ** [٦/ و] **على يَدَيهِ، يُحِبُّ اللَّهَ ورَسُولَهُ ويُحِبُّهُ اللَّهُ ورَسُولُهُ**»، فلمَّا أصبَح النَّاس غدَوا - أي: أتَوا وقت الغَداة - على النَّبيِّ ﷺ، فقال: «**أين عليُّ بنُ أبي طالِبٍ رضي الله عنه؟**» فقالوا: هو يا رسول اللَّه يشتكي عَينَيه، فأُتي به، فبَصَق في عَينَيه ودعا له، فبَرَأ حتَّى كأن لم يكن به وَجَع، فأعطاه الرَّاية(٣).

ومنها: أنَّ أَنَسًا قال: نَعَى النَّبيُّ ﷺ زيدًا وجعفرًا وابنَ رَواحة للنَّاس قبل أن يأتيهم خبرُهم، فقال: «**أَخَذَ الرَّايةَ زَيدٌ**(٤) **فَأُصِيبَ، ثمَّ أَخَذَ جعفرٌ فَأُصِيبَ، ثمَّ أَخَذَ ابنُ رَوَاحةَ فَأُصِيبَ** - وعَيناهُ تَذرِفانِ -، **حتَّى أَخَذَ الرَّايةَ سَيفٌ مِن سُيُوفِ اللَّهِ تعالى** - يعني: خالدَ بنَ الوليدِ -، **حتَّى فَتَحَ اللَّهُ عليهم**»(٥).

قال أَنَس: «إنَّ رجلًا كان يكتب للنَّبيِّ ﷺ، فارتَدَّ عن الإسلام، ولَحِق بالمشركين(٦)، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ الأَرضَ لا تَقبَلُهُ**»، فأخبَرني أبو طلحة أنَّه

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٣٥٧٦)، ومسلم (١٨٥٦) مختصَرًا.

(٢) مقابله في الأصل حاشية نصُّها: «قال البَرَاء بن عازِب: [الحُديبية بئر]، فنزَحْناها فلم نترك [فيها قَطرة]، فبلغ ذلك النَّبيَّ ﷺ... وساق الحديث، [...] زيادة ليست في [حديث] جابر».
وهذا الحديث المشار إليه أخرجه البخاريُّ (٣٥٧٧).

(٣) أخرجه البخاريُّ (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٤) في الأصل: «زيدًا»!

(٥) أخرجه البخاريُّ (٣٧٥٧).

(٦) مقابله في الأصل حاشية نصُّها: «وهو عبد اللَّه بن أبي السَّرح».

أتى الأرض الَّتي مات فيها، فوجده مَنبُوذًا، فقال: ما شأن هذا؟ فقال: دَفَنَّاه مِرارًا [٦/ ظ] فلم تَقبَله الأرض»(١).

وقال أَنَس: «جاء جبريل إلى النَّبيِّ ﷺ وهو جالس حزين قد تخضَّب بالدَّم من فِعل أهل مكَّة، قال: «يا رسولَ اللَّهِ، هل تُحِبُّ أن نُرِيَكَ آيةً؟» قال: «نَعَم»، فنظر إلى شجرة من ورائه فقال: «ادْعُ بِها»، فدعا بها فجاءت فقامت بين يديه، فقال: «مُرْهَا فَلتَرجِع»، فرجعتْ، قال رسول اللَّه: «حَسبِي، حَسبِي»»(٢).

قال ابن عمر: «كنَّا مع النَّبيِّ في سفر فأقبَل أعرابيٌّ، فلمَّا دَنَا له قال له رسول اللَّه ﷺ: «أتَشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ له، وأنَّ محمَّدًا عَبدُهُ [وَرَسُولُهُ]؟» قال: ومَن يشهد على ما تقول؟ قال: «هذه السَّلَمةُ(٣)»، فدعاها رسول اللَّه وهي بشاطئ الوادي، فأقبَلَت تَخُدُّ(٤) الأرض حتَّى قامت بين يديه، فاستشهَدَها ثلاثًا أنَّه كما قال، ثمَّ رجعتْ إلى مَنبَتِها»(٥).

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٢١٥)، وابن حبَّان (٧٤٤) بنحوه، وأصله عند البخاريِّ (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦)، لكن بسِياق مختلف، وليس فيه ألفاظ مرفوعة إلى النَّبيِّ ﷺ.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٨) من طريق أبي سفيان، عن أنس رضي اللَّه عنه.
وقال البوصيريُّ في «مصباح الزُّجاجة» (٤/ ١٨٩): «هذا إسناد صحيح إن كان أبو سفيان ـ واسمه طلحة بن نافع ـ سمع من جابر [كذا، والصَّواب: أنس]».
وأمَّا سماع أبي سفيان من أنس رضي اللَّه عنه؛ فقد قال أبو حاتم: «إنَّه يحتمل». «المراسيل» (٣٥٩).

(٣) هي شجرة ذات شوك. وفي رواية: «هذه السَّمُرة»، والسَّمرة من شجر الطَّلح (المَوز).

(٤) أي: تَشُقُّ. وقد تصحَّفت في الأصل إلى: «تخر».

(٥) أخرجه الدَّارميُّ (١٦)، وأبو يعلى (٥٦٦٢)، وابن حبَّان (٦٥٠٥)؛ من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما.
وقال ابن كثير: «إسناده جيِّد». «البداية والنِّهاية» (٨/ ٦٧٨).

ويُلحَق بما ذُكر: ما رواه الواقديُّ(١): «أنَّ النبيَّ عليه السلام وجَّه رُسُلَه للملوك، فخرج ستَّة نفر منهم في يوم واحد، فأصبح كلُّ رجل منهم يتكلَّم بلسان القوم الَّذين بعثه [٧/ و] إليهم».

وذُكر في كتاب «المصباح المضيِّ في كتَّاب النَّبيِّ الأمِّيِّ»(٢): «أنَّ في خبر مفتاح الكعبة إظهار معجزة النَّبيِّ ﷺ؛ فإنَّ عثمان بن طلحة الحَجَبيَّ قال:

كنَّا نفتح الكعبة في الجاهليَّة يوم الإثنين والخميس، فأقبَل النَّبيُّ ﷺ يومًا يريد أن يدخل الكعبة مع النَّاس، فأغلظتُ له ونِلتُ منه، فحلم عنِّي ثمَّ قال: «**يا عثمانُ، لعلَّكَ سَتَرى هذا المِفتاحَ يومًا بيَدِي، أَضَعُهُ حيثُ شِئتُ**»، فقلتُ: هلَكَت قريشٌ يومئذ وذَلَّت، قال: «**بل عَمَرَتْ وعَزَّتْ يومئذٍ**»، ودخل الكعبة، فلمَّا كان يوم فتح مكَّة ورُكزت رايتُه بالحَجُون(٣) عند مسجد الفتح، ونهض النَّبيُّ ﷺ والمهاجِرون والأنصار حوله، وبين يديه وخلفه، حتَّى دخل المسجد، فأقبَل إلى الحجر الأسود فاستَلَمَه، ثمَّ طاف بالبيت وبيده قوس، وكان طوافه على راحلته، ولم يكن مُحرِمًا [٧/ ظ] يومئذ، فاقتَصَر على الطَّواف حول البيت، وعليه ثلاث مئة وستُّون صنمًا، فجعل يَطعُنُها بالقوس ويقول: ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩]، والأصنام تتساقط على وجوهها ـ ورُوي: أنَّها كانت مثبَّتة

---

(١) ورواه عنه ابن سعد في «الطَّبقات الكبير» (١/ ٢٢٢) عن ابن عبَّاس، والعلاء بن الحضرميِّ، وعمرو بن أميَّة، والشِّفاء بنت عبد الله رضي الله عنهم، والمِسوَر بن رِفاعة، وجعفر بن عبد الله المدنيِّ.

(٢) (٢/ ٢٣٨) وما بعدها.

(٣) جبل بأعلى مكَّة، عنده مدافن أهلها.

أرجلها بالرَّصاص ـ، وبعث رسول اللَّه ﷺ إلى الأصنام الَّتي كانت حول الكعبة فكُسرت كلُّها، منها اللَّات والعُزَّى ومَناة الثَّالثة الأخرى، ونادى مناديه بمكَّة: من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخِر فلا يَدَع في بيته صنمًا إلَّا كسره، ثمَّ دعا النَّبيُّ ﷺ عثمانَ بن طلحة فأخذ منه مِفتاح الكعبة، فأمر بها ففُتحت، فدخلها فرأى الصُّوَر، فأمر بها فمُحيت، ثمَّ صلَّى ودار في البيت، وكبَّر في نواحيه ووحَّد اللَّهَ، ثمَّ فتح الباب، فأخذ بعِضادَتَي[1] الباب فقال: «**لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعدَهُ،** [٨/ و] **ونَصَرَ عَبدَهُ، وهَزَمَ الأحزابَ وَحدَهُ**»، ثمَّ قام[2] إليه عليٌّ ـ وفي رواية: العبَّاسُ ـ في رجال من بني هاشم، ومِفتاح الكعبة في يده، فقال: يا رسول اللَّه، اجمع لنا الحِجابة مع السِّقاية، فقال رسول اللَّه: «**أين عثمانُ بنُ طَلحةَ؟**» فدُعي له، فقال: «**هَاكَ مِفتاحَكَ يا عثمانُ، اليومُ يومُ بِرٍّ وَوَفاءٍ، خُذُوها خالِدةً تالِدةً، لا يَنزِعُها منكم إلَّا ظالمٌ، يا عثمانُ، إنَّ اللَّهَ استَأمَنَكُم على بَيتِهِ، فكُلُوا ممَّا يَصِلُ إليكم مِن هذا البيتِ بالمعروف**»، قال: فلمَّا ولَّيتُ ناداني فرجعت إليه، فقال: «**ألم يَكُنِ الَّذي قلتُ لك؟**» قال: فذكرتُ قوله في الجاهليَّة قبل الهجرة: «**لعلَّك سَتَرى هذا المِفتاحَ بِيَدِي أَضَعُهُ حيث شِئتُ**»، فقلتُ: بلى، أشهد أنَّك رسول اللَّه[3]».

إلى غير ذلك من المعجزات الظَّاهرات، وعلامات النُّبوَّة الباهرة. [٨/ ظ]

---

(١) عِضادتا الباب: خشبتان منصوبتان مثبَّتتان في الحائط على جانبيه.

(٢) في الأصل: «أقام».

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطَّبقات الكبير» (٥٧٨٣)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٨/ ٣٨٢)، وفيه الواقديُّ، وهو متروك، كما في «التَّقريب» (٦١٧٥)، وفيه أيضًا إبراهيم بن محمد العَبدَريُّ، قال الذَّهبيُّ في «تاريخ الإسلام» (٤/ ٨٠٤): «صالح الحديث، وله مناكير».

الأمر الثَّالث: أنَّ فضائل النَّبيّ عليه الصلاة والسلام كثيرة، وأنَّ شمائله وخُلُقه عديدة:

قال رسول الله ﷺ: «أنا سيِّدُ وَلَدِ آدمَ يومَ القِيامةِ، وأوَّلُ مَن يَنشَقُّ عنه القبرُ، وأوَّلُ شافِعٍ وأوَّلُ مُشفَّعٍ»(١).

وقال: «أنا أكثرُ الأنبياءِ تبعًا يومَ القِيامةِ، وأنا أوَّلُ مَن يَقرَعُ بابَ الجَنَّةِ»(٢).

وقال: «آتِي بابَ الجَنَّةِ يومَ القيامةِ فأستَفتِحُ، فيقولُ الخازِنُ: مَن أنتَ؟ فأقولُ: محمَّدٌ، فيقولُ: بِكَ أُمِرتُ لا أفتَحُ لأحَدٍ قَبلَكَ»(٣).

[و] قال: «نحنُ الآخِرونَ [الأوَّلونَ] يومَ القِيامةِ، ونحنُ أوَّلُ مَن يدخُلُ الجَنَّةَ»(٤).

وقال: «نحنُ الآخِرونَ مِن أهلِ الدُّنيا، والأوَّلُونَ يومَ القِيامةِ، المَقضِيُّ لهم قَبلَ الخَلائقِ»(٥).

وقال: «أنا أوَّلُ شَفِيعٍ في الجَنَّةِ، لم يُصدَّق نَبِيٌّ من الأنبياءِ ما صُدِّقتُ، وإنَّ من الأنبياءِ نَبِيًّا ما صَدَّقَه من أُمَّتِه [٩/ و] إلَّا رجلٌ واحدٌ»(٦).

وقال رسول الله ﷺ: «أُعطِيتُ خمسًا لم يُعطَهُنَّ أحَدٌ قَبلِي: نُصِرتُ بِالرُّعبِ مَسِيرةَ شَهرٍ، وجُعِلَت لِيَ الأرضُ مَسجِدًا وطَهُورًا؛ فأيُّما(٧) رجلٍ مِن أُمَّتِي أدرَكَته

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (١٩٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٣) أخرجه مسلم (١٩٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٤) جزء من حديث أخرجه مسلم (٨٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٥) جزء من حديث أخرجه مسلم (٨٥٦) من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما.
(٦) أخرجه مسلم (١٩٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٧) تصحَّفت هذه العبارة في الأصل إلى: «مسجدًا وظهورًا قايمًا»!

**الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ، وأُحِلَّت لِيَ الغَنائمُ ولم تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبلِي، وأُعطِيتُ الشَّفاعةَ، وكان النَّبيُّ يُبعَثُ إلى قومِهِ خاصَّةً وبُعِثتُ إلى النَّاسِ عامَّةً»**(١).

وفي بعض الرِّواية: «**أُعطِيتُ جَوامِعَ الكَلِمِ، وخُتِمَ بيَ النَّبيُّونَ**»(٢).

رُوي أنَّ عمر بن الخطَّاب رضي اللَّه عنه سُمع بعد موت النَّبيِّ ﷺ يبكي ويقول:

«بأبي أنت وأمِّي؛ لقد حَنَّ الجِذع لِفراقك حتَّى جعلت يدك عليه فسَكَن، فأُمَّتك كانت أولَى بالحَنِين عليك لمَّا فارَقتَهم.

بأبي أنت وأمِّي يا رسول اللَّه؛ لقد بلغ من فضيلتك عنده [٩/ ظ] أن جعل طاعتَك طاعتَه، فقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النِّساء: ٨٠].

بأبي أنت وأمِّي يا رسول اللَّه؛ [لقد] بلغ من فضيلتك عنده أن أخبَرَك بالعفو عنك قبل أن أخبَرَك بالذَّنب، فقال: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ [التَّوبة: ٤٣].

بأبي أنت وأمِّي يا رسول اللَّه؛ لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخِر الأنبياء، وذكَرَك في أوَّلهم فقال: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ﴾ الآية [الأحزاب: ٧](٣).

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)؛ من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (٥٢٣) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه، وأوَّله: «**فُضِّلتُ على الأنبياءِ بِستٍّ**».

(٣) مقابله في الأصل حاشية نصُّها:

«بكيتُ على فراقِكَ كلَّ يومٍ وأمليتُ الجفانَ من الجفونِ
ولو كان البكاءُ بقَدْر شَوقي لأَمليتُ العيونَ من العيونِ».

بأبي أنت وأمِّي يا رسول اللَّه؛ لقد بلغ من فضيلتك عنده أنَّ أهل النَّار يَوَدُّون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذَّبون، ويقولون: ﴿يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٦].

بأبي أنت وأمِّي يا رسول اللَّه؛ لئن كان موسى بن عِمران أعطاه اللَّه حَجَرًا يتفجَّر منه الأنهار، فما ذاك بأعجب من أصابعك؛ نبع منها الماء ﷺ! [١٠/ و]

بأبي أنت وأمِّي يا رسول اللَّه؛ لئن كان سليمان أعطاه اللَّه الرِّيح غدوُّها شهر ورَواحها شهر، فما ذاك بأعجب من البُراق حين سِرتَ عليه إلى السَّماء السَّابعة، ثمَّ صلَّيتَ الصُّبح من ليلتك بالأبطَح[1] ﷺ.

بأبي أنت وأمِّي يا رسول اللَّه؛ لئن كان عيسى ابن مريم أعطاه اللَّه إحياء الموتى، فما ذاك بأعجب من الشَّاة المسمومة حين كلَّمتك وهي مشويَّة، فقال الذِّراع: لا تأكلني؛ فإنِّي مسموم.

بأبي أنت وأمِّي يا رسول اللَّه؛ لقد دعا نوح على قومه فقال: ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، ولو دعوتَ علينا مثلها لهلكنا كلُّنا، فلقد وُطِئ ظهرك، وأُدمِي وجهك، وكُسِرت رَباعيتك، فأبَيتَ أن تقول إلَّا خيرًا، فقلت: [١٠/ ظ] «**اللَّهمَّ اغفِر لِقَومي؛ فإنَّهم لا يَعلَمونَ**».

بأبي أنت وأمِّي يا رسول اللَّه؛ لقد اتَّبعك في قِلَّة سِنِّك وقِصَر عُمرك[2] ما

---

(١) يعني: أبطح مكَّة، وهو: مَسِيل الماء المتَّسع، فيه رمل وحصًى صغار.

(٢) مقابله في الأصل حاشية نصُّها: «[عن أبي بُردة، قال: أخرَجَت إلينا عائشة] رضي اللَّه عنها كِساءً مُلَبَّدًا وإزارًا غليظًا، وقالت: قُبض رسول اللَّه ﷺ في هذين». =

لم يتَّبع نُوحًا في كثرة[1] سِنِّه وطُول عُمره، ولقد آمَن بك الكثير، وما آمَن معه إلَّا قليل.

بأبي أنت وأمِّي يا رسول اللَّه؛ لو لم تجالس إلَّا كفؤًا لك ما جالَسْتنا، ولو لم تنكح إلَّا كفؤًا لك ما نَكَحتَ إلينا، ولو لم تؤاكِل إلَّا كفؤًا لك ما وَاكَلْتنا، فلقد ـ واللَّه ـ جالَسْتنا، ونَكَحتَ إلينا، ووَاكَلْتنا، ولبستَ الصُّوف، وأردفتَ خلفك، ووضعتَ طعامك بالأرض، ولعقتَ أصابعك تواضعًا منك. ﷺ»[2].

هذا، [و] قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وقال أَنَس: «خدمتُ النَّبيَّ ﷺ عشر سِنين، فما قال لي أُفٍّ، ولا لِمَ صنعتَ؟ [١١/ و] ولا أَلَا صنعتَ»[3].

وقال: «كنتُ أمشي مع النَّبيِّ ﷺ وعليه بُردٌ نجرانيٌّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ فجبَذَه بردائه جَبذة شديدة، رجع نبيُّ اللَّه عليه الصلاة والسلام في نَحر الأعرابيِّ حتَّى نظرتُ إلى صفحة عاتق رسول اللَّه ﷺ قد أثَّرت بها حاشية[4] البُرد من شدَّة جَبذته، ثمَّ قال: يا محمَّد، مُرْ لِي[5] من مال اللَّه الَّذي عندك، فالتفتَ إليه النَّبيُّ،

---

= وما بين المعقوفين مطموس في الأصل (لرداءة التَّصوير)، واستدركتُه من مصادر التَّخريج، والحديث المذكور أخرجه البخاريُّ (٥٨١٨)، ومسلم (٢٠٨٠).

(١) في الأصل: «كثر».

(٢) أورده الغزاليُّ في «الإحياء» (١/ ٣١٠)، ولم نقف له بهذا السِّياق على أصل مسنَد.

(٣) أخرجه البخاريُّ (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩).

(٤) في الأصل: «الحاشية».

(٥) في الأصل: «مرني»، أو كلمة نحوها.

ثمَّ ضحك، ثمَّ أمر له بعطاء»(١).

وقالت عائشة: «إنَّ رسول اللَّه ﷺ لم يكن يَسرُد الحديث كسَرْدكم(٢)، كان يحدِّث حديثًا لو عَدَّه العادُّ لأحصاهُ»(٣).

وسُئلت عائشة: «ما كان النَّبيُّ يصنع في بيته؟ قالت(٤): كان في مِهنة أهله ـ تعني: خِدمة أهله ـ، فإذا حضرتِ(٥) الصَّلاة خرج إلى الصَّلاة»(٦). [١١/ ظ]

وعنها، أنَّها قالت: «ما خُيِّر رسول اللَّه ﷺ بين أمْرين قَطُّ إلَّا أخذ أيسرَهما(٧)، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد النَّاس منه، وما انتقم رسول اللَّه ﷺ لنَفْسه في شيء قَطُّ، إلَّا أن تُنتَهَك حُرمة اللَّه تعالى، فينتقم للَّه(٨) بها»(٩).

وعن عائشة، أنَّها قالت: يا رسول اللَّه، هل أتى عليك يوم كان أشدَّ من يوم أُحُد؟ فقال: «لقد لَقِيتُ مِن قَومِكِ، وكان أَشَدَّ ما لَقِيتُ منهم يومَ العَقَبةِ(١٠)؛ إذ عَرَضتُ نَفْسي على ابنِ عبدِ ياليِلَ بنِ كُلالٍ(١١)، فلم يُجِبني إلى ما أَردتُ،

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٣١٤٩)، ومسلم (١٠٥٧)؛ من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٣٥٦٨)، ومسلم (٢٤٩٣).

(٣) أخرجه البخاريُّ (٣٥٦٧)، ومسلم (٢٤٩٣).

(٤) في الأصل: «قال».

(٥) في الأصل: «حضر».

(٦) أخرجه البخاريُّ (٦٧٦).

(٧) في الأصل: «يسرهما».

(٨) في الأصل: «اللَّه».

(٩) أخرجه البخاريُّ (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧).

(١٠) مقابله في الأصل حاشية نصُّها: «أي: يوم جَمرة العَقَبة، عَرَض نَفْسه فيه على القبائل فأبَوا، واشتدَّ ذلك عليه عليه السلام».

(١١) مقابله في الأصل حاشية نصُّها: «وهو مَلِك الطَّائف».

فانطلَقتُ وأنا مهمومٌ على وجهي، فلم أَستَفِق إلَّا بقَرنِ الثَّعالِبِ[(١)]، فرَفَعتُ رأسي فإذا بسَحابةٍ قد أَظَلَّتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ، فناداني فقال: إنَّ اللَّهَ قد سَمِعَ قَولَ قَومِكَ، وما رَدُّوا عليك، [١٢/و] وقد بَعَثَ إليكَ مَلَكَ الجِبالِ لِتَأمُرَهُ بما شِئتَ فيهم، قال: فناداني مَلَكُ الجِبالِ وسَلَّمَ عَلَيَّ ثمَّ قال: يا محمَّدُ، إنَّ اللَّهَ قد سَمِعَ قَولَ قَومِكَ، وأنا مَلَكُ الجِبالِ، وقد بَعَثَني رَبُّكَ إليكَ لِتَأمُرَني بأَمرِكَ؛ إن شِئتَ أن أُطبِقَ عليهِم[(٢)] الأخشَبَينِ[(٣)]، فقال له رسول اللَّه ﷺ: بل أَرجُو أن يُخرِجَ اللَّهُ مِن أَصلابِهِم مَن يَعبُدُ اللَّهَ وَحدَهُ لا يُشرِكُ به شَيئًا»[(٤)].

ولقد أنزل اللَّه تعالى عليه القرآن وأدَّبه به؛ فكان خُلقه القرآن.

قال سعد[(٥)] بن هشام: دخلتُ على عائشة رضي اللَّه عنها فسألتُها عن أخلاق النَّبيِّ ﷺ، فقالت: «أَمَا تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: كان خُلُق النَّبيِّ ﷺ القرآن»[(٦)].

وأمَّا تأديبه بالقرآن: فبمِثل قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. الآية، وبقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ الآية [النحل: ٩٠]، وبقوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، إلى غير ذلك؛ من قوله تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [فصّلت: ٣٤]، [١٢/ظ] وقوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ﴾ [المائدة: ١٣]، ونحوهما.

---

(١) موضع قرب مكَّة. (٢) في الأصل: «عليه».

(٣) مقابله في الأصل حاشية نصُّها: «وهما جبلان بمكَّة ومِنًى».

(٤) أخرجه البخاريُّ (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(٥) في الأصل: «سعيد»، وهو خطأ. (٦) أخرجه مسلم (٧٤٦).

وعن عائشة رضي اللَّه عنها، أنَّها قالت: «قلتُ: يا رسول اللَّه، ألا تستطعِم اللَّهَ فيُطعِمك، قالت: وبكيتُ لِما رأيتُ به من الجوع، فقال: يا عائشةُ، والَّذي نَفْسي بيَدِهِ، لو سألتُ رَبِّي أن يُجرِيَ معي جبالَ الدُّنيا ذَهَبًا وَفِضَّةً لأَجرَاها[١] حيثُ شِئتُ من الأرضِ، ولكن اختَرتُ جُوعَ الدُّنيا على شِبَعِها، وفقرَ الدُّنيا على غِناها، وحُزنَ الدُّنيا على فَرَحِها، يا عائشةُ، إنَّ الدُّنيا لا تَنبَغي لمُحمَّدٍ ولا لآلِ مُحمَّدٍ، يا عائشةُ، إنَّ اللَّهَ تعالى لم يَرضَ لأُولِي العَزمِ إلَّا بِالصَّبرِ على مَكرُوهِ الدُّنيا، والصَّبرِ عن مَحبُوبِها، ثمَّ لم يَرضَ لِي إلَّا أن يُكَلِّفَني مِثلَ ما كَلَّفَهُم، فقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، [وإنِّي] - واللَّهِ - ما لِي بُدٌّ مِن طاعَتِهِ، وإنِّي - واللَّهِ - لأَصبِرَنَّ كما صَبَرُوا بجَهدِي[٢]، ولا قُوَّةَ إلَّا بِاللَّهِ»[٣].

ثمَّ إنَّ رسول اللَّه ﷺ كان أحلَم النَّاس وأرغَبهم في العفو مع القُدرة؛ حتَّى أُتي بقلائد ذهب وفضَّة فقسَمَها بين أصحابه، [١٣/ و] فقام رجل من أهل البادية فقال: يا محمَّد، واللَّه لئن أمرك اللَّه تعالى أن تعدل فما أراك تعدل!! فقال: «وَيحَكَ، مَن يَعدِلُ عَلَيكَ بَعدِي؟!» فلمَّا وَلَّى قال: «رُدُّوهُ عَلَيَّ رُوَيْدًا»[٤].

---

(١) في الأصل: «لأجرها».

(٢) كذا، وفي مصادر التَّخريج: «جَهدِي»، وفي بعضها: «ولأجهدَنَّ».

(٣) أخرجه المستغفريُّ في «دلائل النُّبوَّة» (٤٦٤)، والدَّيلميُّ في «مسند الفردوس» [كما في «الغرائب الملتقطة» (٣٢٨٧)] مختصرًا.

وفيه مُجالِد بن سعيد، قال الحافظ في «التَّقريب» (٦٤٧٨): «ليس بالقويِّ، وقد تغيَّر في آخر عمره». وعقَّب العراقيُّ الحديث قائلًا: «مُجالِد مختلَف في الاحتجاج به». «المغني عن حمل الأسفار» (٢/ ١١٠٣).

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (٩٦٧)، وأبو الشَّيخ في «أخلاق النَّبيِّ» (٧١) من حديث =

وإنَّ رجلًا من اليهود سحَره، فأخبره جبريل بذلك، حتَّى استخرَجه وحَلَّ العُقَد، ووجد بذلك خِفَّة، وما ذكر ذلك لليهوديِّ، ولا أظهَرَه عليه قَطُّ(١).

وقَسَم رسول اللَّه ﷺ قِسمة، فقال رجل من الأنصار: هذه قِسمة ما أُريد بها وجه اللَّه، فذُكر ذلك للنَّبيِّ ﷺ، فاحمَرَّ وجهه، وقال: «رَحِمَ اللَّهُ أَخِي مُوسى؛ قد أُوذِيَ بأكثَرَ مِن هذا فَصَبرَ»(٢).

وكان رسول اللَّه ﷺ يقول: «لا يُبَلِّغْنِي أَحَدٌ منكم عن أَحَدٍ من أَصحابِي شَيئًا؛ فإنِّي أُحِبُّ أن أَخرُجَ إليكُم وأنا سَلِيمُ الصَّدرِ»(٣).

وتوفِّي رسول اللَّه ﷺ يوم الإثنين، لاثنتي عشرة من ربيع الأوَّل، ودُفن ليلة الثُّلاثاء، وقيل: ليلة الأربعاء، وله ثلاث وستُّون سنةً ـ على الصَّحيح ـ.

اللَّهمَّ اجعلنا من السَّالِكِين في طريقته برحمتك، وأدخِلنا تحت شفاعته بعفوك ومغفرتك، وشفاعتك بعفوك(٤). [١٣/ ظ]

* * *

= عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما. وقال العراقيُّ في «المغني» (١/ ٦٧٥): «إسناده جيِّد».

(١) أخرجه البخاريُّ (٣٢٦٨)، ومسلم (٢١٨٩)؛ من حديث عائشة رضي اللَّه عنها.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢)؛ من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٦٠)، والتِّرمذيُّ (٣٨٩٦، ٣٨٩٧)؛ من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه، وقال التِّرمذيُّ: «وقد رُوي هذا الحديث عن عبد اللَّه بن مسعود، عن النَّبيِّ ﷺ شيئًا من هذا من غير هذا الوجه».

(٤) كذا.

# الباب الثاني

## في شَرَف أهل البيت، وفي فضائل أزواج النَّبيِّ ﷺ

قال اللَّه تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣][١].

قال رسول اللَّه ﷺ: «أيُّها النَّاسُ، إنَّما أنا بَشَرٌ، يُوشِكُ أن يَأتِيَني رَسُولُ ربِّي فأُجِيبَ، وأنا تارِكٌ فِيكُم الثَّقَلَينِ: أَوَّلُهُما كتابُ اللَّهِ، فيه الهُدى والنُّورُ، فَخُذُوا بكِتابِ اللَّهِ واستَمسِكُوا به، وأهلُ بَيتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ في أهلِ بَيتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ في أهلِ بَيتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ في أهلِ بَيتِي[٢]»[٣].

ولمَّا نزل قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ[٤] أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ الآية [آل عمران: ٦١] دعا النَّبيُّ ﷺ عليًّا وفاطمة وحَسَنًا وحُسَينًا، فقال: «اللَّهمَّ هؤلاءِ أهلُ بَيتِي»[٥].

---

(١) مقابله في الأصل حاشية نصُّها: «[...] أنَّ أبا حنيفة رحمه اللَّه قال: أتدرون لِم يُبغضنا أهل الشَّام؟ [قلنا: لا]، قال: لأنَّا لو حضرنا عسكر عليِّ بن أبي طالب لكُنَّا مع عليٍّ على [...]، ثمَّ [قال]: أتدرون لِم يُبغضنا أهل [...]؟ قلنا: لا، قال: لأنَّا نحبُّ [في الأصل: نحن] أهل بيت النَّبيِّ ﷺ، وخلافة عليِّ بن أبي طالب [...] لا يحبُّوننا؛ فلذلك لا [...]. انتهى».

(٢) وردت هذه العبارة في الأصل أربع مرَّات، ولعلَّه سهو من النَّاسخ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقَم رضي اللَّه عنه.

(٤) رُسمت في الأصل هكذا: «قل تعالوا ندعوا».

(٥) أخرجه مسلم (٢٤٠٤) من حديث سعد بن أبي وقَّاص رضي اللَّه عنه، بلفظ: «اللَّهمَّ هؤلاءِ أهلي».

عن عائشة، أنَّها قالت: «خرج النَّبيُّ ﷺ غَداةً وعليه مِرْطٌ مُرَحَّلٌ[١] من شَعر أسود، فجاء الحسن بن عليٍّ فأدخَلَه، ثمَّ جاء الحسين فأدخَلَه، ثمَّ جاءت فاطمة فأدخلَها، ثمَّ جاء عليٌّ فأدخَلَه، ثمَّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]»[٢].

وعن زيد بن أَرقَم: أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال لعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين: [١٤/ و] «أنا حَربٌ لِمَن حارَبَهُم، وسِلْمٌ لِمَن سالَمَهُم»[٣].

ورُوي عن عائشة، أنَّها سُئلت: «أيُّ النَّاس كان أحبَّ إلى رسول اللَّه ﷺ؟ قالت: فاطمة، فقيل: مِن الرِّجال؟ قالت: زَوجُها عليٌّ رضي اللَّه عنه»[٤].

قال النَّبيُّ ﷺ: «فاطِمةُ بَضْعةٌ مِنِّي؛ فمَن أغضَبَها أغضَبَني»[٥].

وقال النَّبيُّ عليه الصلاة والسلام: «إنَّ الحَسَنَ والحُسَينَ[٦] هما رَيحانايَ مِن الدُّنيا»[٧].

عن أَنَس، أنَّه قال: سُئل رسول اللَّه ﷺ: أيُّ أهل بيتك أحبُّ إليك؟ قال: «الحَسَنُ

---

(١) المِرط: هو الكساء الَّذي يكون من صُوف، وربَّما كان من حرير أو غيره. والمرحَّل: الَّذي قد نُقش فيه تصاوير الرِّحال.

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٨١، ٢٤٢٤) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها.

(٣) أخرجه بنحوه التِّرمذيُّ (٣٨٧٠)، وابن ماجه (١٤٥)، وقال التِّرمذيُّ: «حديث غريب».

(٤) أخرجه التِّرمذيُّ (٣٨٧٤)، والنَّسائيُّ في «السُّنن الكبرى» (٨٤٤٢)، وقال التِّرمذيُّ: «حديث غريب».

(٥) أخرجه البخاريُّ (٣٧١٤)، ومسلم (٢٤٤٩)؛ من حديث المِسوَر بن مَخرَمة رضي اللَّه عنه.

(٦) مقابله في الأصل حاشية نصُّها: «إنَّ الحسن كنيته أبو محمَّد، وإنَّ الحسين كنيته أبو عبد اللَّه».

(٧) أخرجه البخاريُّ (٣٧٥٣) من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما، بنحوه.

والحُسَينُ»، وكان يقول لفاطمة: «ادْعِ[1] ليَ ابنَيَّ»، فيَشمُّهما ويَضمُّهما إليه[2].

قال عليه الصلاة والسلام: «الحَسَنُ والحُسَينُ سَيِّدا شَبابِ أهلِ الجَنَّةِ»[3][4].

وعن أبي بَكرَة[5]، أنَّه قال على المنبر: رأيتُ النَّبيَّ ﷺ والحسن بن عليٍّ إلى جنبه، وهو يُقبِل على النَّاس مرَّة وعليه أخرى، ويقول: «إنَّ ابْنِي هذا سيِّدٌ، ولعلَّ اللَّهَ أن يُصلِحَ به بين فِئَتَينِ عَظِيمَتَينِ مِن المُسلِمِينَ»[6].

وروى البخاريُّ[7]: «أنَّ أبا بكر كان يمشي وعليٌّ إلى جنبه، ومرَّ بالحسن يلعب مع الغلمان، فحمله أبو بكر على رقبته وهو [١٤/ ظ] يقول: بأبي أنتَ شبيهٌ بالنَّبيِّ، ليس شبيهًا بعليٍّ. وعليٌّ يضحك».

وقال النَّبيُّ ﷺ: «حُسَينٌ مِنِّي، وأنا مِن حُسَينٍ»[8].

---

(١) كذا والَّذي في مصادر التَّخريج: «ادعي»؛ وهو الجادَّة.

(٢) أخرجه التِّرمذيُّ (٣٧٧٢)، وقال: «حديث غريب».

(٣) أخرجه التِّرمذيُّ (٣٧٦٨)، والنَّسائيُّ في «السُّنن الكبرى» (٨١١٣)؛ من حديث أبي سعيد الخُدريِّ رضي اللَّه عنه، وقال التِّرمذيُّ: «حديث حسن صحيح».

(٤) مقابله في الأصل حاشية نصُّها: «عن شباب أهل الجنَّة، ولم يُرِد [سنَّ الشَّابِّ] لموتهما وقد اكتهلا، بل ما يفعله [الشَّباب من] المروءة، كما يقال: فلان فتًى [وإن كان شيخًا]؛ إشارة إلى مروءته». وما بين المعقوفين غير ظاهر بالأصل، واستدركتُه من «شرح المصابيح» لابن المَلَك (٦/ ٤٦٨).

(٥) في الأصل: «أبي بكر»، وهو خطأ.

(٦) أخرجه البخاريُّ (٢٧٠٤).

(٧) «صحيح البخاريِّ» (٣٥٤٢) من حديث عُقبة بن الحارث رضي اللَّه عنه.

(٨) أخرجه التِّرمذيُّ (٣٧٧٥)، وابن ماجه (١٤٤)؛ من حديث يَعلَى بن مُرَّة رضي اللَّه عنه، وقال التِّرمذيُّ: «حديث حسن».

وعن عليٍّ، قال: «الحَسَن أشبَه النَّبيّ ما بين الصَّدر والرَّأس، والحُسين أشبَه النَّبيّ عليه الصلاة والسلام ما كان أسفل من ذلك»(١).

وقال رسول اللّه ﷺ: «إنَّ هذا مَلَكٌ لم يَنزِلِ الأرضَ قطُّ قبلَ هذه اللَّيلةِ، استأذَنَ رَبَّهُ أن يُسَلِّمَ عَلَيَّ، وَيُبَشِّرُنِي بأنَّ فاطمةَ سَيِّدةُ نِساءِ أهلِ الجَنَّةِ، وأنَّ الحَسَنَ والحُسَينَ سَيِّدا شَبابِ أهلِ الجَنَّةِ»(٢).

ويُحكى أنَّ الحُسين كان عند النَّبيِّ عليه الصلاة والسلام، فأراد الرُّجوع إلى أمِّه والسَّماءُ تُمطر، فدعا النَّبيُّ ﷺ حتَّى أمسَكَت السَّماء، وبلغ الحُسين منزل(٣) فاطمة(٤).

فالرَّسول لم يَرض بأن يُصيبه مَطَر، فكيف لو شاهده مقتولًا، مطروحًا بالعَراء، وقد أُبِينَ رأسُه من جسده؟!

وكان النَّبيُّ ﷺ يصلِّي يومًا فسمع بكاء صبيٍّ، فخفَّف الصَّلاة، وخرج ثمَّ رجع، فسُئل عن ذلك، فقال: «سَمِعتُ بُكاءَ صَبِيٍّ، وَظَنَنتُ أَنَّهُ الحُسَينُ»، ثمَّ قال: [١٥/ و] «اللَّهمَّ مَن أبكَى حُسَينًا فلا تَغفِرْ له»(٤).

ورُوي أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان جالسًا في المسجد، فدخلت فاطمة وهي حزينة

---

(١) أخرجه التِّرمذيُّ (٣٧٧٩)، وقال: «حديث حسن غريب».

(٢) أخرجه التِّرمذيُّ (٣٧٨١)، والنَّسائيُّ في «السُّنن الكبرى» (٨٢٤٠)؛ من حديث حذيفة رضي اللّه عنه، وقال التِّرمذيُّ: «حديث حسن غريب».

والمتن له عدَّة شواهد؛ فأمَّا كون فاطمة رضي اللّه عنها سيِّدة نساء أهل الجنَّة؛ فقد ثبت ذلك فيما أخرجه البخاريُّ (٣٦٢٤)، ومسلم (٢٤٥٠) بنحوه؛ من حديث عائشة رضي اللّه عنها.

وأمَّا كون الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنَّة؛ فقد تقدَّم قريبًا فيما صحَّحه التِّرمذيُّ.

(٣) في الأصل: «منزلة».

(٤) لم نقف عليه.

باكية، فقال عليه الصلاة والسلام: «يا قُرَّةَ عَينِي، ما أصابَكِ؟» قالت: غايَبتُ[١] الحَسن والحُسين، قال عليه الصلاة والسلام: «إنَّ لهما رَبًّا يَحفَظُهُما»، ثمَّ قال: «يا ذا الجَلالِ والإكرام، يا حافظَ نُوحٍ في الماءِ، ويُوسُفَ في البِئرِ، وموسى في اليَمِّ، وإبراهيمَ في النَّارِ، ومحمَّدٍ في الغارِ، ويُونُسَ في بَطنِ الحُوتِ، ويا إِلَهَ السَّماءِ والأرضِ، كُن لهما حافِظًا»، فجاء جبريل عليه السلام، وقال: «إنَّهما[٢] في حَظِيرةِ بني النَّجَّارِ نائمانِ مُتعانِقانِ، واللَّه عز وجل وَكَّلَ بهما مَلَكًا يَحفَظُهُما»، فتبسَّم النَّبيُّ ﷺ، وبشَّر فاطمة بذلك، فقام مع جماعة حتَّى أتى تلك الحظيرة، فرآهما نائمَين[٣].

ـ وفاطمة بنت رسول اللَّه ﷺ وُلدت قبل النُّبوَّة بخمس سنين، وهي أصغر بناته، تزوَّجها عليٌّ في الثَّانية من الهجرة، فولدتِ الحَسن والحُسين وزينب وأمَّ كُلثوم، [١٥/ ظ] ومُحسِن ورُقَيَّة ماتا صغيرين[٤].

وتوفِّيت بعد رسول اللَّه ﷺ بستَّة أشهر، ليلة الثُّلاثاء لثلاث خَلَون من رمضان سنة إحدى عشرة، وهي بنت ثمان وعشرين سنة ونصف[٥]، وصلَّى عليها

(١) أي: غابا عنها. راجع: «الطِّراز الأوَّل» لابن معصوم (٢/ ٣٦٦). والكلمة غير منقوطة في الأصل.

(٢) حصل اضطراب في هذا الموضع من الأصل، وصوِّب في حاشية النُّسخة.

(٣) جزء من حديث طويل أخرجه ابن المغازليِّ في «فضائل عليٍّ» (١٨٨) من حديث عبد اللَّه ابن عبَّاس رضي اللَّه عنهما، بإسناد ضعيف.

(٤) يُستدرك على المصنِّف هنا شيئان بشأن رقيَّة رضي اللَّه عنها؛ الأوَّل: أنها ليست من بنات فاطمة رضي اللَّه عنها، وإنَّما أمُّها الصَّهباء، وهي أمُّ حبيب بنت ربيعة بن بُجير، والثَّاني: أنَّها لم تَمُت صغيرة ـ على الرَّاجح ـ بل بقيت إلى أن تزوَّجت من مسلم بن عَقيل بن أبي طالب، وولدت له عبد اللَّه وعليًّا. راجع: «طبقات ابن سعد» (٣/ ١٨)، و«أنساب الأشراف» (٢/ ٧٠، ١٩٢).

(٥) مقابله في الأصل حاشية نصُّها: «[...] وغسَّلها عليٌّ رضي اللَّه عنه».

عليٌّ، وقيل: صلَّى عليها العبَّاس، ودُفنت ليلًا.

ـ ووُلد الحسن في النِّصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وأذَّن رسول اللَّه ﷺ في أُذُنه(١)، وكان له من الأولاد خمسة عشر ذكرًا وثماني(٢) بنات، وتوفِّي لخمس خلون من ربيع الأوَّل، سنة تسع وأربعين(٣)، ودُفن بالبقيع.

ـ ووُلد الحُسين في شعبان سنة أربع من الهجرة، له من الولد عليٌّ الأكبر، وعليٌّ الأصغر ـ وله العَقِب ـ، وجعفر وفاطمة وسُكَينة(٤)، وقُتل يوم الجمعة يوم عاشوراء سنة إحدى وستِّين، وهو ابن ستٍّ وخمسين وخمسة أشهر.

وعن سَلمَى ـ وهي امرأة من نساء الأنصار ـ، قالت: دخلتُ على أمِّ سَلَمة وهي تبكي، فقلتُ: ما يُبكِيكِ؟ قالت: رأيتُ رسول اللَّه ﷺ [١٦/ و] ـ تعني: في المَنام ـ وعلى رأسه ولِحيته التُّراب، فقلتُ: ما لَكَ يا رسول اللَّه؟ قال: «شَهِدتُ قَتلَ الحُسَينِ آنِفًا»(٥).

ـ هذا، ثمَّ إنَّ خديجة بنت خويلد بن أَسَد تزوَّجها رسول اللَّه ﷺ بعد زوجين وهي بنت أربعين سنة، وهي أوَّل امرأة أسلَمَت، ولم يَنكِح غيرها حتَّى

---

(١) أخرجه أبو داود (٥١٠٥)، والتِّرمذيُّ (١٥١٤)؛ من حديث أبي رافع رضي اللَّه عنه، وقال التِّرمذيُّ: «حديث حسن صحيح».

(٢) في الأصل: «وثمان».

(٣) وقيل: سنة ٥٠، وقيل: ٥١هـ. راجع: «أنساب الأشراف» (٣/ ٦٤).

(٤) وللحسين رضي اللَّه عنه من الولد أيضًا عبد اللَّه، وقد استُشهد مع أبيه في كربلاء. راجع: «طبقات ابن سعد» (٦/ ٤٠٠)، و«مقاتل الطَّالبيِّين» (ص٩٤).

(٥) أخرجه التِّرمذيُّ (٣٧٧١) من حديث أمِّ سلمة رضي اللَّه عنها، وقال: «حديث غريب».

ماتت، وجميع أولاده منها سِوى إبراهيم.

وقال عليه الصلاة والسلام: «خَيرُ نِسائِها مَريَمُ ابنةُ عِمرانَ، وخَيرُ نِسائِها خَدِيجةُ»(١).

وقال جبريل للنَّبيِّ عليه الصلاة والسلام: «يا رسولَ اللَّهِ، هذه خَدِيجةُ، اقرَأْ عليها السَّلامَ مِن رَبِّها ومِنِّي، وبَشِّرها ببَيتٍ في الجَنَّةِ مِن قَصَبٍ(٢)، لا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ»(٣).

توفِّيت بعد البَعثة بعشر سنين بنتَ خمس وستِّين سنة، ودُفنت بالحَجُون(٤)، ونزل النَّبيُّ ﷺ حفرتَها.

- وعائشة بنت أبي بكر الصِّدِّيق تزوَّجها النَّبيُّ عليه السلام قبل الهجرة بسنتين - وقيل: بثلاث - وهي بنت [١٦/ ظ] ستٍّ سنين، وبنى بها بالمدينة وهي بنت تسع، وبقيتْ عنده تسعًا، ولم يتزوَّج بِكرًا غيرها.

وقالت: «يا رسول اللَّه، لو نزلتَ واديًا فيه شجرة قد أُكل منها، ووجدتَ شجرًا لم يؤكَل منها، في أيِّها كنتَ تُرتِعُ بَعِيرَك؟ قال: «في الَّتي لم يُرتَعْ منها»، تعني: أنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يتزوَّج بِكرًا غيرها»(٥).

ورُوي أنَّه قيل له: يا رسول اللَّه، أيُّ النَّاس أحَبُّ إليك؟ قال: «عائِشةُ»، قيل: من الرِّجال؟ قال: «أَبُوها»، قيل: ثمَّ مَن؟ قال: «ثمَّ عُمَرُ»(٦).

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٣٤٣٢)، ومسلم (٢٤٣٠)؛ من حديث عليِّ بن أبي طالب رضي اللَّه عنه.

(٢) القَصَب في هذا الحديث: لؤلؤ مجوَّف واسع؛ كالقصر المُنيف.

(٣) أخرجه البخاريُّ (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢)؛ من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه.

(٤) هو: جبل بأعلى مكَّة، عنده مدافن أهلها.

(٥) أخرجه البخاريُّ (٥٠٧٧) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها.

(٦) أخرجه البخاريُّ (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤)؛ من حديث عمرو بن العاص رضي اللَّه عنه.

وقال عليه الصلاة والسلام: «وفَضلُ عائشةَ على النِّساءِ كفَضلِ الثَّريدِ على سائرِ الطَّعامِ»(١).

وقال لها النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ جبريلَ يَقرَأُ عليكِ السَّلامَ»، قالت: «وعليه السَّلام ورحمة اللَّه»(٢).

وبعث معاوية إلى عائشة بطَوق من ذهب فيه جوهر، قوِّم بمئة ألف، فقَسَمَتْه بين أزواج النَّبيِّ ﷺ(٣).

وبعث إليها ابن الزُّبير في غِرَارتين ثمانين ألفًا، أو مئة ألف، فدَعَت بطَبَق وهي يومئذٍ [١٧/ و] صائمة، فقَسَمَتْه بين النَّاس، فأمسَتْ وما عندها من ذلك درهم(٤).

وقال أبو موسى الأشعريُّ: «ما أشكَل علينا حديث قَطُّ فسأَلْنا عائشة، إلَّا وجَدْنا عندها منه عِلمًا»(٥).

وقال عُروة: «ما رأيتُ أحدًا أعلَم بالقرآن ولا بفريضة، ولا بحلال ولا بحرام، ولا بشِعر ولا بحديث العرب، ولا بنَسَب من عائشة!»(٦).

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٣٤١١)، ومسلم (٢٤٣١)؛ من حديث أبي موسى الأشعريِّ رضي اللَّه عنه.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٣٢١٧)، ومسلم (٢٤٤٧)؛ من حديث عائشة رضي اللَّه عنها.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٠٧٠٥)، وهنَّاد في «الزُّهد» (٦١٨)؛ عن عطاء بن أبي رَباح، به.
وأخرجه الحاكم (٤/ ١٣) من طريق هشام بن عُروة، عن أبيه، بنحوه.

(٤) أخرجه ابن سعد في «الطَّبقات» (١٠/ ٦٦)، وهنَّاد في «الزُّهد» (٦١٩)؛ عن أمِّ ذَرَّة المدنيَّة مولاة عائشة رضي اللَّه عنها، به.

(٥) أخرجه التِّرمذيُّ (٣٨٨٣)، وقال: «حديث حسن صحيح غريب».

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٦٥٦٧)، والآجرِّيُّ في «الشَّريعة» (١٨٩٨)، والحاكم (٤/ ١١)، وسياق الآجرِّيِّ أتمُّ.

وقال الزُّهريُّ: «لو جُمع عِلم عائشة إلى عِلم جميع أزواج النَّبيِّ ﷺ وجميع النِّساء، كان عِلم عائشة أكثر!»(١).

وتوفِّيت ليلة الثلاثاء لسبع عشرة مضت من رمضان سنة ثمان وخمسين، وهي ابنة ستٍّ وستِّين سنة، وقيل: سنة سبع وخمسين، وأوصت أن تُدفن بالبقيع، وصلَّى عليها أبو هريرة، وكان خليفة مروان بالمدينة.

ـ وحفصة بنت عمر بن الخطَّاب تزوَّجها النَّبيُّ ﷺ وطلَّقها، أو أراد أن يطلِّقها، فجاءه جبريل عليه السلام فقال: «**راجِعْها ـ أو: لا تُطلِّقها ـ؛ فإنَّها صَوَّامةٌ قَوَّامةٌ، وإنَّها زَوجَتُكَ في الجَنَّةِ**»(٢). [١٧/ ظ]

وتوفِّيت في شعبان سنة خمس وأربعين في خلافة معاوية، وهي ابنة ستِّين سنة، وقيل: ماتت في خلافة عثمان بالمدينة(٣).

ـ وأمُّ سلمة اسمها هند بنت أُميَّة، ومات زوجها سنة أربع من الهجرة، وقد أخبرها زوجها أبو سَلَمة أنَّه سمع النَّبيَّ ﷺ يقول: «**لا تُصِيبُ أحدًا مُصِيبةٌ فيَستَرجِعَ عند ذلك، ويقول: اللَّهمَّ إنِّي عندك أَحتَسِبُ مُصِيبَتِي هذه، اللَّهمَّ اخْلُفنِي فيها خيرًا منها، إلَّا أعطاهُ اللَّهُ عز وجل**»، قالت: فلمَّا توفِّي أبو سَلَمة قالت ذلك، ثمَّ قالت: مَن خيرٌ من أبي سَلَمة؟ فخطَبَها أبو بكر فأَبَت، ثمَّ خطَبَها عمر

---

(١) أخرجه الخلَّال في «السُّنَّة» (٧٥٣)، والطَّبرانيُّ في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٨٤ ح٢٩٩).

(٢) أخرجه البزَّار (١٤٠١)، والطَّبرانيُّ في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٨٨ ح٣٠٦)؛ من حديث عمَّار بن عمَّار رضي اللَّه عنه.

والحديث له عدَّة شواهد؛ فقد رُوي من حديث أنس بن مالك وعُقبة بن عامر رضي اللَّه عنهما، وغيرهما.

(٣) حكاه الدُّولابيُّ، وهو غلط من قائله؛ كما قال الحافظ في «الإصابة» (١٣/ ٢٨٧).

فأَبَت، ثمَّ خطَبَها رسول اللَّه ﷺ فقالت: مرحبًا مرحبًا برسول اللَّه، فتزوَّجها[١].

وتوفِّيت سنة تسع وخمسين، وقيل: اثنتين وستِّين، ودُفنت بالبقيع وهي بنت أربع وثمانين.

ـ وأمُّ حَبيبة اسمها رَمْلة بنت أبي سفيان، مات زوجها في الحبشة، وكانت هاجَرَت معه إليها.

وبعث رسول اللَّه ﷺ [١٨/ و] إلى النَّجاشِيِّ عمرَو[٢] بن أميَّة ليخطِبَها عليه، فبعث جارية له ـ يقال لها: أَبرَهة ـ إليها؛ فقولي لها: وَكِّلي مَن يزوِّجك، فأرسَلَت إلى خالد بن سعيد فوَكَّلَته، فلمَّا كان العشيُّ أمَر النَّجاشيُّ جعفر بن أبي طالب ومَن هناك من المسلمين فحضروا، فخطب النَّجاشيُّ فقال: الحمد للَّه المَلِك القدُّوس، السَّلام [المؤمن] المهيمِن، العزيز الجبَّار، أشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وأنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، وأنَّه الَّذي بشَّر به عيسى ابنُ مريم ﷺ، أمَّا بعد: فإنَّ رسول اللَّه ﷺ كتب إليَّ أن أزوِّجه أمَّ حبيبة، فأجَبتُ إلى ما دعا إليه رسولُ اللَّه ﷺ، وقد أصدقتُها أربعَ مئة دينار، ثمَّ سَكَب الدَّنانير بين يدي القوم، فقال خالد بن سعيد: الحمد للَّه، أحمَدُه وأستعينُه وأستنصرُه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وأنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، أرسلَه بالهُدى ودِين الحقِّ ليُظهِره على الدِّين كلِّه ولو كره المشركون، [١٨/ ظ] أمَّا بعد: فقد أجَبتُ إلى ما دعا إليه رسول اللَّه ﷺ وزوَّجتُه أمَّ حَبيبة بنت أبي سفيان، فبارَكَ اللَّه لرسول اللَّه ﷺ.

---

(١) الحديث أصله في «صحيح مسلم» (٩١٨) من حديث أمِّ سلمة رضي اللَّه عنها، بسياق آخر. أمَّا هذا السِّياق؛ فقد أخرجه بنحوه أحمد (٢٦٦٦٩)، والتِّرمذيُّ (٣٥١١) مختصرًا، وقال: «حديث حسن غريب».

(٢) تصحَّفت في الأصل إلى كلمة غير واضحة، والتَّصويب من مصادر التَّخريج.

ودفع[١] الدَّنانير إلى خالد بن سعيد، وأرادوا أن يقوموا، فقال: اجلسوا، فإنَّ سُنَّة الأنبياء إذا تزوَّجوا أن يؤكَل طعام على التَّزويج، فأكَلوا، ثمَّ قالت أَبرَهة: حاجتي إليكِ أن تُقرئي رسولَ اللَّه منِّي السَّلامَ، وتُعلِميه أنِّي قد اتَّبعتُ دِينه، فلمَّا قَدِمتُ على رسول اللَّه ﷺ أخبَرتُه، فتبسَّم النَّبيُّ، وأقرَأْتُه منها السَّلامَ، فقال: «وعليها السَّلامُ ورحمةُ اللَّهِ وبَرَكاتُهُ»[٢].

وتوفِّيت سنة أربع وأربعين[٣].

- وسَودة بنت زَمْعة كُنيتها أمُّ الأسوَد، تزوَّجها النَّبيُّ ﷺ بمكَّة بعد موت خديجة، توفِّيت في آخر خلافة عمر رضي اللَّه عنهما[٤].

- وزينب بنت جَحْش أمُّها أُمَيمة[٥] بنت عبد المطَّلب عمَّة رسول اللَّه ﷺ، [١٩/و] فلمَّا طلَّقها زيد بن حارثة وانقَضَت عِدَّتها منه تزوَّجها رسول اللَّه ﷺ، وكانت تفتخر على نساء النَّبيِّ ﷺ؛ تقول: «زَوَّجكُنَّ أهالِيكُنَّ، وزوَّجني اللَّهُ من فوق سبع سماواتٍ»[٦].

---

(١) بعدها في الأصل: «فيها»!

(٢) أخرجه بطوله ابن سعد في «الطَّبقات» (١٠/ ٩٥)، والحاكم (٤/ ٢٠)، والبيهقيُّ في «دلائل النُّبوَّة» (٣/ ٤٦١)؛ من حديث أمِّ حبيبة رضي اللَّه عنها.

وهو عند أبي داود (٢٠٨٦)، والنَّسائيِّ (٣٣٥٠)؛ من طريق آخر، مختصرًا.

(٣) وقيل: سنة ٤٢، وقيل: ٤٩، وقيل: ٥٩هـ، والأخير بعيد؛ كما قال ابن حجر في «الإصابة» (١٣/ ٣٩٤)، وراجع أيضًا: «تهذيب التَّهذيب» (٤/ ٦٧٣).

(٤) وقيل: ماتت سنة ٥٤هـ، ورجَّحه الواقديُّ. راجع: «الإصابة» (١٣/ ٥٠٧).

(٥) في الأصل: «أميَّة»، وهو خطأ.

(٦) أخرجه البخاريُّ (٧٤٢٠) من حديث أنس رضي اللَّه عنه.

وقالت عائشة: قال رسول اللَّه ﷺ: «أَسرَعُكُنَّ لُحُوقًا بي أطوَلُكُنَّ يَدًا»، فكنَّا نمدُّ أيدَينا في الحائط نتطاوَل، حتَّى توفِّيت زينب، وكانت امرأة قصيرة، فعرفتُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ أراد بطُول اليد الصَّدقة، وكانت تعمل بيديها وتتصدَّق[١].

وتوفِّيت سنة عشرين، وهي بنت ثلاث وخمسين سنة.

ـ وجُوَيرة[٢] بنت الحارث من نساء بني المُصطَلِق؛ وذلك أنَّ رسول اللَّه ﷺ أصاب نساء بني المُصطَلِق، فوقعت جُوَيرة في سهم ثابت بن قيس، وكاتَبَها على تسع أَواقٍ[٣]، فجاءت إلى رسول اللَّه [١٩/ ظ] وقالت: يا رسول اللَّه، أنا بنت سيِّد قومه، وقد أصابَني ما قد علمتَ في كِتابتي، فقال: «أَوَخَيرٌ مِن ذلك؟» فقالت: وما هو؟ قال: «أُؤَدِّي عنكِ كِتابَتَكِ وأَتَزَوَّجُكِ»، قالت: نعم، فقال: «قد فعلتُ ذلك»، وخرج الخبر إلى النَّاس، فقالوا[٤]: أصهار رسول اللَّه ﷺ يُستَرَقُّون! فأعتَقوا ما كان بأيديهم من قومها، فبلغ عِتقهم مئة أهل بيت[٥]، فلا يُعلَم امرأة أعظم بَرَكةً على قومها منها[٦].

وكان اسمها بَرَّة، فسمَّاها جُوَيرة، وكره أن يقال: خرج من عند بَرَّة[٧]،

(١) أخرجه البخاريُّ (١٤٢٠)، ومسلم (٢٤٥٢)؛ من حديث عائشة رضي اللَّه عنها، بنحوه.

(٢) أو: جُوَيرية؛ كلاهما شائع مستعمل.

(٣) جمع أُوقِيَّة، وهي معيار للوزن يختلف مقداره من بلد إلى آخر؛ فقيل: يعادل ١٢٧ جرامًا، وقيل: ٢٠٠ جرام، وقيل غير ذلك.

(٤) في الأصل: «فقال»، والتَّصويب من مصادر التَّخريج.

(٥) تصحَّفت هذه العبارة الأصل إلى: «مئة ألف بنت»!

(٦) أخرجه أبو داود (٣٩٣١) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها.

(٧) أخرجه مسلم (٢١٤٠) من حديث عبد اللَّه بن عبَّاس رضي اللَّه عنهما.

فتزوَّجها وهي بنت عشرين سنة.

وتوفِّيت سنة خمسين، وقيل: سنة ستٍّ وخمسين، وهي بنت خمس وستِّين.

ـ وصفيَّة بنت حُيَيٍّ المشهورُ أنَّها من سِبط هارون، سَباها النَّبيُّ ﷺ يوم خيبر، فاصطفاها لنَفْسه، فأسلَمَت وأعتَقَها، [٢٠/و] وجعل عِتقَها صَداقَها، فتزوَّجَها[١]. وتوفِّيت سنة خمسين، وقيل: اثنتين[٢] وخمسين، وقيل: ستٍّ وثلاثين، ودُفنت بالبقيع.

ـ وأمُّ شَرِيك وَهَبَت نَفْسها للنَّبيِّ ﷺ[٣] فقَبِلَها، هكذا قِيل.

ـ وميمونة بنت الحارث تزوَّجَها النَّبيُّ ﷺ سنة ستٍّ من الهجرة، وتوفِّيت سنة إحدى وخمسين ـ على الأصحِّ ـ بسَرَف، وهو ما بينه وبين مكَّة تسعة أميال، وقيل: اثنا عشر مِيلًا.

ـ وأمَّا سُرِّيَّته عليه الصلاة والسلام: فمارِيَة، ورَيحانة، وقيل: جميلة[٤].



(١) أخرجه البخاريُّ (٣٧١) من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه.

(٢) في الأصل: «اثنين».

(٣) أخرجه النَّسائيُّ في «السُّنن الكبرى» (٨٨٧٩) من حديث أمِّ شريك رضي اللَّه عنها.
وقد قيل: إنَّ الَّتي وهبت نفسها للنَّبيِّ ﷺ هي ميمونة بنت الحارث رضي اللَّه عنها، وقيل: زينب بنت خزيمة رضي اللَّه عنها. وراجع: «تفسير الطَّبريِّ» (١٩/ ١٣٥، ١٣٦).

(٤) وزاد بعض المؤرِّخين في أزواجه ﷺ وسراريه غيرَ ذلك، فضلًا عمَّن خطبهنَّ ولم يتزوجهنَّ، وراجع لذلك: «المحبَّر» لابن حبيب (ص٧٧-٩٩)، و«أنساب الأشراف» (١/ ٣٩٦-٤٦٤).

# الباب الثالث

## في بيان بعض الصَّحابة والتَّابعين

وصاحِبُ الرَّسول ﷺ هو: الَّذي رآه حال إسلامه، إن لم يمنع مانع؛ كذَهاب البصر، فدخل فيه مثل عبد اللَّه بن [أمِّ] مكتوم؛ فإنَّه صحابيٌّ بالإجماع، وخرج عنه المسلمُ الَّذي عاصَرَه ولكن لم يَرَه.

وقيل: هو الَّذي أقام معه سنة أو سنتين. [٢٠/ ظ] فالأوَّل أعمُّ.

ويشهَد للأوَّل قوله ﷺ: «طُوبَى لِمَنْ رَآنِي وآمَنَ بِي»(١)؛ فإنَّه خالٍ عن اقتضاء(٢) اللِّقاء والصُّحبة.

ثمَّ إنَّ الصَّحابة كلَّهم يجب تعظيمهم، والكفُّ عن القَدح فيهم، قال اللَّه تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التَّوبة: ١٠٠]، وقوله: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾ [التَّحريم: ٨]، وقوله: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ الآية [الفتح: ٢٩].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «أَكرِمُوا أَصحابِي؛ فإنَّهم خِيارُكُم»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (١١٦٧٣)، وأبو يعلى (١٣٧٤)، وابن حبَّان (٧٢٣٠)؛ من حديث أبي سعيد الخُدريِّ رضي اللَّه عنه، وله شاهد من حديث أبي أُمامة عند أحمد (٢٢١٣٨)، وغيره.

(٢) في الأصل: «اقتداء»، وهو تصحيف، والمثبَت أنسب للسِّياق.

(٣) أخرجه مَعمَر في «جامعه» (٢٠٧١٠)، ومن طريقه عبد بن حُميد في «المنتخب» (٢٣)؛ =

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تَمَسُّ النَّارُ مُسلِمًا رَآنِي، أو رَأَى مَن رَآنِي»(١).

وقال رسول اللَّه ﷺ: «مَثَلُ أَصحابِي في أُمَّتِي كالمِلحِ في الطَّعامِ، لا يَصلُحُ الطَّعامُ إلَّا بالمِلحِ»(٢). [٢١/و]

* * *

ثمَّ إنَّ الإمام الحقَّ بعد رسول اللَّه ﷺ هو أبو بكر الصِّدِّيق بالإجماع، خلافًا للشِّيعة، وإنَّه أفضل النَّاس بعده؛ لقوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ [اللَّيل]؛ فإنَّه نزل في حقِّه؛ فيكون أكرم؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]؛ فيكون أفضل، وقد كانت الصَّحابة وعليٌّ يقولون له: «يا خليفة رسول اللَّه ﷺ»(٣)، وقد قال اللَّه تعالى في حقِّهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

وعن عبد اللَّه بن عمر، أنَّه قال: «كنَّا في زمن النَّبيِّ ﷺ لا نَعدِل بأبي بكر أَحَدًا، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان، ثمَّ نترك أصحاب النَّبيِّ ﷺ لا نفاضل بينهم»(٤).

---

= من حديث عمر بن الخطَّاب رضي اللَّه عنه.

(١) أخرجه التِّرمذيُّ (٣٨٥٨) من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما، وقال: «حديث حسن غريب».

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزُّهد» (٥٧٢)، والبزَّار (٦٦٩٨)؛ من طريق الحسن البصريِّ، عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه، وفيه إسماعيل بن مسلم المكِّيُّ، وهو ضعيف.

وأخرجه مَعمَر (١٦)، ومن طريقه أحمد في «فضائل الصَّحابة» (١٦)؛ عن الحسن البصريِّ، مرسَلًا. وهذا أشبه بالصَّواب.

(٣) راجع -على سبيل المثال-: «طبقات ابن سعد» (٢٤٥٣)، و«مسند أحمد» (٥٩، ٦١، ٦٤).

(٤) أخرجه البخاريُّ (٣٦٩٧).

وفي رواية: «كنَّا نقول ورسول اللَّه حيٌّ: أفضل أمَّة النَّبيِّ ﷺ بعده أبو بكر، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان»(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «إنَّ مِن أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ في صُحبتِهِ ومالِهِ [٢١/ ظ] أبا بكرٍ(٢)، ولو كنتُ متَّخِذًا خَليلًا مِن أُمَّتي لاتَّخَذتُ أبا بكرٍ(٣)، ولكنْ أُخوَّةُ الإسلامِ ومَوَدَّتُهُ(٣)، لا تَبقَيَنَّ في المَسجِدِ خَوخَةٌ(٤) إلَّا خَوخَةُ أبي بكرٍ(٥)»(٦).

وفي رواية: «لا يَبقَى في المَسجِدِ بابٌ إلَّا سُدَّ، إلَّا بابَ أبي بكرٍ»(٧).

وشهد بدرًا مع رسول اللَّه ﷺ والمشاهِد كلَّها، وثبت معه يوم أُحُد، ودفع إليه الرَّاية العظمى بتَبُوك.

وهو أوَّل مَن جمع(٨) القرآن، وتنزَّه عن شُرب المسكِر في الجاهليَّة، وأسلَم على يديه من العَشَرة: عثمان، وطلحة، والزُّبير، وسعد، وعبد الرَّحمن.

وكان يأخذ بلسانه ويقول: «هذا الَّذي أورَدَنِي الموارِدَ»(٩).

---

(١) أخرج هذه الرِّواية أبو داود (٤٦٢٨)، والتِّرمذيُّ (٣٧٠٧)، وقال التِّرمذيُّ: «حديث حسن صحيح غريب».

(٢) في الأصل: «أبو بكر»!

(٣) أخرجه البخاريُّ (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢)؛ من حديث أبي سعيد الخُدريِّ رضي اللَّه عنه.

(٤) الخَوخة: باب صغير كالنَّافذة الكبيرة، وتكون بين بيتين يُنصب عليها باب.

(٥) في الأصل: «أبا بكر»!

(٦) أخرجه البخاريُّ (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢)؛ من حديث أبي سعيد الخُدريِّ رضي اللَّه عنه.

(٧) «صحيح البخاريِّ» (٤٦٦).

(٨) في الأصل: «أجمع».

(٩) أخرجه مالك في «الموطَّأ» (رواية يحيى اللَّيثيِّ) (٢٨٢٥)، ووكيع في «الزُّهد» (٢٨٧).

ويقع سَوطه فينزل ويأخذه، ويقول: «إنَّ حبيبي أمَرَ ألَّا أسأل النَّاس شيئًا»(١).

وبايَعَه المهاجِرون والأنصار في سَقِيفة بني ساعِدة(٢).

وقال عليٌّ: «رَضِينا لدُنيانا مَن رَضِيه [٢٢/ و] رسول اللَّه ﷺ لدِيننا»(٣).

وقال النَّبيُّ عليه الصلاة والسلام لِحسَّان: «هل قُلتَ في أبي بَكرٍ شيئًا؟» فقال: نعم؛

وثانيَ اثنينِ في الغارِ المُنيفِ وقدْ  طافَ العدوُّ بهِ إذ صَعَّد الجَبلَا
وكان حِبُّ رسول اللَّه قد عَلِموا  من البَرِيَّة لم يَعدِل به رَجُلَا

فضحك رسول اللَّه ﷺ وقال: «صَدَقتَ، هو كما قُلتَ»(٤).

ودعا رسولُ اللَّه ﷺ له ليلة الغار أن يجعله معه في درجته يوم القيامة(٥).

ورُوي أنَّه كان إذا مُدح في المجلس يقول: «اللَّهمَّ أنت أعلم منِّي بنَفْسي،

---

(١) أخرجه أحمد (٦٥) بإسناد ضعيف.

لكن لمعناه شواهد كثيرة، منها: ما أخرجه مسلم (١٠٤٣) من حديث عَوف بن مالك الأشجعيِّ رضي اللَّه عنه في حديث مبايعة النَّبيِّ ﷺ، وفيه: «ولا تَسألُوا النَّاسَ شيئًا».

(٢) أخرجه البخاريُّ (٣٦٦٨، ٧٢١٩) من حديث عائشة وأنس بن مالك رضي اللَّه عنهما ـ على التَّرتيب ـ.

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطَّبقات» (٣/ ١٦٧)، والخلَّال في «السُّنَّة» (٣٣٣).

(٤) أخرجه ابن عَدِيٍّ في «الكامل» (٣/ ١٣٠) من طريق أبي العَطُوف الجَزَريِّ ـ وهو متروك ـ، عن الزُّهريِّ، عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه.

ورواه ابن سعد في «الطَّبقات» (٣/ ١٥٩) من طريق أبي العَطُوف أيضًا، عن الزُّهريِّ، مرسَلًا.

وله شاهد عند الحاكم (٣/ ٦٤) من حديث حبيب بن أبي حبيب، وآخر عند ابن عبد البرِّ في «الاستيعاب» (٣/ ٩٦٤) من حديث عبد اللَّه بن عبَّاس رضي اللَّه عنهما، وأسانيدهما ضعيفة.

(٥) أخرجه الآجرِّيُّ في «الشَّريعة» (١٢٧٥)، وابن بطَّة في «الإبانة» (١٣٤)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٣)، وغيرهم؛ من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه، بأسانيد فيها ضعف شديد.

وأنا أعلم بنَفْسي منهم، اللَّهمَّ اجعلني خيرًا ممَّا يظنُّون، واغفِر لي ممَّا لا يعلمون، ولا تُؤاخِذْني بما يقولون»[(١)].

وتوفِّي يوم الإثنين ليلة الثُّلاثاء بين المغرب والعشاء، لِثَمان بَقِين من جُمادى الأخرى سنة ثلاث [٢٢/ ظ] عشرة، وهو ابن ثلاث وستِّين سنة، وغسَّلَته زوجته بوصيَّته، وصلَّى عليه عمر، ودُفن عند قبر النَّبيِّ ﷺ.

* * *

ثمَّ إنَّ عمر بن الخطَّاب رضي اللَّه عنه خليفةٌ بعد أبي بكر بنَصِّه؛ وذلك أنَّه دعا[(٢)] في مرضه عثمان بن عفَّان، وأمَرَه أنِ اكتُب: «هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قُحافة آخِر عهده من الدُّنيا وأوَّل[(٣)] عهده من العُقبى؛ حالة يَبَرُّ فيها الفاجر، ويُؤمِن فيها الكافر: إنِّي أستَخلِف عليكم عمر بن الخطَّاب؛ فإنْ أحسَن السِّيرةَ فذلك ظنِّي به، والخيرَ أردتُ، فإن تكن الأخرى، فسيعلَم الَّذين ظَلَموا أيَّ منقلَب ينقلبون»[(٤)].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «إنَّ اللَّهَ وَضَعَ الحَقَّ على لِسانِ عُمَرَ»[(٥)].

وقال عمر لأبي بكر: «يا خير النَّاس بعد رسول اللَّه، فقال أبو بكر: أمَا إنَّك

---

(١) أخرجه ابن قُتيبة في «عيون الأخبار» (١/ ٣٨٩) من طريق الأصمعيِّ، عن أبي بكر رضي اللَّه عنه به. وهو معضَل؛ فإنَّ بين الأصمعيِّ وأبي بكر رضي اللَّه عنه راويَين أو ثلاثة على أقلِّ تقدير.

(٢) في الأصل: «ادعى»!

(٣) في الأصل: «فأوَّل».

(٤) جزء من وصيَّة أبي بكر الصِّدِّيق رضي اللَّه عنه، وقد أخرجها بتمامها ابن سعد في «الطَّبقات» (٣٤٩٨)، وغيره، ولها ألفاظ أخرى مختصَرة؛ ومن ذلك ما رواه ابن أبي حاتم في «التَّفسير» (١٦٠٨٤).

(٥) أخرجه أبو داود (٢٩٦٢)، وابن ماجه (١٠٨)؛ من حديث أبي ذرٍّ الغِفاريِّ رضي اللَّه عنه.

[٢٣/ و] إن قلتَ ذلك، فلقد سمعتُ النَّبيَّ يقول: «ما طَلَعَتِ الشَّمسُ على رَجُلٍ خَيرٍ من عُمَرَ»»(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «لو كان بَعدِي نَبِيٌّ لكانَ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ»(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: «يا ابنَ الخَطَّابِ، والَّذي نَفْسي بِيَدِه، ما لَقِيَكَ الشَّيطانُ سالِكًا فَجًّا قَطُّ إلَّا سَلَكَ فَجًّا غيرَ فَجِّكَ»(٣).

وصِفَته في التَّوراة: «قَرْن من حديد، أمير(٤) شديد»(٥)؛ فسمَّاه رسول اللَّه ﷺ الفاروق(٦).

---

(١) أخرجه التِّرمذيُّ (٣٦٨٤) من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما، وقال: «حديث غريب لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه، وليس إسناده بذاك».

(٢) أخرجه التِّرمذيُّ (٣٦٨٦) من حديث عُقبة بن عامر رضي اللَّه عنه، وقال: «حديث حسن غريب».

(٣) أخرجه البخاريُّ (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٦)؛ من حديث سعد بن أبي وقَّاص رضي اللَّه عنه.

(٤) في الأصل: «أمر».

(٥) أخرجه أبو داود (٤٦٥٦) من طريق الأقرَع مؤذِّن عمر رضي اللَّه عنه، قال: «بعثني عمر إلى الأسقُفِّ، فدعوتُه، فقال له عمر: وهل تجدني في الكتاب؟ قال: نعم، قال: كيف تجدني؟ قال: أجِدُك قَرنًا، فرفع عليه الدِّرَّة، فقال: قَرن مَهْ؟ فقال: قَرن حديد، أمين شديد...».
ورواه أبو نُعيم في «معرفة الصَّحابة» (١٨٧) عن وهب بن منبِّه، باللَّفظ المذكور.

(٦) أمَّا تلقيبه رضي اللَّه عنه بالفاروق؛ فهذا ممَّا شاع وتواتر، وأمَّا كون النَّبيِّ ﷺ هو من لقَّبه به؛ فقد ورد ذلك في عدَّة آثار، لكنَّها لا تخلو من ضعف.
وقد روى ابن سعد في «الطَّبقات» (٣/ ٢٥٠)، وعنه البلاذريُّ في «أنساب الأشراف» (١٠/ ٢٩٧)؛ عن الزُّهريِّ، قال: «بلغَنا أنَّ أهل الكتاب كانوا أوَّل من قال لعمر: الفاروق، وكان المسلمون يَأثِرُون ذلك من قولهم، ولم يبلغنا أنَّ رسول اللَّه ﷺ ذكر من ذلك شيئًا، ولم يبلغنا أنَّ ابن عمر قال ذلك إلَّا لعمر...». وإسناده صحيح على شرط البخاريِّ.

وأسلَم وهو لسِتٍّ وعشرين سنة، بعد أربعين رجلًا وإحدى عشرة امرأة، واستبشر أهل السَّماء بإسلامه(١)، وما زالوا أعزَّة منذ أسلَم عمرُ(٢)، وجلسوا حول البيت وطافوا.

وقال رسول الله ﷺ: **«اللَّهمَّ أَعِزَّ الإسلامَ بأَحَبِّ الرَّجُلَين إليكَ؛ إمَّا بعُمَرَ ابنِ الخطَّابِ، أو بأبي جَهلٍ»، فكان أحبُّهما إليه عمرَ(٣).**

وهاجَر عمر جَهرًا، وشهد المشاهِد كلَّها، وهو أوَّل [٢٣/ ظ] من دُعي بأمير المؤمنين(٤)، وأوَّل من كتب التَّأريخ(٥)، وأوَّل من جمع القرآن في الصُّحُف(٦)،

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٠٣) من حديث عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما. وصحَّحه ابن حبَّان والحاكم.

وقال البوصيريُّ في «مصباح الزجاجة» (١/ ١٧): «إسناده ضعيف؛ لاتِّفاقهم على ضعف عبد الله بن خِراش، إلَّا ابن حبَّان؛ فإنَّه ذكره في «الثِّقات»، وأخرج هذا الحديث من طريقه في «صحيحه»».

(٢) أخرجه البخاريُّ (٣٦٨٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، موقوفًا عليه.

(٣) أخرجه التِّرمذيُّ (٣٦٨١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، بنحوه، وقال: «حديث حسن صحيح غريب».

(٤) وردت بذلك عدَّة آثار، منها: ما أخرجه البخاريُّ في «الأدب المفرد» (١٠٢٣) من حديث الشِّفاء بنت عبد الله رضي الله عنها.

(٥) وقد روى سبب وضع عمر رضي الله عنه هذا التَّأريخ الطَّبريُّ في «تاريخه» (٢/ ٣٨٨) عن الشَّعبيِّ، بإسناد فيه ضعف.

وله طريق أخرى رواها أبو عَرُوبة الحرَّانيُّ في «الأوائل» (١٢٧)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٢٧)؛ عن ميمون بن مهران.

(٦) أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» (ص٦٠) عن الحسن البصريِّ. وراجع: «طبقات ابن سعد» (٣/ ٢٦٢)، و«أنساب الأشراف» (١٠/ ٣٢٢).

وأوَّل من جمع النَّاس على قيام رمضان[١]، وأوَّل من حمل الدِّرَّة وأدَّب بها[٢].

وقال: «من كثر ضحكه قلَّت هَيبته، ومن مزح استُخِفَّ به، ومن أكثر من شيء عُرِف به، ومن كَثُر كلامه كَثُر سَقطه، ومن كَثُر سَقطه قلَّ حياؤه، ومن قلَّ حياؤه قلَّ ورعه، ومن قلَّ ورعه مات قلبه»[٣].

وتوفِّي عمر بن الخطَّاب في آخر يوم من ذي الحجَّة سنة ثلاث وعشرين، وسِنُّه ثلاث وستُّون سنة - على الأصحِّ -.

وقال ابن عمر: «خرج النَّبيُّ ﷺ ويمينه على أبي بكر، وشماله على عمر رضي اللَّه عنهما، فقال: «هكذا نُبعَثُ يومَ القِيامةِ»[٤]»[٥].



---

(١) وله قصَّة أخرجها البخاريُّ (٢٠١٠) عن عبد الرَّحمن بن عبد القاريِّ رضي اللَّه عنه.

(٢) راجع: «طبقات ابن سعد» (٣/ ٢٦٢)، و«أنساب الأشراف» (١٠/ ٣٢٢).

(٣) أخرجه ابن أبي الدُّنيا في «الحلم» (١٢٦)، وابن حبَّان في «روضة العقلاء» (ص٨٠).

(٤) أخرجه التِّرمذيُّ (٣٦٦٩)، وابن ماجه (٩٩)؛ من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما، وفيه سعيد ابن مَسلَمة؛ قال التِّرمذيُّ: «هذا حديث غريب، وسعيد بن مَسلَمة ليس عندهم بالقويِّ».

(٥) مقابله في الأصل حاشية نصُّها: «وقد قيل: إنَّ عمر رضي اللَّه عنه كان له تأثير في القيام [الصَّواب: العناصر] الأربعة: الرِّياح؛ دليله: «يا [سارية] الجبلَ الجبلَ». والماء؛ [دليله: قصَّة نِيل] مصر المشهورة. والأرض؛ دليله: ما رُوي أنَّ زُلزلت على [عهده]، فضربها بالدِّرَّة، فقال: [ألم أعدل] عليه [الصَّواب: عليكِ]؟ فسكَنَت. [والنَّار]؛ دليله: أنَّ رجلًا [جاءه فقال] له: ما اسمك؛ [فقال]: جَمْرة، قال: [ابنُ من؟] فقال: [جَذْوة]، فقال: أين مسكنك؟ فقال: حرَّة النَّار. فقال: [بأيِّها؟] فقال: بذات لَظى، فقال: أدرِك أهلك فقد احترَقوا».

وما بين المعقوفين غير ظاهر بالأصل، واستدركتُه من «الإعلام» لابن الملقِّن (١/ ١٤٤).

ثُمَّ إنَّ عثمان بن عفَّان خليفةٌ بعد عمر، لكن بالبَيعة، لا بنصِّه؛ فإنَّه جعل الخِلافة شورى بين ستَّة، [٢٤/ و] وهم: عثمان، وعليٌّ، وعبد الرَّحمن بن عوف، وطلحة، وزُبَير، وسعد بن أبي وقَّاص، واتَّفَقوا على عثمان وبايَعوه(١).

وقال رسول اللَّه ﷺ في بَيعة الرِّضوان: «إنَّ عثمانَ في حاجةِ اللَّهِ وحاجةِ رَسُولِهِ»، فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يد رسول اللَّه ﷺ لعثمان خيرًا من أيديهم لأنفُسهم(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام في حقِّه: «أَلَا أَستَحِي مِن رَجُلٍ تَستَحِي منه المَلائكةُ»(٣).

قُتل يوم الجمعة لثلاث عشرة من ذي الحجَّة سنة خمس وثلاثين، وكان صائمًا يقرأ في المصحف، ودُفن في البقيع في ثيابه بدمائه، وسِنُّه نحوٌ(٤) من تسعين سنة، وصلَّى عليه الزُّبير ـ على الأصحِّ ـ.

* * *

وعليٌّ كرَّم اللَّه وجهه خليفةٌ بعد عثمان بالبَيعة، شهد المشاهِد كلَّها إلَّا تَبُوك؛ فإنَّ النَّبيَّ ﷺ استخلَفَه في أهله، وقال: «أنتَ مِنِّي بمَنزِلةِ [٢٤/ ظ] هارُونَ مِن مُوسَى، غيرَ أنَّه لا نَبيَّ بَعدِي»(٥).

---

(١) أخرج قصَّة الاستخلاف بطولها البخاريُّ (٣٧٠٠) عن عمرو بن ميمون الأوديِّ.

(٢) أخرجه بهذا اللَّفظ أبو داود (٢٧٢٦)، والتِّرمذيُّ (٣٧٠٢)؛ من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما، وقال التِّرمذيُّ: «حديث حسن صحيح غريب».

وأصل قصَّة مبايعة النَّبيِّ ﷺ عن عثمان رضي اللَّه عنه عند البخاريِّ (٣٦٩٨) بلفظ: «هذه يَدُ عُثمانَ».

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٠١) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها. (٤) في الأصل: «نحوًا».

(٥) أخرجه البخاريُّ (٣٧٠٦)، ومسلم (٢٤٠٤)؛ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي اللَّه عنه.

وعَهِد إليه ألَّا يُبغِضه إلَّا منافِق، ولا يُحِبُّه إلَّا مؤمِن[(١)].

وقال عليه الصلاة والسلام: «مَن كنتُ مَولاهُ فَعَلِيٌّ مَولاهُ»[(٢)].

وقال عليه الصلاة والسلام يوم خيبر: «**لأُعطِيَنَّ الرَّايةَ غَدًا رَجُلًا يَفتَحُ اللَّهُ عليهِ، يُحِبُّ اللَّهَ ورَسُولَهُ، ويُحِبُّهُ اللَّهُ ورَسُولُهُ**»، فأعطاها لعليٍّ[(٣)].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ الجَنَّةَ لَتَشتاقُ إلى ثلاثةٍ: عَلِيٍّ، وعَمَّارٍ، وسَلمانَ**»[(٤)].

ومن كلامه: أنَّه قال: «إنَّ أخوَف ما أخافُ [عليكم] اتِّباع الهوى، وطُول الأمل، ألَا وإنَّ الدُّنيا قد ترحلَّت مُدبِرة، ألَا وإنَّ الآخِرة مُقبِلة، ولكلٍّ واحدة منهما بَنُون، فكونوا من أبناء الآخِرة، لا من أبناء الدُّنيا، فاليوم عمل ولا حِساب، وغدًا حِساب ولا عمل»[(٥)].

وضربه ابنُ مُلجِم بالكوفة يوم الجمعة في رمضان سنة أربعين، وغسَّله الحَسن

---

(١) أخرجه مسلم (٧٨) من حديث عليِّ بن أبي طالب رضي اللَّه عنه.

(٢) رُوي هذا الحديث من طُرُق كثيرة بلغت حدَّ التَّواتر، منها: ما أخرجه التِّرمذيُّ (٣٧١٣) من حذيفة بن أَسِيد أو زيد بن أرقم رضي اللَّه عنهما، وقال: «حديث حسن غريب».
وراجع: «قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة» للسُّيوطيِّ (١٠٢).

(٣) أخرجه البخاريُّ (٢٩٧٥، ٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٧، ٢٤٠٦)؛ من حديث سلمة بن الأكوع وسهل بن سعد رضي اللَّه عنهما ـ على التَّرتيب ـ.

(٤) أخرجه التِّرمذيُّ (٣٧٩٧) من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه، وقال: «حديث حسن غريب».

(٥) أخرجه البخاريُّ (٨/ ٨٩) تعليقًا بصيغة الجَزم، فقال: «وقال عليُّ بن أبي طالب: ارتحلتِ الدُّنيا مُدبِرةً...» إلخ.
وقد أخرجه بتمامه وكيع في «الزُّهد» (١٩١)، وأحمد في «الزُّهد» (٦٩٣)، وغيرهما.

والحُسين وعبد اللَّه بن جعفر، وصلَّى عليه الحُسن، ودُفن في المسجد، وسِنُّه ثلاث وستُّون ـ على الأصحِّ ـ[١].

* * *

وإنَّ العشرة بُشِّروا بالجنَّة؛ قال [٢٥/ و] رسول اللَّه ﷺ: «أبو بكرٍ في الجَنَّةِ، وعُمَرُ في الجَنَّةِ، وعُثمانُ في الجَنَّةِ، وعَلِيٌّ في الجَنَّةِ، وطَلحةُ في الجَنَّةِ، والزُّبَيرُ في الجَنَّةِ، وسَعُد بنُ أبي وَقَّاصٍ في الجَنَّةِ، وسَعيدُ بنُ زَيدٍ في الجَنَّةِ، وعبدُ الرَّحمنِ ابنُ عَوفٍ في الجَنَّةِ، وأبو عُبَيدةَ[٢] بنُ الجَرَّاحِ في الجَنَّةِ»[٣].

وقال عليه الصلاة والسلام: «لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وأَمِينُ هذه الأُمَّةِ أبو عُبَيدةَ بنُ الجَرَّاحِ»[٤].

وقال عليٌّ: «ما سمعتُ النَّبيَّ جمع أبوَيه لأَحَد إلَّا لسعد بن مالك؛ فإنِّي[٥] سمعتُه يقول يوم أُحُد: «يا سَعدُ، ارمِ، فِداكَ أَبِي وأُمِّي»»[٦].

وقال سعد: «إنِّي لأوَّلُ العرب رمى بسَهم في سبيل اللَّه»[٧].

---

(١) مقابله في الأصل حاشية نصُّها: «من كتاب الأخيار: واستسقى بالمدينة ستة [عشر دلوًا]، كلُّ دَلو بتمرة [في الأصل: بثمره]، [...] النَّبيّ ﷺ بذلك، فأكل [...]».

(٢) في الأصل: «وأبو عبيد».

(٣) رُوي هذا الحديث من عدَّة طُرُق، منها: ما أخرجه الترمذيُّ (٣٧٤٧، ٣٧٤٨) من حديث عبد الرَّحمن بن عوف وسعيد بن زيد رضي اللَّه عنهما ـ على التَّرتيب ـ.

(٤) أخرجه البخاريُّ (٣٧٤٤)، ومسلم (٢٤١٩)؛ من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه.

(٥) في الأصل: «فإنَّه».

(٦) أخرجه البخاريُّ (٤٠٥٩)، ومسلم (٢٤١١).

(٧) أخرجه البخاريُّ (٣٧٢٨)، ومسلم (٢٩٦٦).

وشهد بالجنَّة لفاطمة والحَسن والحُسين بما وَرَد في الحديث: «**إنَّ فاطمةَ سيِّدةُ نِساءِ أهلِ الجَنَّةِ، وإنَّ الحَسَنَ والحُسَينَ سَيِّدا شَبابِ أهلِ الجَنَّةِ**»[١].

وإنَّ سائر الصَّحابة لا يُذكَرون إلَّا بخير، ويُرجَى لهم أكثر ممَّا يُرجَى لغيرهم من المؤمنين، [٢٥/ ظ] ولا نشهَد بالجنَّة لأَحَد بعَينه، بل نشهد بأنَّ المؤمنين من أهل الجنَّة والكافرين من أهل النَّار.

* * *

ثمَّ إنَّ المشهور أنَّ التَّابعيَّ: هو الَّذي رأى الصَّحابيَّ.

وقيل: التَّابعيُّ هو الَّذي رآه بشرط ألَّا يكون صغيرًا بحيث لم يحفظ عنه؛ كخَلَف بن خليفة؛ فإنَّه يُعَدُّ في أتباع التَّابعِين، وإن كان قد رأى عمرو بن حُريث[٢].

وقيل: التَّابعيُّ[٣] هو الَّذي صحب الصَّحابيَّ، فالأوَّل أصحُّ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «**وَطُوبَى لِمَن رأى مَن رَآنِي**»[٤]؛ ولِشَرف منزلة الصَّحابيِّ؛ فإنَّ مَن رآه يُعَدُّ تابعيًّا[٥].

لكن إذا أُطلِق يكون مخصوصًا بالتَّابع بإحسان.

---

(١) تقدَّم تخريجه (ص٨٠).

(٢) في الأصل: «حوشب»، وهو تصحيف. وراجع: «الشَّذا الفيَّاح» (٢/ ٥٢٢)، و«شرح التَّبصرة والتَّذكرة» للعراقيِّ (٢/ ١٦٠).

(٣) بعدها في الأصل: «الصَّحابيّ»، وهي كلمة مقحَمة في النَّصِّ، لا فائدة من ذِكرها هاهُنا.

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (١٥٢٨) من حديث أبي سعيد رضي اللَّه عنه، بإسناد ضعيف.

وله شاهد عند الحاكم (٤/ ٨٦) من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه، إلَّا أنَّ إسناده واهٍ.

(٥) يُنظر في تعريف التَّابعيِّ ومذاهب العلماء فيه: «فتح المغيث» للسَّخاويِّ (٤/ ٩٤) وما بعدها، و«تدريب الرَّاوي» (٢/ ٦٩٩) وما بعدها.

وللتَّابِعين فضيلة ورُجحان على غيرهم ممَّن بعدهم، قال اللَّه تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التَّوبة: ١٠٠]. [٢٦/ و]

وقال رسول اللَّه ﷺ: «خَيرُ القُرُونِ قَرنِي، ثمَّ الَّذين يَلُونَهُم، ثمَّ الَّذين يَلُونَهُم، ثمَّ يَفشُو الكَذِبُ»(١).

وأصول الدِّين منهم(٢) خمسة: سفيان(٣)، وشُعبة، ومالك، وحمَّاد بن زيد، وابن عُيَينة(٤).

واختُلف في أفضل التَّابعين؛ فقال أهل المدينة: «أفضلهم سعيد بن المسيَّب»، وقال(٥) أهل الكوفة: «أُوَيس القَرْنيُّ»، وقال أهل البصرة: «أفضلهم الحسن البصريُّ»(٦).

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣)؛ من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه، بنحوه، بلفظ: «خَيرُ النَّاسِ...»، وليس فيه: «ثمَّ يَفشُو الكَذِبُ».

(٢) أي: من أتباع التَّابعين. (٣) هو الثَّوريُّ.

(٤) في الأصل: «وابن عتيبة»، وهو تصحيف.

وهذا الكلام ورد عن عثمان بن سعيد الدَّارميِّ، كما أخرجه الخطيب البغداديُّ في «الجامع لأخلاق الرَّاوي وآداب السَّامع» (١٩٠٧).

وكان الأولى إيراد هذا الأثر بعد الانتهاء من الكلام على التَّابعين؛ لعدم الاشتباه واللَّبس.

(٥) في الأصل: «فقال».

(٦) وراجع في تفصيل الكلام على أفضل التَّابعين: «معرفة أنواع علوم الحديث» لابن الصَّلاح (ص٣٠٥، ٣٠٦)، و«تهذيب أسماء واللُّغات» (١/ ٤٤).

هذا، وقال أبو بكر بن [أبي] داود: «سيِّداتنا التَّابعيَّات: حفصة بنت سِيرين، وعَمْرة بنت عبد الرَّحمن، وبعدهما أمُّ الدَّرداء الصُّغرى ـ اسمها: هُجَيمة ـ»(١).

ومن الطَّبقة الأولى: محمَّد بن عليٍّ بن أبي طالب، وهو الشَّهير [٢٦/ ظ] بابن الحنفيَّة.

ومن كلامه: أنَّه قال: «من كَرُمت عليه نَفْسه لم يكن للدُّنيا عنده قَدْر»(٢).

وقال: «إنَّ اللَّه جعل الجنَّة ثمنًا لأنفُسكم، فلا تبيعوها بغيرها»(٣).

ومنهم: سعيد بن المسيَّب، صلَّى الغَداة بوضوء العَتَمة خمسين سنة، وما نُودي للصَّلاة منذ أربعين سنة إلَّا وهو في المسجد.

ومن كلامه: أنَّه قال: «من استغنى باللَّه افتقر إليه النَّاس»(٤).

وقال: «ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلَّا وفيه عَيب، ولكن من النَّاس من لا ينبغي أن تُذكر عيوبه، فمن كان فضله أكثر من نقصه وُهِب نقصه لفضله»(٥).

وعليُّ بن الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب، زين العابدين، كان إذا قام إلى الصَّلاة أخَذَته رِعدة، فيقال له: ما هذا الَّذي يعتادك [٢٧/ و] عند القِيام إلى الصَّلاة؟ فيقول: «تدرون بين يدَي مَن أَقُومُ، ومَن أُناجِي؟!»(٦).

---

(١) «معرفة أنواع علوم الحديث» (ص٣٠٦).

(٢) رواه ابن أبي الدُّنيا في «محاسبة النَّفس» (٦٧)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٧٦).

(٣) رواه ابن أبي الدُّنيا في «محاسبة النَّفس» (٦٩)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٧٦).

(٤) رواه ابن المقرئ في «معجمه» (٢٠٥)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٧٣).

(٥) رواه الخطيب في «الكفاية» (٢١٤).

(٦) رواه ابن سعد في «الطَّبقات» (٧/ ٢١٤).

ووقع حريق في بيت وهو فيه ساجد[١]، فقيل له: يا ابن رسول اللَّه، النَّار، فما رفع رأسه حتَّى أُطفئت، فقيل له: ما الَّذي ألهاكَ عنها؟ قال: «ألهَتني النَّار الأخرى»[٢].

وكان يقول: «عجبتُ للمتكبِّر الفخور، الَّذي كان بالأمس نُطفة ثمَّ غدًا جِيفة، وعجبتُ كلَّ العجب لمن شكَّ في اللَّه وهو يرى خَلْقه، وعجبتُ كلَّ العجب لمن أنكَر النَّشأة الآخِرة وهو يرى النَّشأة الأُولى، وعجبتُ كلَّ العجب لمن عمل لدار[٣] الفناء وتَرَك دار البقاء»[٤].

وكان يحمل الخبز على ظهره باللَّيل ويتصدَّق به، ويقول: «إنَّ صدقة السِّرِّ تُطفئ غضب الرَّبِّ»[٥].

وقال طاوس: «رأيت عليَّ بن الحُسين ساجدًا في الحِجر، فقلت: رجل صالح من أهل بيت طيِّب، لأسمعنَّ ما يقول، فقال: عُبَيدك بفِنائك، مسكينك [٢٧/ ظ] بفِنائك، سائلك بفِنائك، فقيرك بفِنائك»، فواللَّه، ما دعوتُ بها في كَرب قَطُّ إلَّا كُشف عنِّي[٦].

ومن كلامه: أنَّه قال: «إنَّ قومًا عَبَدُوا[٧] اللَّهَ رَهبة؛ فتلك عِبادة العَبِيد، وإنَّ

---

(١) في الأصل: «ساجدًا».

(٢) رواه ابن الجوزيِّ في «المنتظم» (٦/ ٣٢٨)، وراجع: «الرِّسالة القشيريَّة» (١/ ١٧٣).

(٣) في الأصل: «الدار».

(٤) راجع: «بهجة المجالس وأُنس المجالس» (ص٩٥)، و«صفة الصَّفوة» (١/ ٣٥٥).

(٥) رواه أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٣٥).

(٦) رواه ابن أبي الدُّنيا في «الفرج بعد الشِّدَّة» (٦٥)، والدِّينَوريُّ في «المجالَسة» (٤١٥).

(٧) في الأصل: «عبدا».

قومًا عَبَدُوا رغبة؛ فتلك عِبادة التُّجَّار، وقومًا عَبَدُوا اللَّه شكرًا؛ فتلك عِبادة الأحرار»[١].

وكان يَقضي ما فاته من صلاة[٢] النَّهار باللَّيل، ويقول: «يا بَنِيَّ، ليس هذا عليكم بواجب، لكن أحبُّ لمَن عوَّد[٣] نَفْسه عادة من الخير أن يَدُوم عليها»[٤].

رضي اللَّه عنه وعن سائر التَّابعين وأتباعهم إلى يوم الدِّين.



(١) أخرجه أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٣٤)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١/ ٤٠٩).

(٢) في الأصل: «الصَّلاة».

(٣) في الأصل: «أعود».

(٤) راجع: «صفة الصَّفوة» (١/ ٣٥٥).

# الباب الرابع

## في ذِكر الفقهاء الأبرار والصُّلحاء الأخيار وفي فضائل الكعبة وغيرها

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ العُلَماءَ وَرَثةُ [٢٨/ و] الأنبِياء، وإنَّ الأنبياءَ لَم يُوَرِّثُوا دِينارًا ولا دِرهَمًا، وإنَّما وَرَّثُوا العِلمَ، فمَن أَخَذَهُ أَخَذَ بحَظٍّ وافِرٍ»(١).

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن رسول اللَّه ﷺ: «إنَّ اللَّهَ عز وجل قال: مَن آذى لِي وَلِيًّا فقد آذنني بالحَربِ»(٢).

وقال أبو حنيفة والشَّافعيُّ رَحِمَهُمَااللَّهُ: «إن لم يكن العلماء أولياء اللَّه(٣)، فليس للَّه وَلِيٌّ»(٤).

فقال الإمام الحافظ أبو القاسم بن عساكر: «اعلَم أخي ـ وفَّقنا اللَّه وإيَّاك لمَرضاته، وجعلنا ممَّن(٥) يخشاه ويتَّقيه حقَّ تقاته ـ أنَّ لحوم العلوم مسمومة،

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والتِّرمذيُّ (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)؛ من حديث أبي الدَّرداء رضي اللَّه عنه.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٦٥٠٢) بلفظ: «مَن عادَى لي وَلِيًّا فقد آذَنتُهُ بالحَربِ».

(٣) سقطت من الأصل.

(٤) رواه الخطيب البغداديُّ في «الفقيه والمتفقِّه» (١/ ١٥٠).

(٥) في الأصل: «ممَّا».

وعادة اللَّه في هَتك أستار منتقصيهم معلومة، وأنَّ من أطلَق لسانه في العلماء بالثَّلب بلاه اللَّه تعالى قبل الموت بموت القلب.. ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]»(١).

وقال اللَّه تعالى: [٢٨/ ظ] ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال أبو الدَّرداء: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إنَّ المَساجِدَ بَيتُ كُلِّ تَقِيٍّ، وقد ضَمِنَ اللَّهُ عز وجل لِمَن كانتِ المَساجِدُ بُيُوتَهُم بالرَّوحِ والرَّحمةِ والجَوازِ على الصِّراطِ إلى رِضوانِ اللَّهِ عز وجل**»(٢).

* * *

وأبو حنيفة رحمه اللَّه تعالى إمام تقيٌّ مجتهِد(٣)، كان في زمانه أربعة من الصَّحابة بالاتِّفاق:

أوَّلهم: أَنَس بن مالك خادم النَّبيِّ ﷺ.

وقال الإمام: سمعت أَنَسًا رضي اللَّه عنه يقول: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَن قال: أشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ، خالِصًا مُخلِصًا مِن قَلبِهِ، دَخَلَ الجَنَّةَ، ولو تَوَكَّلتُم على اللَّهِ**

---

(١) «تبيين كذب المفتري» (ص١٢٠، ٢٢٥).

(٢) أخرجه مَعمر في «جامعه» (٢٠٠٢٩)، وهنَّاد في «الزُّهد» (٢/ ٤٧١)، والبزَّار (٢٥٤٦) مختصرًا، ونقل الهيثميُّ في «مجمع الزَّوائد» (٢/ ١٣٤) أنَّ البزَّار قال: «إسناده حسن».

(٣) في الأصل: «مجتهدًا»!

**حَقَّ تَوَكُّلِهِ لرُزِقتُم كما يُرزَقُ [٢٩/ و] الطَّيرُ؛ تَغدُو خِماصًا وتَرُوحُ بِطانًا**[١]»[٢].

وثانيهم: عبد اللَّه بن أبي أوفى علقمة[٣].

وقال الإمام أبو حنيفة: سمعتُ عبد اللَّه بن أبي أوفى، قال: سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقول: «**حُبُكَّ للشَّيءِ يُعمِي ويُصِمُّ، والدَّالُّ على الخَيرِ كَفاعِلِهِ**»[٤].

ولا يُستبعَد ذلك عن الإمام؛ ألَا ترى[٥] أنَّ إبراهيم بن سعيد الجوهريَّ قال: «رأيتُ صبيًّا[٦] ابنَ أربع سنين حُمل إلى المأمون؛ قد قرأ القرآن، ونظر [في] الرَّأي، غير أنَّه إذا جاع بكى!»[٧].

---

(١) أي: تغدو بُكرة وهي جياع، وتَرُوح عشاء وهي ممتلئة الأجواف.

(٢) لم نقف عليه في شيء من مسانيد الإمام أبي حنيفة، لكن نقل الملَّا عليٌّ القاريُّ عن الكَرْدَريِّ أنَّه قال: «ذكر سيِّد الحفَّاظ الدَّيلميُّ وبرهان الإسلام الغَزنَويُّ بأسانيدهم إلى الصَّحابة عن الإمام، أنَّه قال: سمعت أنسًا يقول...»، فذكره. «شرح مسنَد أبي حنيفة» (ص٥٩٣).
والشَّطر الأوَّل من هذا الحديث أخرجه النَّسائيُّ في «السنن الكبرى» (١٠٨٩٨) من حديث أبي الدَّرداء رضي اللَّه عنه، وأحمد (٢٢٠٦٠) من حديث معاذ رضي اللَّه عنه.
أمَّا الشَّطر الثَّاني منه فأخرجه التِّرمذيُّ (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤)؛ من حديث عمر بن الخطَّاب رضي اللَّه عنه، وقال التِّرمذيُّ: «حديث حسن صحيح».

(٣) في الأصل: «بن علقمة»، وهو خطأ؛ فعَلقمة هو اسم أبي أوفَى، راجع: «الإصابة» (٦/ ٢٩).

(٤) أخرج الشَّطر الثَّاني منه الصَّيمَريُّ في «أخبار أبي حنيفة وأصحابه» (ص١٨)، وفيه أحمد بن الصَّلت، وهو كذَّاب يضع الحديث. راجع: «لسان الميزان» (١/ ٦١٢) وما بعدها.
والحديث عزاه أيضًا الكَرْدَريُّ إلى الدَّيلميِّ والغَزنَويِّ. «شرح مسنَد أبي حنيفة» (ص٥٨٩).

(٥) في الأصل: «يرى».

(٦) في الأصل: «صبينا».

(٧) رواه الخطيب في «الكفاية» (١٥٦).

وقال القاضي عبد اللَّه بن محمَّد الأصبهانيُّ: «حفظتُ القرآن وأنا ابن خمس سِنين، وحُملت إلى أبي بكر بن المقرئ وأنا ابن أربع سِنين، فقال بعض الحاضِرين: لا تسمعوا له فيما قُرئ؛ فإنَّه صغير، فقال لي ابن المقرئ: اقرأ «سورة [٢٩/ ظ] الكافرين»، فقرأتُها، فقال: اقرأ «سورة التَّكوير»، فقرأتُها، فقال لي غيره: اقرأ «المرسَلات»، فقرأتُها، ولم أغلط فيها، فقال ابن المقرئ: اسمعوا له والعهدة عليَّ»[١].

وثالثهم: سهل بن سعد السَّاعديُّ، وهو آخِر من مات من الصَّحابة بالمدينة.

ورابعهم: أبو الطُّفيل عامر بن واثِلة، وهو [آخِر] من مات من الصَّحابة، ولم يَبق بعده صحابيٌّ على وجه الأرض، عليه اتَّفق المحدِّثون[٢].

وذُكر في بعض الكتب أنَّه لقي عبد اللَّه بن الحارث بن جَزْء[٣][٤].

(١) رواه عنه الخطيب في «الكفاية» (١٥٧)، وفي «تاريخ بغداد» (١١/ ٣٧٦).

(٢) نقل هذا الإجماع السَّخاويُّ في «فتح المغيث» (٤/ ٧٥).

(٣) ذكره أبو بكر الجِعابيُّ (ت: ٣٥٥هـ) في «ذِكر من روى عنه أبو حنيفة رحمه اللَّه من الصَّحابة أو رآه»، كما في «مسند أبي حنيفة» لابن خُسرو (٢/ ٤٩٧)، وراجع: «أخبار أبي حنيفة وأصحابه» للصَّيمَريِّ (ص١٨).

(٤) مقابله في الأصل حاشية نصُّها: «فإن قلت: فكيف يصحُّ هذا وقد أنكر جمْع كثير ملاقته للصَّحابة؟ قلت: لا يضرُّ ذلك بشيء؛ على ما تقرَّر في الأصول أنَّ المثبِت أولى من النَّافي».
وقد قال الذَّهبيُّ عن الإمام أبي حنيفة رحمه اللَّه: «وُلد في حياة صغار الصَّحابة، ورأى أنس بن مالك لمَّا قدم عليهم الكوفة، ولم يثبت له حرف عن أحد منهم». «سير أعلام النُّبلاء» (٦/ ٣٩١).
بل ذهب الدَّارقطنيُّ ـ وهو من هو ـ إلى أنَّ الإمام رحمه اللَّه لم تصحَّ رؤيته لأنس رضي اللَّه عنه، فقال: «لا يصحُّ سماعه عن أنس، ولا عن أحد من الصَّحابة، ولا تصحُّ له رؤية أنس، ولا رؤية أحد من الصَّحابة». «سؤالات السُّلميِّ» (٣٩٨)

=

ولقي أيضًا واثِلة بن الأسقَع بن عبد العُزَّى، ولقي مَعقِل بن يسار، وقال: سمعتُ مَعقِلًا يقول: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «**عَلاماتُ المُؤمِنِ ثلاثٌ: إذا قال صَدَقَ، وإذا وَعَدَ وَفَى، وإذا اؤتُمِنَ أدَّى، وعلاماتُ المنافِقِ ثلاثٌ: إذا قال كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أخلَفَ، وإذا اؤتُمِنَ خانَ**»[(١)].

وذُكر أيضًا أنَّه لقي جابر بن عبد اللَّه بن عمرو بن حَرام[(٢)]، [٣٠/ و] إلى غير ذلك من الصَّحابة؛ كعبد اللَّه بن أُنَيس[(٣)] بن أسعد وغيره[(٤)]، وقد أُحصي ذلك في مناقبه.

---

= وحينئذ فلا يقال: هذه شهادة نفي؛ فلا تُقبل؛ لأنَّنا نقول بأنَّها ليست شهادة نفي، وإنما هو إخبار عن ظنٍّ غالب يستند إلى الاستقراء التَّامِّ ممَّن هو أهل لذلك مطَّلع عليه؛ فهو نفيٌ دلَّ الاستقراء عليه.

(١) لم نقف عليه، وأشار إليه الملَّا عليٌّ القاريُّ في «شرح مسنَد أبي حنيفة» (ص٥٩٣).
وقد أخرجه بنحو هذا السِّياق الخلَّال في «السُّنَّة» (١٦٥١) من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما.
وأخرج الشَّطر الثَّاني منه البخاريُّ (٣٣)، ومسلم (٥٩)؛ من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه.

(٢) وقد اختُلف في وفاة جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما؛ فقيل: سنة ٧٣، وقيل: ٧٤، وقيل: ٧٧هـ، وأقصى ما ذُكر فيها أنَّه مات سنة ٧٨هـ بالمدينة؛ أي قبل مولد الإمام رحمه اللَّه بسنتين!! راجع: «الإصابة» (٢/ ١٢٢)، و«تهذيب التَّهذيب» (١/ ٢٨٢).
وكذا الحال في عبد اللَّه بن الحارث وواثلة ومَعقِل وعبد اللَّه بن أُنَيس رضي اللَّه عنهم وغيرهم؛ فأين لقي الإمام رحمه اللَّه كلَّ هؤلاء وأغلبهم مات قبل مولده؟! فضلًا عن تفرُّقهم في الأصقاع، وموت كلِّ واحد منهم في بلدة مختلفة!!

(٣) في الأصل: «أنس»، وهو خطأ.

(٤) مقابله في الأصل حاشية نصُّها: «وهو [كذا] عائشة بنت عَجرَد، قال الإمام: سمعتُها تقول: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الجَرادُ أكثَرُ جُنُودِ اللَّهِ في الأرضِ، لا آكُلُهُ ولا أُحَرِّمُهُ**»»
وحاشية أخرى نصُّها: «وذُكر في المناقب أنَّه روى خمسين حديثًا من [كذا] الصَّحابة».

كفى النُّعمانَ فَخرًا ما رواهُ — من الأخبارِ عن غُرَرِ الصَّحابةْ
أَصدرَ التَّابعينَ قَبِلتَ منهم — نيابَهُمُ فأحسَنتَ النِّيابةْ
أمتبوعَ الأنامِ غَدَوتَ بَحرًا — لعِلمِكَ والعِدَى أمسَوا حِبابَةْ[(١)]

وإليه أشار بقوله: «ما جاءنا عن اللَّه ورسوله والصَّحابة؛ فعلى الرَّأس والعَين، وما جاءنا عن التَّابعين؛ فهم رِجال ونحن رِجال»[(٢)].

وفي الجملة ثبت أنَّه تابعيٌّ، وكفاه فضيلة، وقد قال الإمام مالك في حقِّه: «لو قال هذه الأسطوانة مِن ذَهَب، لقام بحُجَّته»[(٣)].

غَدا مذهبُ النُّعمانِ خيرَ المذاهبِ — كذا القمرُ الوضَّاحُ خيرُ الكواكبِ
وكان له صَحبٌ بنُورِ علومِهم — تجلَّى عن الأحكامِ سُحْبُ الغياهبِ /
ثلاثةُ آلافٍ وألفٌ شيوخُهُ — وأصحابُهُ مِثلُ النُّجومِ الثَّواقبِ[(٤)]

وكان الإمام صاحب ذكاء وفِطنة؛ رُوي أنَّه وابن أبي ليلى مَرَّا على مغنيَّة فسكتَت، فقال الإمام: أحسنتِ، فضبط عليه ذلك ابنُ أبي ليلى، فوجد قضيَّة فيها شهادتُه، فدعاه ليشهد فيها، فلما شهد أسقط شهادتَه، فقال: إنَّك قلتَ لها: أحسنتِ، فقال: متى قلتُ ذلك؛ أوقتَ سكوتها أم وقتَ غنائها؟ قال: وقتَ السُّكوت، قال: أردتُ سكوتَها بذلك، أحسَنَتْ بالسُّكوت، فأمضى شهادتَه، ثمَّ قرأ: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]، فخاف من الإمام خوفًا شديدًا[(٥)].

---

(١) الأبيات من الوافر، وهي للموفَّق المكِّيِّ (ت: ٥٦٨هـ)؛ كما في «مناقب أبي حنيفة» له (١/ ٥٤).
(٢) «مسنَد أبي حنيفة» لابن خُسرو (٣٢)، و«فضائل أبي حنيفة وأصحابه» للصَّيمَريِّ (١٤٠).
(٣) «آداب الشَّافعيِّ» لابن أبي حاتم (ص١٦٢)، و«مسنَد الإمام أبي حنيفة» لأبي نُعيم (ص٢٠).
(٤) الأبيات من الطَّويل، وهي للموفَّق المكِّيِّ؛ كما في «مناقب أبي حنيفة» له (٢/ ١٤٦).
(٥) «الجواهر المضيَّة في طبقات الحنفيَّة» لعبد القادر القرشيِّ (١/ ٤٧٨).

وكان ابن أبي ليلى إذا وقع [له] عَوِيصة بعث إليه رجلًا على سبيل الإخفاء يسأله، وكان الإمام يعلم به ويجيب [٣١/ و] عن السُّؤال، ويُنشد: [الكامل]

وإذا تكونُ[1] كريهةٌ أُدعَى لها      وإذا يُحاسُ الحَيسُ يُدعَى جُندَبُ[2]

وقال[3] الحسن بن زياد اللُّؤلؤيُّ: «عندنا امرأة مجنونة يُقال لها: أمُّ عِمران، مرَّ بها إنسان، فقال لها شيئًا، فقالت: يا ابن الزَّانيَين، وابن أبي ليلى قائم يسمع، فأمر أن يؤتى بها، فأدخلها المسجد وهو فيه، فضربها قائمة حَدًّا لأبيه وحَدًّا لأمِّه، فبلغ ذلك أبا حنيفة، فقال: أخطأ فيها من ستَّة مواضع؛ المجنونة لا حَدَّ عليها، وأقام الحَدَّ عليها في المسجد، ولا تُقام الحدود في المساجد، وضرَبَها قائمة والنِّساء يُضربن قعودًا، وأقام عليها حَدَّين ولو أنَّ رجلًا قذف قومًا ما كان عليه إلَّا حَدٌّ واحد، وضرَبَها والأبوان غائبان، ولا يكون ذلك إلَّا بحضرتهما؛ لأنَّ الحَدَّ لا يكون إلَّا [٣١/ ظ] بمن يطلبه، وجمَعَ بين الحَدَّين في مقام واحد، ومن وجب عليه حَدَّان لم يُقَم عليه الحَدُّ الثَّاني إلَّا بعد خَفِّ أثَر الحَدِّ الأوَّل، فبلغ ذلك ابن أبي ليلى، فذهب إلى الأمير فشكاه، فحَجَر الأمير على أبي حنيفة أن يُفتي!»[4].

---

(١) في الأصل: «يكون»، والمثبَت من مصادر التَّخريج.

(٢) البيت مختلَف نِسبته؛ فقيل هو لضَمرة بن ضَمرة بن جابر ـ وهو شاعر جاهليٌّ ـ، وقيل غير ذلك. راجع: «المجموع المغيث» لأبي موسى المَدِينيِّ (١/ ٥٣٣)، و«خزانة الأدب» (٢/ ٣٨).

(٣) مقابله في الأصل حاشية نصُّها: «وأبو حنيفة صلَّى وجلس في المحراب، فقال له [أيحلُّ] أن تصلِّي وفيه تصاوير؟ قال: [أصلِّي فيه منذ] خمس وأربعين سنة، فما [علمتُ] أنَّ فيه تصاوير، ثمَّ [أمر] بالصُّور فطُمست. [وقال له] رجل: ما أحسن سقف [هذا المسجد]، فقال: ما رأيتُه، وأنا فيه [أكثر من] أربعين سنة». وراجع: «مناقب أبي حنيفة» للكَردَريِّ (١/ ٢٥١).

(٤) رواه ابن أبي العوَّام في «فضائل أبي حنيفة» (١٩٠)، وابن عبد البرِّ في «الانتقاء» (ص١٥٢)، =

بينا هو وابنته يأكلان تخلَّلَت[1] ابنته، فخرج على خِلالها صُفرة دَمٍ، فقالت: يا أَبَتِ، عليَّ في هذا وضوء؟ فقال: إنِّي نُهيت عن الفُتيا، فحَلَفتُ لهم، فسَلِي أخاكِ حمَّادًا، ثمَّ أذن له في ذلك[2].

وكان الإمام صاحب زُهد ووَرَع أيضًا؛ قال رجل بالشَّام للحَكَم بن هشام: «أخبِرني عن أبي حنيفة، فقال: على الخبير سقطتَ؛ كان أبو حنيفة لا يردُّ حديثًا ثبت عنده عن رسول اللَّه ﷺ، وكان من أعظَم النَّاس أمانة، وأراده السُّلطان تولية مفاتيح خزائنه فأبَى، واختار ضربَهم وحبسَهم [٣٢/ و] على عذاب اللَّه، فقال له الرَّجل: واللَّه، ما رأيتُ أحدًا وصَفَه بمثل ما وَصَفْتَه، فقال: هو ـ واللَّه ـ ما قلتُ لك»[3].

وقال ابن المبارَك: «قلتُ لسفيان الثَّوريِّ: ما أبعدَه عن الغِيبة، ما سمعتُه يغتابُ عدوًّا له قَطُّ، قال سفيان: هو أعقَل من أن يسلِّط على حسناته ما يَذهب بها»[4].

وتوفِّي أبو حنيفة ببغداد سنة خمسين ومئة، وكان ابن سبعين سنة، ودُفن في مقبرة الخَيزُران، رحمة اللَّه عليه ورِضوانه.

* * *

= والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٨٠).

(١) خلَّل الشَّخص أسنانَه؛ إذا أخرَج ما يَبقى من المأكول بينها.

(٢) رواه ابن عبد البرِّ في «الانتقاء» (ص١٦٨، ١٦٩).

(٣) رواه الصَّيمَريُّ في «أخبار أبي حنيفة وأصحابه» (ص٥١)، وابن عبد البرِّ في «الانتقاء» (ص١٣٨)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٨٠).

(٤) رواه الصَّيمَريُّ في «أخبار أبي حنيفة وأصحابه» (ص٤٢)، والخطيب في «تاريخه» (١٥/ ٤٩٧).

ومالكُ بن أَنَس أخذ العِلم عن ربيعة بن أبي عبد الرَّحمن، فجلس إليه أكثر مَن كان يجلس إلى ربيعة، فكانت حَلقة مالك في زمن ربيعة مثل حَلقة ربيعة وأكثر(١).

سأل قوم ربيعة: كيف حَظِي بك مالكٌ، ولم تَحظَ أنت بنَفْسك؟ فقال: «أمَا علمتم أنَّ مثقالًا من دولة خير مِن حمل عِلم؟!»(٢).

وقال الدَّراوَردِيُّ: «رأيتُ في منامي أنِّي دخلتُ مسجد رسول اللَّه [٣٢/ ظ] ﷺ، فوافيتُ رسولَ اللَّه ﷺ يخطب النَّاس، إذ أقبل مالك بن أَنَس، فدخل من باب المسجد، فلمَّا أبصَرَه رسولُ اللَّه ﷺ قال: إِلَيَّ إِلَيَّ، قال: فأقبل مالك حتَّى دَنا منه، فسَلَّ خاتمه من خِنصره فوضعه في خِنصر مالك»(٣).

وقدم المهديُّ المدينة فبعث إلى مالك بألفَي دينار، أو بثلاثة آلاف دينار، ثمَّ أتاه الرَّبيع بعد ذلك، فقال له: أمير المؤمنين يحبُّ(٤) أن تعادله إلى مدينة السَّلام، فقال له مالكٌ: قال رسول اللَّه ﷺ: «والمَدِينةُ خَيرٌ لهم لو كانوا يَعلَمُونَ»(٥)، والمال عندي على حاله»(٦).

---

(١) مقابله في الأصل حاشية نصُّها: «وقال يونس بن يزيد [في الأصل: زيد]: رأيتُ أبا حنيفة عند ربيعة، وكان مجهود أبي حنيفة أن يفهم ما يقول ربيعة».

وقد روى هذا الأثر أبو زُرعة الدِّمشقيُّ في «تاريخه» (ص٤٢٨)، وابن عَدِيٍّ في «الكامل» (المقدِّمة) (١٠/ ١٢٦)، وأبو نُعيم في «مسنَد أبي حنيفة» (ص١٠٤)، وغيرهم.

(٢) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ٤١٩).

(٣) رواه ابن عبد البرِّ في «الانتقاء» (ص٣٨).

(٤) في الأصل: «يجب».

(٥) أخرجه البخاريُّ (١٨٧٥)، ومسلم (١٣٨٨)؛ من حديث سفيان بن أبي زُهير رضي اللَّه عنه.

(٦) رواه ابن عبد البرِّ في «الانتقاء» (ص٤٢)، والهرويُّ في «ذمِّ الكلام وأهله» (٨٨٨).

وقال عبد اللَّه بن سالم الخيَّاط في حقِّه: [الكامل]

يَأبَى الجوابَ فما يُراجَع هَيبةً والسَّائلون نَواكِسُ الأذقانِ
أدبُ الوقارِ وعِزُّ سلطانِ النُّهى[(١)] فهْو المطاعُ وليس ذا سلطانِ[(٢)]

وتوفِّي بالمدينة سنة تسع وسبعين ومئة، ووُلد [٣٣/ و] سنة ثلاث أو إحدى أو أربع أو سبع وتسعين.

❊ ❊ ❊

وأبو عبد اللَّه محمَّد بن إدريس الشَّافعيُّ أخذ الفقه من مسلم بن خالد الزَّنجِيِّ وغيره.

وقال الرَّبيع بن سليمان: سمعتُ الشَّافعيَّ يقول: «حملتُ عن محمَّد بن الحسن حِمل بُختِيٍّ[(٣)]»[(٤)].

وقال: «ما رأيتُ أحدًا يُسأل عن مسألة فيها نظرٌ إلَّا رأيتُ الكراهِيَة في وجهه، إلَّا محمَّد بن الحسن»[(٥)].

---

(١) بدلها في بعض المصادر: «التُّقى»، وفي بعضها: «الهدى».

(٢) رواه الرَّامَهُرمُزيُّ في «المحدِّث الفاصل» (١٤٣)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣١٨)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الرَّاوي وآداب السَّامع» (٢٩٧).

(٣) البُخت: الإبل الخراسانيَّة.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «آداب الشَّافعيِّ ومناقبه» (ص٢٦)، والآبُرِّيُّ في «مناقب الشَّافعيِّ» (٢٢)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٧٨)، وتمامه: «ليس عليه إلَّا سماعي».

(٥) رواه الآبُرِّيُّ في «مناقب الشَّافعيِّ» (٢٨)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٤٣)، والبيهقيُّ في «مناقب الشَّافعيِّ» (١/ ١٥٩).

وقال: «رأيتُ عليَّ بن أبي طالب في المنام، فسلَّمتُ عليه وصافحتُه وعانقتُه، فخلع خاتمه من إِصبعه فجعله في إصبعي، فقصصتُه[١] على المعبِّر، فقال: سيبلغ اسمُك في الدُّنيا اسمَ عليٍّ بن أبي طالب»[٢].

وقال الرَّبيع: «حججتُ مع الشَّافعيِّ إلى مكَّة، فكلَّما صعد شَرَفًا[٣] أو هبط واديًا يقول: [الكامل]

يا راكبًا قِف بالمحصَّبِ من مِنًى ... واهتِف/ بساكنِ خَيفِها والنَّاهضِ
سَحَرًا إذا قام[٤] الحجيجُ إلى مِنًى ... كمُشَظَّمِ[٥] النَّهرِ الفراتِ الفائضِ
إن كان رفضًا حُبُّ آلِ محمَّدٍ ... فليَشهدِ الثَّقلانِ أنِّيَ رافضي»[٦].

وسبب إنشاد هذا الشِّعر: قيل له: فيكَ بعض التَّشيُّع[٧]، قال: وكيف ذلك؟ قيل: لأنَّك تُظهر حبَّ آل محمَّد، فقال: يا قوم، ألم يقل رسول اللَّه ﷺ: «**لا يُؤمِنُ أَحَدُكُم حتَّى أكونَ أحَبَّ إليه من والِدِهِ ووَلَدِهِ والنَّاسِ أجمَعِينَ**»[٨][٩]؟!

---

(١) في الأصل: «فقصته».
(٢) رواه ابن عبد البرِّ في «الانتقاء» (ص٨٧).
(٣) أي: مكانًا عاليًا.
(٤) في أكثر المصادر: «فاض»، وفي بعضها: «سار».
(٥) كذا، وهو تصحيف على الأرجح؛ ففي أكثر المصادر: «كمُلتَطِم»، وفي بعضها: «كما نَظْم». ومقابله في الأصل حاشية نصُّها: «الشَّيظم: هو الطَّويل».
(٦) رواه ابن عبد البرِّ في «الانتقاء» (ص٩٠)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٥٢)، والبيهقيُّ في «مناقب الشَّافعيِّ» (٢/ ٧١)، لكن ورد عند الأخيرين أنَّه أنشد هذه الأبيات حين نسبته الخوارج إلى الرَّفض؛ حسدًا وبغيًا، وستأتي إشارة المصنِّف لذلك.
(٧) في الأصل: «التَّشييع»!
(٨) أخرجه البخاريُّ (١٥)، ومسلم (٤٤)؛ من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه.
(٩) رواه ابن عبد البرِّ في «الانتقاء» (ص٩١).

قوله: [الكامل]

كيف الوصولُ إلى سعادَ ودُونَها ... قُلَلُ الجبالِ ودُونَهُنَّ حُتُوفُ
والرِّجلُ حافيةٌ[1] وما ليَ مَركَبٌ ... والكَفُّ صِفرٌ والطَّريقُ مَخُوفُ[2]

وقوله أيضًا: [الوافر]

وذُو سَفَهٍ يُواجِهُني بجهلٍ ... وأكرَهُ أن أكونَ [له] مُجِيبًا
يَزِيدُ سفاهةً وأَزِيدُ حِلمًا ... كَعُودٍ زادَهُ الإحراقُ طِيبًا[3]

وقال الشَّافعيُّ: «طلب العِلم [٣٤/ و] أفضل من الصَّلاة النَّافلة»[4].

وقال: «عليكَ بالفقه؛ فإنَّه كالتُّفَّاح الشَّاميِّ؛ يُحمَل من عامِه»[5].

وذُكر عند الشَّافعيِّ إبراهيم بن إسماعيل ابن عُلَيَّة، فقال: «أنا مخالِفُه في كلِّ شيء، وفي قول: لا إله إلَّا اللَّه؛ لستُ أقول كما يقول؛ أنا أقول: لا إله إلَّا اللَّه الَّذي كلَّم موسى عليه السلام تكليمًا من وراء حجاب، وذاك يقول: لا إله إلَّا اللَّه الَّذي خلق كلامًا أسمَعَه موسى من وراء حجاب»[6].

---

(١) في الأصل: «جافية».

(٢) «ديوان الشَّافعيِّ» (ص١٦٢)، وقد نُسب البيتان في «تاريخ إربل» (١/ ١٦٩، ١٧٠) إلى أبي الفداء إسماعيل بن محمَّد الصُّوفيِّ الجَزَريِّ (ت: بعد ٥٩٩هـ).

(٣) «ديوان الشَّافعيِّ» (ص١٥٦)، وقد نُسبا إلى عليِّ بن أبي طالب رضي اللَّه عنه أيضًا.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «آداب الشَّافعيِّ ومناقبه» (ص٧٢)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١١٩)، والبيهقيُّ في «مناقب الشَّافعيِّ» (٢/ ١٣٨).

(٥) رواه البيهقيُّ في «مناقب الشَّافعيِّ» (٢/ ١٤٠)، وابن عبد البرِّ في «الانتقاء» (ص٨٤).

(٦) رواه البيهقيُّ في «مناقب الشَّافعيِّ» (١/ ٤٠٩)، وفي «الاعتقاد» (ص٩٩)، وابن عبد البرِّ في «الانتقاء» (ص٧٩).

وقال: «إذا وجدتُم في كتابي بخِلاف سُنَّة رسول اللَّه ﷺ، فخذوا بسُنَّة رسول اللَّه ﷺ، ودعوا ما قلتُ»(١).

ومن كلامه أنَّه قال: «استعينوا على الكلام بالصَّمت، وعلى الاستنباط(٢) بالفكر»(٣).

وقال: «من ضُحك منه في مسألة لم يَنسَها أبدًا»(٤).

وقال: «يا ربيع، رِضا النَّاس غاية لا تُدرَك؛ فعليك بما يُصلحك فالزَمه؛ فإنَّه لا سبيل إلى رِضاهم»(٥).

وقال: «من تعلَّم القرآن جلَّ في عيون النَّاس، ومن تعلَّم الحديث قوِيَت حُجَّته، ومن تعلَّم النَّحو هِيب، ومن تعلَّم العربيَّة [٣٤/ ظ] رَقَّ طَبْعه، ومن تعلَّم الحساب جَزُل رأيه، ومن تعلَّم الفقه نَبُل قَدْره، و[من] لم يَصُن نَفْسه لم ينفعه عِلمه، ومِلاك ذلك كلِّه التَّقوى»(٦).

---

(١) رواه البيهقيُّ في «مناقب الشَّافعيِّ» (١/ ٤٧٢)، وفي «المدخل إلى علم السُّنن» (٣)، والخطيب في «الفقيه والمتفقِّه» (١/ ٣٨٩).

(٢) في الأصل: «استنباط».

(٣) رواه أبو عليٍّ الهَمَذانيُّ (ت: ٤٠٥هـ) في «الفوائد والأخبار والحكايات» (٢٧)، وعزاه إليه كذلك الغزاليُّ في «الإحياء» (٤/ ٤٢٥)، وابن الجوزيِّ في «صفة الصَّفوة» (٢/ ٢٥٣).

(٤) رواه أبو عليٍّ الهَمَذانيُّ في «الفوائد والأخبار» (٢٩)، وراجع: «صفة الصَّفوة» (٢/ ٢٥٤).

(٥) رواه هكذا أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٢٣)، ورواه أيضًا مرَّة أخرى (٩/ ١٢٢) هو والخطَّابيُّ في «العزلة» (ص٧٦)، لكن جاء في هذه الرِّواية أنَّه قال ذلك ليونس بن عبد الأعلى.

(٦) رواه أبو عليٍّ الهَمَذانيُّ في «الفوائد والأخبار» (٣١)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥١/ ٤٠٩)، ورواه أيضًا أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٢٣).

وقال: «اللَّبيب العاقل هو الفَطِن المتغافِل»(١).

وقال: «لو علمتُ أنَّ الماء البارد ينقص من مروءتي ما شربتُه»(٢).

وقال: «من عرف نَفْسه لم يضرَّه ما قِيل فيه»(٣).

وقال: «وددتُ أنَّ الخَلق يتعلَّمون منِّي، ولا يُنسَب إليَّ منه شيء»(٤).

وقال: «صُحبة من لا يخاف اللَّهَ عارٌ»(٥).

وسُئل: أيُّ الأشياء أوضَع بالرَّجل؟ فقال: «كثرة الكلام، وإضاعة(٦) السِّرِّ، والثِّقة بكلِّ أحد»(٧).

وكان قد جزَّأ اللَّيل ثلاثة أجزاء(٨): ثُلُث للنَّوم، وثُلُث للكِتابة، وثُلُث للصَّلاة(٩).

---

(١) رواه ابن المقرئ في «المعجم» (٦٣)، ومن طريقه البيهقيُّ في «مناقب الشَّافعيِّ» (٢/ ١٩٨)، وفي «شعب الإيمان» (٨٠٣٠)، ورواه أيضًا أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٢٣).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «آداب الشَّافعيِّ ومناقبه» (ص٦٣)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٢٣)، والبيهقيُّ في «مناقب الشَّافعيِّ» (٢/ ١٨٧)، وابن عبد البرِّ في «الانتقاء» (ص٩٣).

(٣) رواه ابن عبد البرِّ في «الانتقاء» (ص٩٩، ١٠٠).

(٤) رواه أبو نُعيم في «الحلية» (٩/ ١١٨)، ومن طريقه ابن الجوزيِّ في «المنتظم» (١٠/ ١٣٧).

(٥) رواه ابن عبد البرِّ في «الانتقاء» (ص٩٩).

(٦) كذا في الأصل، ولعلَّها: «وإذاعة»؛ كما في مصدر التَّخريج.

(٧) رواه ابن عبد البرِّ في «الانتقاء» (ص٩٩، ١٠٠).

(٨) تصحَّفت هذه العبارة في الأصل إلى: «ثلاثة أشياء جزاء» هكذا.

(٩) رواه أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٣٥)، والبيهقيُّ في «مناقب الشَّافعيِّ» (١/ ٢٤٢، و٢/ ١٥٧)، وفي «شعب الإيمان» (٢٩٦٠).

وقال الحُميديُّ: «قَدِم الشَّافعيُّ من اليمن ومعه عشرون ألف دينار، فضرب خَيمة خارج مكَّة، فما قام حتَّى فرَّقَها كلَّها»(١).

وقال الرَّبيع: «تزوَّجتُ فسألني الشَّافعيُّ: كم أصدقتَها؟ قلتُ: ثلاثين، قال: فكم أعطيتَها؟ قلتُ: ستَّ دنانير، فأرسَل إليَّ بِصُرَّة فيها أربعة وعشرون دينارًا»(٢).

وقال الشَّافعيُّ: «من أمَّل بخيلًا فاجرًا كانت عقوبته الحِرمان»(٣).

وقال: «كيف يزهد في الدُّنيا من لا يعرف قَدْر الآخرة، وكيف يَسلَم من النَّاس من لا يَسلَم النَّاس من لسانه ويده، وكيف ينطق بالحكمة من لا [٣٥/ و] يريد بقوله وجه اللَّه عز وجل»(٤).

وحضر الشَّافعيُّ رحمه اللَّه ميتًا فقال: «اللَّهمَّ بِغِناك عنه وفقره إليك اغفِر له»(٥).

وقال الشَّافعيُّ رحمه اللَّهُ تعالى: «من ادَّعى أنَّه جمع بين حبِّ الدُّنيا وحبِّ خالِقها في قلبه فقد كَذَب»(٦).

---

(١) رواه أبو عليِّ الهَمَذانيُّ في «الفوائد والأخبار» (٣)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥١/ ٤٠١)، ورواه أيضًا ابن عبد البرِّ في «الانتقاء» (ص٩٤).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «آداب الشَّافعيِّ ومناقبه» (ص٩٣)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٣٢)، والبيهقيُّ في «مناقب الشَّافعيِّ» (٢/ ٢٢٣)، وابن عبد البرِّ في «الانتقاء» (ص٩٤).

(٣) رواه ابن عبد البرِّ في «الانتقاء» (ص١٠١) بهذا اللَّفظ، ورواه الآبُرِّيُّ في «المناقب» (٨١)، والبيهقيُّ في «المناقب» (٢/ ١٩٦) بلفظ: «من أحسَن ظنَّه بلئيم كان أدنى عقوبته الحرمان».

(٤) رواه ابن عبد البرِّ في «الانتقاء» (ص١٠٠، ١٠١).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «آداب الشَّافعيِّ ومناقبه» (ص٦٣)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١١٦)، والبيهقيُّ في «مناقب الشَّافعيِّ» (٢/ ١٧٩).

(٦) رواه ابن عبد البرِّ في «الانتقاء» (ص١٠٠، ١٠١).

وقال النَّبيُّ ﷺ: «**الأئمَّةُ من قُريشٍ**»(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**قَدِّمُوا قُريشًا ولا تَتَقدَّمُوا عليها**(٢)، **وتَعَلَّمُوا من قُريشٍ ولا تُعَلِّمُوها**»(٣).

وعن عطاء بن أبي رَباح، أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «**أَكرِمُوا قُريشًا؛ فإنَّ عالِمَها يَملأُ الأرضَ عِلمًا**»(٤).

وقال أبو البَيان(٥) الأصبهانيُّ: «رأيتُ النَّبيَّ ﷺ في النَّوم، فقلت: يا رسول اللَّه، محمَّد بن إدريس ابن عمِّك؛ هل نفعتَه بشيء؟ قال: «**نعم، سألتُ اللَّهَ تعالى أَلَّا يُحاسِبَه**»، فقلتُ: بماذا يا رسول اللَّه؟ قال: «**لأنَّه كان يصلِّي عليَّ صلاةً لم يصلِّ [عليَّ أَحَد مثلها]**(٦)»، فقلتُ: فما تلك الصَّلاة يا رسول اللَّه؟ قال:

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٣٠٧)، والنَّسائيُّ في «السُّنن الكبرى» (٥٩٠٩)؛ من حديث أنس رضي اللَّه عنه.

وله عدَّة شواهد، منها: ما أخرجه أحمد (١٩٧٧٧)، والبزَّار (٣٨٥٧)؛ من حديث أبي بَرزَة الأسلَميِّ رضي اللَّه عنه.

(٢) في الأصل: «عليه».

(٣) أخرجه مَعمر في «جامعه» (١٩٨٩٣)، ومن طريقه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٠٥٣)؛ من طريق الزُّهريِّ، عن سهل بن أبي حَثمة رضي اللَّه عنه.

وإسناده صحيح، لكنه منقطع بين الزُّهريِّ وسهل رضي اللَّه عنه. وراجع: «فتح الباري» (٦/ ٥٣٠).

والحديث صحيح بشواهده؛ فقد روي عن عدد من الصَّحابة رضي اللَّه عنهم، منهم: عليُّ بن أبي طالب، والسَّائب بن يزيد، وجُبير بن مطعم رضي اللَّه عنهم، وقد جمع الحافظ ابن حجر طُرُقه في جزء كبير سمَّاه: «لذة العيش بطُرُق: الأئمَّة من قريش». راجع: المصدر السَّابق، و«تلخيص الحبير» (٢/ ٩٣٥).

(٤) أخرجه العُقيليُّ في «التَّاريخ الكبير» -كما في «الانتقاء» (ص٨٣) لابن عبد البرِّ-، والخطيب في «موضح أوهام الجمع والتَّفريق» (٢/ ١٨١)، بإسناد فيه ضعف، فضلًا عن إرساله.

(٥) في بعض المصادر: «ابن بيان»، ولم نقف له على ترجمة.

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من مصادر التخريج، وبدله في الأصل: «تلك الصَّلاة».

**«كان يقول: اللَّهمَّ صلِّ على محمَّدٍ كلَّما ذكره الذَّاكِرُونَ، وصلِّ على محمَّدٍ كلَّما غَفَلَ عنه الغافِلُونَ»»[1].**

وقال أحمد لابنه: «كان الشَّافعيُّ كالشَّمس للدُّنيا، وكالعافية للنَّاس، فانظر هل لهذين من خَلَف أو عِوَض؟»[2]. [٣٥/ ظ]

وتوفِّي ليلة الخميس في آخِر يوم من رجب سنة أربع ومئتين بمصر، ووُلد سنة خمس ومئة، ودُفن يوم الجمعة بعد العصر، وصلَّى عليه أمير مصر.

❊ ❊ ❊

وأحمد بن محمَّد بن حَنبَل كان مجتهِدًا زاهدًا محدِّثًا.

وقال عبد الرَّزَّاق: «ما رأيتُ أفقه ولا أورَع من أحمد بن حنبل»[3].

وقال أبو زُرعة: «كان أحمد يحفظ ألفَ ألفِ حديث»[4].

وكان كثيرًا ما يقول في دُبُر كلِّ صلاة: «اللَّهمَّ كما صُنتَ وجهي عن السُّجود

---

(١) راجع: «صفة الصَّفوة» (٢/ ٢٥٧)، و«طبقات الشَّافعيَّة الكبرى» (١/ ١٨٨)، وقد وردت هذه الحكاية عن غير أبي البَيان المذكور.

(٢) رواه ابن عبد البرِّ في «الانتقاء» (ص٧٤، ٧٥)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/ ٤٠٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥١/ ٣٤٨).

(٣) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٦١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ٢٧٠)، وابن الجوزيِّ في «مناقب الإمام أحمد» (ص٨٧، ٨٨).
ورُوي نحو ذلك عن الشَّافعيِّ؛ كما في «معرفة علوم الحديث» للحاكم (ص١٢٢)، وغيره.

(٤) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/ ١٠٠)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ٢٩٦)، وابن الجوزيِّ في «المنتظم» (١١/ ٢٨٧).

لغيرك، فَصُن وجهي عن المسألة لغيرك»(١).

وذُكر في «الشِّفا»(٢) أنَّ أحمد بن حنبل قال: «كنتُ يومًا مع جماعة تجرَّدوا ودخلوا الماء، فاستعملتُ الحديث: «مَن كان يُؤمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخِرِ فلا يَدخُلُ الحَمَّامَ إلَّا بمِئزَرٍ»(٣)، ولم أتجرَّد، فرأيتُ تلك اللَّيلة قائلًا لي: يا أحمد، أبشِر؛ فإن اللَّه قد غفر لك باستعمالك الحديث، وجعلك إمامًا يُقتدَى بك، قلتُ: من أنتَ؟ قال: جبريل»(٤).

وجاءه رجل فقال: «أمِّي مقعَدة من نحو عشرين سنة، وقالت لي: اذهب إلى أحمد يدعو اللَّه [٣٦/ و] لي، فغضب وقال: نحن أحوَج أن تدعو اللَّه لنا، فولَّى الرَّجل، فقالت له عجوز: أنتَ الَّذي كلَّمتَ أبا عبد اللَّه، قلتُ: نعم، قالت: قد تركتُه يدعو لها، فجاء رجل إلى البيت فدَقَّ الباب، فخرَجَت أمُّه على رِجليها تمشي حتَّى فتحتِ الباب! وقالت: قد وهب اللَّه لي العافية»(٥).

فلمَّا ابتُلي ببلاء فضُرب(٦) سَوطًا، فلمَّا بلغ الضَّرب الثَّاني قال: لا حول

---

(١) رواه أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٣٣)، ومن طريقه ابن الجوزيِّ في «مناقب الإمام أحمد» (ص٣٩٢).

(٢) «الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض (١١٨٤).

(٣) أخرجه التِّرمذيُّ (٢٨٠١) بنحوه، والنَّسائيُّ (٤٠١)؛ من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما، وقال التِّرمذيُّ: «حديث حسن غريب».

(٤) مقابله في الأصل حاشية نصُّها: «وقال الشَّا[...]: ما حلفتُ باللَّه كاذبًا [...]، وذلك وتوقيره وجلا[له] في قلبه».

(٥) رواه أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٨٦)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ٢٩٩)، وابن الجوزيِّ في «مناقب الإمام أحمد» (ص٣٩٨).

(٦) كذا.

ولا قوَّة إلَّا باللَّه، فلمَّا ضُرب الثَّالثة قال: القرآن كلام غير مخلوق، فلمَّا ضُرب الرَّابع قال: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ [التَّوبة: ٥١]، فضُرب تسعة وعشرين سَوطًا، فتقطَّعَت تِكَّتُه[١]، فنزل السَّراويل إلى عانَتِه، فرمى طَرْفه إلى السَّماء، وحرَّك شَفَتيه، فبقي السَّراويل لم ينزل، فقيل له بعد ذلك: أيَّ شيء قلتَ؟ قال: قلتُ: اللَّهمَّ أسألك باسمِك الَّذي ملأتَ به العرش؛ إن كنت تعلَم أنِّي على الصَّواب فلا تكشِف لي سِترًا»[٢].

وأنشد الشَّافعيُّ في حقِّه هذين البَيتين يقول: [الكامل]

قالوا يَزُورُك أحمدٌ وتَزُورُهُ     قلتُ الفضائلُ لا تُفارِقُ منزلَهْ
إن زارني فبفضلِه أو زُرتُهُ /     فلفضلِه فالفضلُ في الحالَين لَهْ[٣]

ولم يكن أحمد يخوض في شيء ممَّا يخوض فيه النَّاس من أمر الدُّنيا، فإذا ذُكر العِلم تكلَّم.

وقال أبو داود: «كانت مجالَسة أحمد مجالَسة الآخرة، لا يُذكر فيها شيء من أمر الدُّنيا، ما رأيتُ أحمد ذكر الدُّنيا قَطُّ»[٤].

---

(١) التِّكَّة: رِباط السَّراويل.

(٢) رواه ابن الجوزيِّ في «مناقب الإمام أحمد» (ص٤٤٧)، وفي «المنتظم» (١١/ ٤٣).

(٣) كذا نسبهما المتأخِّرون للشَّافعيِّ؛ كاليافعيِّ في «غربال الزَّمان» (ص٢٢٤)، وابن العماد في «شذرات الذَّهب» (٣/ ١٨٨).

ونُسبا في «تاريخ إربل» (١/ ٢٧٩) إلى أبي الحسن عليِّ بن محمَّد الواسطيِّ، المعروف بابن الحدَّاد (ت: ٦١٦هـ).

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ٢٩١)، وابن الجوزيِّ في «مناقب الإمام أحمد» (ص٢٩٥، ٣٢٩).

وورث رجل مئة ألف دينار، فبعث منها ثلاثة آلاف إلى أحمد، فقال: «لا حاجة لي فيها، أنا في كفاية[١]»، وردَّها إليه[٢].

وقال: «إنَّما هو طعام دون طعام، ولِباس دون لِباس، وإنَّها أيَّام قلائل»[٣].

وقال: «أسَرُّ أيَّامي اليوم الَّذي أُصبح وليس عندي فيه شيء»[٤].

أعَزُّ النَّاسِ نَفْسًا مَن تَراهُ يُعِزُّ النَّفْسَ عن ذُلِّ[٥] السُّؤالِ
ويَقنَعُ[٦] بالكَفافِ ولا يُبالِي بفَضلٍ فاتَ من جاهٍ ومالِ[٧]
فكم دَقَّتْ وشَقَّتْ[٨] واسترَقَّتْ فضولُ العيشِ أعناقَ الرِّجالِ[٩]

وحُصر مَن حضر جنازته من الرِّجال ثمان مئة ألف، ومن النِّساء ستُّون[١٠] ألفًا، ومُسحت[١١] المواضع المبسوطة الَّتي وقف عليها النَّاس، فكان

(١) في الأصل: «كفايا»، أو كلمة نحوها.

(٢) رواه أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٣٣)، ومن طريقه ابن الجوزيِّ في «مناقب الإمام أحمد» (ص٣١٧)، ورواه أيضًا ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ٣٠٥).

(٣) رواه أبو بكر المرُّوذِيُّ في «الورع» (٢٤٥)، وفي «أخبار الشُّيوخ وأخلاقهم» (١٧٨)، ومن طريقه ابن الجوزيِّ في «مناقب الإمام أحمد» (ص٣٣٤).

(٤) المصدر السَّابق.

(٥) في الأصل: «ذاك»، والمثبَت من مصادر التَّخريج.

(٦) في الأصل: «ويبصره»، أو كلمة نحوها، وهو تصحيف، والمثبَت من مصادر التَّخريج.

(٧) هذا البيت ملحَق في حاشية الأصل. (٨) في الأصل: «وسرقة»!

(٩) الأبيات من الوافر، وقد أوردها صفيُّ الدِّين الحلبيُّ (ت: بعد ٦٢٥هـ) في «أُنس المسجون» (ص٢٠٧)، والمستعصميُّ (ت: ٧١٠هـ) في «الدُّرِّ الفريد» (٢/ ١٧٢)، دون نِسبة.

(١٠) في الأصل: «ستِّين». (١١) في الأصل: «مستحب»!

تقدير [٣٧/ و] النَّاس ستَّ مئة ألف وأكثر، سِوى ما في الطُّرقات والسُّطوح والمواضع المتفرِّقة أكثر من ألف ألف[1].

وتوفِّي ببغداد سنة إحدى وأربعين ومئتين، ووُلد سنة أربع وستِّين ومئة، أسكنه اللَّه تعالى في فسيح جناته برحمته وغفرانه.

* * *

قال بعض الصُّلحاء: «لا شيء أسرع ذَهابًا من العمر والدُّنيا، ولا أقرب من الموت والآخرة، والخيرُ في القناعة، والشَّرُّ في الحِرص، وأخسَر النَّاس من ضيَّع أوقاته بـ«لعلَّ وسوف»، وأحسن الحالات التَّواضع، ولا شيء أجمع للخير من حُسن الخُلُق، والسَّكينةُ مع السُّكوت، ولا حريص إلَّا محروم، ولا طالب دنيا إلَّا مهموم، وأقلُّ الأشياء إخوان الصِّدق، وأكثر الأشياء إخوان النِّفاق، والذُّلُّ في خدمة المخلوق، والعِزُّ في خدمة الخالق، وخير الحِساب محاسَبة النَّفْس، والعاقل مُقبِل على الآخرة، والجاهل مُقبِل على الدُّنيا، والقويُّ من يَقوَى على تأديب نَفْسه، وبَرَكة العمر والرِّزق في طاعة اللَّه وخشيته، [٣٧/ ظ] وخير الدَّارَين في اتِّباع السُّنَّة، وتمام النِّعمة شُكر النِّعمة، وأصل الآفات اللِّسان، وأساس الدِّين

(١) مقابله في الأصل حاشية نصُّها: «رُوي أنَّه أسلم في ذلك اليوم من اليهود والنَّصارى نحو من ثلاثين ألفًا؛ لمَّا [...] كثرة النَّاس على جنازته»

○ وحاشية أخرى نصُّها: «أقول: انظر الآن في سِرِّ [كذا، ولعلها: سِيَر] هؤلاء الأئمَّة الأربعة، ثمَّ انظر إلى الَّذين ادَّعَوا الاقتداء بهم؛ أصدقوا في دعواهم أم لا؟».

○ وحاشية ثالثة نصُّها: «قيل: لا يتمُّ الإعراض عن [كذا]، والتَّجرُّد للَّه تعالى مجرَّد العلم بالفروع؛ من معرفة السَّلم والإجارة والطَّهارة والإيلاء واللِّعان، بل يتمُّه [أو كلمة نحوها] علم آخَر أعلى وأشرف منه، وفي صحف إبراهيم [...]».

الصَّبر واليقين، وأفضل العبادات أداء الفرائض واجتناب المعاصي، وخير الأعمال كفُّ الأذى، ومَن حاسَب نَفْسه رَبِح، ومن غَفَل عنها خَسِر، ومن خاف أَمِن، وبئس الزَّاد العدوان على العِباد، والمودَّة قرابة مستفادة»(١).

وقال هَرِم بن حيَّان: «قدمتُ الكوفة فلقيتُ أُوَيس بن عامر القَرْنيَّ(٢)، قال: أنتَ هَرِم بن حيَّان؟ فقلتُ: من أين عرفتَ اسمي واسم أبي وما رأيتُك قبل اليوم؟! قال: نبَّأني العليم الخبير، إنَّ المؤمنين يَعرف بعضهم بعضًا، ويتحابُّون برُوح اللَّه تعالى، وإن لم يَلتقُوا، قلتُ: حدِّثني - رحمك اللَّه - عن رسول اللَّه ﷺ، قال: إنِّي لم أُدرك رسول اللَّه ﷺ، ولم يكن لي معه صُحبة، فقلتُ: أخي اقرأ عليَّ آيات من كتاب اللَّه أسمعها منك؛ فإنِّي أحبُّك في اللَّه، [٣٨/ و] وأَوصِني، فأخذ بيدي فقال: أعوذ باللَّه السَّميع العليم من الشَّيطان الرَّجيم، قال: وأصدَق الحديث حديث ربِّي عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ الآية، إلى قوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الدُّخان: ٣٨-٤٢]. ثمَّ قال: هذه وصيَّتي إيَّاك؛ كتاب اللَّه، عليكَ بذِكر الموت، ولا يفارقنَّ(٣) قلبك طَرْفة عيَن ما بقيتَ، ثمَّ قال: السَّلام عليك ورحمة اللَّه، لا أراكَ بعد اليوم؛ فإنِّي أكرَه الشُّهرة والوَحدة أحَبُّ إليَّ»(٤).

---

(١) لم نقف عليه مطوَّلًا بهذا السِّياق، ووردت بعض كلماته منسوبة إلى عليِّ بن أبي طالب رضي اللَّه عنه، وبعضها لعمر بن عبد العزيز، وبعضها لغيرهما.

(٢) مقابله في الأصل حاشية نصُّها: «قيل: إنَّما منع أُوَيسًا أن يقدم على رسول اللَّه ﷺ برُّه بأمِّه وخدمتُه لها».

(٣) تصحَّفت في الأصل إلى: «ولا يعار عن».

(٤) أخرجه أحمد في «الزُّهد» (٢٠١٤)، وابن أبي الدُّنيا في «العزلة والانفراد» (١١٤)، والحاكم (٣/ ٤٠٦)، كلُّهم بسياق أطول من هذا.

وقال أُوَيْس: «لستُ أُحِبُّ أن أكون محدِّثًا أو قاضيًا أو مفتيًا، في نَفْسي شغل عن النَّاس»[١].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «أَلَا وإنَّهُ إذا كان يَومُ القِيامةِ قِيل للعِباد: ادخُلُوا الجَنَّةَ، وقِيل له: قِفْ فاشْفَع، فيُشَفِّعُه اللَّهُ عز وجل في مِثْلِ عَدَدِ رَبيعةَ ومُضَرَ، يا عَلِيُّ ويا عُمَرُ، إذا لَقِيتُماهُ[٢] فاطْلُبا إليهِ أن يَستَغفِرَ لكُما؛ يَغفِرِ اللَّهُ لكُما»، فلَقِياه[٣] بأَراك عرفات[٤]، فإذا هو قائم يصلِّي والإبل حوله[٥].

وسُئل الشِّبْليُّ عن الزُّهد، فقال: «تحويل القَلب من الأشياء [٣٨/ ظ] إلى الرَّبِّ»[٦].

وقال: «من عَرَف اللَّه لا يكون له غَمٌّ أبدًا»[٧].

وقال: «لو أجرَى على الأولياء ذَرَّة ممَّا كشف للأنبياء لبَطَلُوا وانقطَعُوا»[٨].

---

(١) جزء من الأثر السَّابق.
(٢) في الأصل: «لقيتما».
(٣) في الأصل: «فلقيا».
(٤) وادٍ بعرفات.
(٥) أخرجه أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٨٠)، ومن طريقه الرَّافعيُّ في «التَّدوين في أخبار قزوين» (١/ ٩١)، وأخرجه أيضًا ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٩/ ٤٢٣)؛ من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه، في حديث طويل.
وقال الذَّهبيُّ: «وهذا سياق منكر، لعلَّه موضوع». «سير أعلام النُّبلاء» (٤/ ٢٨).
(٦) رواه السُّلميُّ في «طبقات الصُّوفيَّة» (ص٢٥٩)، وعنه البيهقيُّ في «الزُّهد الكبير» (٥٢)، ورواه أيضًا أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٧٠)، كلُّهم بلفظ: «تحويل القلب من الأشياء إلى ربِّ الأشياء».
(٧) «غيث المواهب العليَّة بشرح الحِكم العطائيَّة» لابن عبَّاد الرُّنديِّ (ت: ٧٩٢هـ) (ص٢٦٥).
(٨) رواه السُّلميُّ في «طبقات الصُّوفيَّة» (ص٢٦٤).

وقال: «المحِبُّ إذا سكت هَلَك، والعارف إذا لم يسكت هَلَك»(١).

وقال: «المعرفة أوَّلُها اللَّه، وآخِرُها ما لا نهاية له، ومَن ظنَّ أنَّه واصِل فليس له حاصِل، ومَن رأى أنَّه قريب فهو بعيد، وكلُّ ما ميَّزتُمُوه بعقولكم وأدركتموه بأوهامكم، فهو مصروف مردود إليكم، محدَث مصنوع مثلكم»(٢).

قيل لأبي مالك(٣): «ما مالُكَ؟ قال: شيئان؛ الرِّضا عن اللَّه تعالى، والغِنى عن النَّاس، فقيل له: إنَّك مِسكين، فقال: كيف أكون مِسكينًا ومولاي له ما في السَّماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثَّرى؟!»(٤).

ورُوي أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «الدُّنيا يَومانِ: يومُ فَرَحٍ ويَومُ غَمٍّ، وكِلاهُما زائلٌ، فدَعُوا ما يَزُولُ، [٣٩/ و] وأَتعِبُوا أنفُسَكُم في العملِ لِما لا يَزُولُ»(٥).

وقال بعض الأخيار: «أتَدرُون ما الدَّاء والدَّواء والشِّفاء؟ الدَّاء الذُّنوب، والدَّواء الاستغفار، والشِّفاء أن تتوب ولا تعود»(٦).

---

(١) «الرِّسالة القُشيريَّة» (٢/ ٤٩٠).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٦/ ٥٩)، وراجع أيضًا: «الرِّسالة القُشيريَّة» (٢/ ٤٦٦).

(٣) كذا، والصَّواب: أبو حازم، وهو سلمة بن دينار المدنيُّ القاصُّ الزَّاهد الحكيم، من أفاضل التَّابعين وعبَّادهم. تُنظر ترجمته في «سير أعلام النُّبلاء» (٦/ ٩٦).

(٤) رواه الدِّينَوريُّ في «المجالَسة وجواهر العلم» (٢٧٤٣)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٢٩).

(٥) لم نقف عليه مسندًا، وقد أورده الماورديُّ هكذا في «أدب الدُّنيا والدِّين» (ص١٢٦)، فقال: «ورُوي عن النَّبيِّ ﷺ»، فذكره.

(٦) أخرجه أحمد في «الزُّهد» (١٩٨٣)، ومن طريقه أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٠٨)، وابن العَدِيم في «بغية الطَّلب في تاريخ حلب» (٨/ ٣٥٨٢)؛ عن الرَّبيع بن خُثيم.

ورُوي أنَّ الخبيث إبليس تبدَّى ليحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: إنِّي أريدُ أن أنصحك، فقال: «كذبتَ، أنت لا تَنصَحُني، ولكن أَخبِرني عن بني آدمَ»، قال: هم عندنا على ثلاث طبقات: أمَّا الصِّنف[1] الأوَّل؛ فهم أشدُّ الأصناف علينا؛ نُقبل [عليه] حتى نَفتِنَه، ثمَّ يفزع[2] إلى التَّوبة والاستغفار، فيُفسد علينا كلَّ ما أَرَدْنا منه، ثمَّ نعود إليه فيعود؛ فلا[3] نحن نَيأَس منه، ولا نحن ننال منه حاجتنا؛ فنحن منه في عَناء.

وأمَّا الصِّنف الآخَر؛ فهم في أيدينا كالأُكْرة[4] في أيدي صِبيانكم، نتلقَّفهم كيف شِئنا، قد كَفَونا[5] أنفُسَهم.

وأمَّا الصِّنف الآخَر؛ فهم مِثلك معصومون، لا نَقدِر منهم على شيء.

فقال له يحيى: «على ذلك؛ هل قَدرتَ منِّي على شيءٍ؟» قال: [لا]، إلَّا مرَّة واحدة قُدِّم إليك طعامٌ[6] فلم أزل أشهِّيه[7] إليك حتَّى أكلتَ أكثر ممَّا تريد، فنِمتَ ولم تَقُم إلى الصَّلاة كما كنتَ تقوم إليها، فقال: «لا جَرَم لا شَبِعتُ من [٣٩/ ظ] طعامٍ أبدًا حتَّى أموتَ»، فقال الخبيث: لا جَرَم لا نصحتُ آدميًا بعدك[8].

---

(١) في الأصل: «الأصنف»، وكذا في الموضعين الآخرين من هذا الأثر.

(٢) في الأصل: «يفرغ». (٣) في الأصل: «ولا».

(٤) لغة في الكُرَة، إلَّا أنَّها رديئة. راجع: «تهذيب اللُّغة» (١٠/ ١٩٠)، و«المحكَم» (٧/ ٨٢)، وقد تأخَّرت هذه الكلمة في الأصل إلى ما بعد قوله: «في أيدي صبيانكم».

(٥) في الأصل: «كفوا». (٦) في الأصل: «طعامًا»!

(٧) في الأصل: «أشتهيه»!

(٨) أخرجه ابن أبي الدُّنيا في «مكائد الشَّيطان» (٥٢)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٤٨)؛ عن وُهيب بن الوَرد.

وقال سَرِيٌّ(١): «رأيتُ بُهلولًا(٢) جالسًا وقد دلَّى(٣) رجليه في قَبر، فقلتُ: أنت هاهُنا؟ فقال: أنا عند قوم لا يؤذونني، وإن غِبتُ لا يغتابونني(٤)، فقلتُ: الخبز قد غَلا، فقال: ما أُبالي، ولو حَبَّة بمثقال، علينا أن نعبده كما أَمَرَنا، وعليه أن يرزقنا كما وعَدَنا، ثمَّ ولَّى وهو يقول: [البسيط]

يا من تمتَّعَ بالدُّنيا وزِينَتِها ... ولا تنامُ عنِ اللَّذَّاتِ عَيناهُ
أفنيتَ عمركَ فيما ليس تُدرِكُهُ ... تقولُ للَّهِ ماذا حين تَلقاهُ(٥)

وأنشَد(٦) هذين البيتين مخاطِبًا الرَّشيد: [الوافر]

هَبْ أنَّكَ قد ملكتَ الأرضَ طُرًّا ... ودَانَ لك البلادُ يكون ماذا؟
أليس غدًا مصيرُكَ جوفَ قبرٍ(٧) ... ويَحثُو التُّربَ(٨) هذا ثمَّ هذا(٩)

وقال ذو(١٠) النُّون المِصريُّ: «بِشْر المؤمن في وجهه وحُزنه في قلبه، زاجر عن

---

(١) هو: السَّرِيُّ بن المغلِّس السَّقَطيُّ، أبو الحسن البغداديُّ، كان أحد الزُّهَّاد الأتقياء العبَّاد. تُنظر ترجمته في «سير أعلام النُّبلاء» (١٢/ ١٨٥).

(٢) هو: البُهلول بن عمرو، أبو وُهيب الكوفيُّ، الَّذي يقال له: البُهلول المجنون. قال عنه الذَّهبيُّ: «وُسوِس في عقله، وما أظنُّه اختلط، أو قد كان يصحو في وقت؛ فهو معدود في عقلاء المجانين، له كلام حسن، وحكايات». «تاريخ الإسلام» (٤/ ٨١٨).

(٣) في الأصل: «أدلى».

(٤) في الأصل: «يغتابوني».

(٥) رواه البيهقيُّ في «الزُّهد الكبير» (٦٨١).

(٦) يعني: البُهلول بن عمرو.

(٧) في الأصل: «ترب»!

(٨) في الأصل: «التُّراب».

(٩) رواه تمَّام الرَّازيُّ في «مسنَد المقلِّين من الأمراء والسَّلاطين» (١٨)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ٤٠٩)، ورواه أيضًا ابن الجوزيِّ في «المنتظم» (٩/ ١٥٥)، وفي «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن» (٦٢).

(١٠) في الأصل: «ذا».

كلِّ شرٍّ حاضر على كلِّ خير، لا حقود ولا حسود، ولا سبَّاب ولا عيَّاب، يكره الرِّفعة ويُبغض السُّمعة، طويل الهَمِّ كثير الغَمِّ، راض عن مولاه مخالِف لهواه، ولا يغلط على من يُؤذيه ولا يخوض فيما لا يعنيه، بشَّاش لا فحَّاش [٤٠/ و] ولا غشَّاش، كظَّام بسَّام، دقيق النَّظر عظيم الحَذَر، فهذا هو المؤمن حقًّا، والسَّلام»(١).

وقال الجُنَيد: «علامة إعراض اللَّه عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه»(٢).

وقال: «المروءة احتمال زَلَل(٣) الإخوان»(٤).

وقال: «ما أخرَج اللَّه تعالى إلى الأرض عِلمًا وجعل للخَلق إليه سبيلًا، إلَّا وقد جعل لي فيه نصيبًا»(٥).

وكان يصلِّي كلَّ يوم ثلاث مئة ركعة، ويسبِّح كلَّ يوم ثلاثين ألف تسبيحة(٦).

وقال: «الطَّريق إلى اللَّه تعالى مسدود على الخَلق إلَّا على المقتفِين لآثار

---

(١) روى بعض فقراته ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/ ٤١٩).

وأورده بتمامه شمس الدِّين السَّفِيريُّ (ت: ٩٥٦هـ) في «المجالس الوعظيَّة في شرح أحاديث خير البريَّة ﷺ» (١/ ٢٨٤).

(٢) لم نقف عليه منسوبًا إلى الجُنيد، وقد رواه أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٤٣)، والبيهقيُّ في «الزُّهد الكبير» (٧٢)؛ من قول ذي النُّون.

(٣) في الأصل: «زيل»!

(٤) رواه أبو عليٍّ الهمَذانيُّ في «الفوائد والأخبار والحكايات» (١٦)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٦٨).

(٥) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ١٦٩)، ومن طريقه ابن الجوزيِّ في «المنتظم» (١٣/ ١١٨)، ورواه أيضًا ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ١٢٧).

(٦) رواه الخطيب في «تاريخه» (٨/ ١٧٠)، ومن طريقه ابن الجوزيِّ في «المنتظم» (١٣/ ١١٨).

النَّبيِّ ﷺ، والتَّابِعين لسُنَّته، قال اللَّه تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]»(١).

ومعروف الكَرخيُّ يجيب كلَّ من دعاه، فقيل له في ذلك، فقال: «أنا ضَيف أَنزِل حيث أُنزَل»(٢).

وكان يؤذِّن فإذا قال: أشهَد أن لا إله إلَّا اللَّه، يقوم شَعر لِحيته وصُدغَيه كأنَّه زَرْع(٣).

وقال له بعض أصحابه: بلغني أنَّك تمشي على الماء، فقال: «ما مشيتُ قَطُّ على الماء، ولكن إذا أردتُ العبور يُجمع لي طرفاها فأتخطَّاها»(٤).

ورأى أصحابه في وجهه أثرًا، قالوا: كنَّا عندك البارحة وليس في وجهك شيء، فما [٤٠/ ظ] هذا؟ فلم يخبرهم، فأقسَموا عليه باللَّه، فانتَفَض(٥) وقال: مضيتُ إلى بيت اللَّه الحرام، ثمَّ صِرتُ إلى زَمزَم، فشربتُ منها فزَلِقتُ، فنَطَح وجهيَ البابُ، فهذا الَّذي ترون منه»(٦).

وقعد يومًا على دِجلة، فمرَّ به أحداث في زَورق يشربون ويضربون بالملاهي، فقال له أصحابه: «أمَا ترى هؤلاء في الماء يعصون اللَّه، ادع اللَّه عليهم، فرفع

---

(١) رواه ابن الجوزيِّ في «تلبيس إبليس» (ص١٢).

(٢) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ٢٤٧) بلفظ: «إنَّما أنا ضيف، حيث أنزلَني نزلتُ».

(٣) «صفة الصَّفوة» (٢/ ٣١٩).

(٤) رواه أبو عليٍّ الهمَذانيُّ في «الفوائد والأخبار والحكايات» (٧٦)، ومن طريقه البيهقيُّ في «دلائل النُّبوَّة» (٦٠٦)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٥/ ٢٧٢).

(٥) في الأصل: «فانتقض».

(٦) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٥/ ٢٦٧)، ومن طريقه ابن الجوزيِّ في «المنتظم» (١٠/ ٨٨).

يده وقال: إلهي وسيِّدي، أسألك أن تفرِّحهم في الجنَّة كما فرَّحتهم في الدُّنيا، فقال له أصحابه: قلنا لك ادعُ عليهم، فقال: إذا فرَّحهم في الآخرة تاب عليهم في الدُّنيا، ولم يضرَّكم»[١].

وقال الغزاليُّ في «إحياء العلوم»[٢]: «ينبغي أن يكون المتعلِّم[٣] من جِنس ما رُوي عن حاتم الأصَمِّ تلميذ شَقيق البَلخيِّ، أنَّه قال له شَقيق: منذ كم صحبتني؟ فقال حاتم: منذ ثلاث وثلاثين سنة، قال: فما تعلَّمتَ منِّي في هذه المدَّة؟ قال: ثماني[٤] مسائل، قال شَقيق البَلخيُّ: إنَّا للَّه وإنَّا إليه راجعون، ذهب عمري معك ولم تتعلَّم إلَّا ثماني مسائل، قال: يا أستاذ، ولم أتعلَّم غيرها ولا أُحِبُّ أن أكذب، [٤١/ و] فقال: هاتِ هذه الثَّماني مسائل حتَّى أسمعها.

قال حاتم: نظرتُ إلى هذا الخَلق، فرأيتُ كلَّ واحد يُحِبُّ محبوبًا، فهو [مع] محبوبه إلى القبر، فإذا وصل إلى القبر فارَقَه، فجعلتُ الحسنات محبوبي، فإذا دخلتُ القبر دخل معي محبوبي.

قال: أحسنتَ يا حاتم، فما الثَّانية؟ قال: إنِّي نظرتُ في قول اللَّه عز وجل: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النَّازعات]، فعلمتُ[٥] أنَّ قوله سبحانه هو الحقُّ، فأجهدتُ نَفْسي حتَّى استقرَّت على طاعة اللَّه سبحانه وتعالى.

---

(١) رواه البيهقيُّ في «شعب الإيمان» (٦٢٧٦)، والقُشيريُّ في «رسالته» (١/ ٢٦٥).

(٢) «إحياء علوم الدِّين» (١/ ٦٥-٦٦).

(٣) في الأصل: «التَّعلُّم».

(٤) في الأصل: «ثمان»، وكذا في مواضع أخرى من هذا النَّقل.

(٥) في الأصل: «فقلت».

قال: أحسنتَ يا حاتم، فما الثَّالثة؟ قال: إنِّي نظرتُ إلى هذا الخَلق، فرأيتُ كلَّ مَن كان معه شيء له قِيمة ومقدار عنده رفَعَه وحَفِظَه، فكلَّما وقع معي شيء له مقدار وقِيمة وجَّهتُه إليه؛ لكي ألقاه عند ربِّي محفوظًا.

قال: أحسنتَ يا حاتم، فما الرَّابعة؟ قال: إنِّي نظرتُ إلى هذا الخَلق، فرأيتُ كلَّ واحد منهم يرجع إلى المال والحَسَب والشَّرَف والنَّسَب، [٤١/ ظ] فنظرتُ فإذا هي لا شيء، ثمَّ نظرتُ إلى قول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فعملتُ في التَّقوى حتَّى أكون عند اللَّه عز وجل شريفًا كريمًا.

قال: أحسنتَ يا حاتم، فما الخامسة؟ قال: نظرتُ إلى هذا الخَلق، فإذا هم يَلعَن بعضُهم بعضًا، فإذا أصل هذا كلِّه الحَسَد، ثمَّ نظرتُ إلى قول اللَّه عز وجل: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزُّخرف: ٣٢]، فتركتُ واجتنبتُ الخَلق، وعلمتُ أنَّ القَسم(١) من عند اللَّه سبحانه، وتركتُ عداوة الخَلق عنِّي.

قال: أحسنتَ يا حاتم، فما السَّادسة؟ قال: نظرتُ إلى هذا الخَلق، يبغي بعضهم على بعض، ويقاتِل بعضُهم بعضًا، ونظرتُ في قول اللَّه تعالى سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]، فعاديتُه وحدَه، واجتهدتُ في أخْذ حذري منه؛ لأنَّ اللَّه تعالى شهد عليه أنَّه عدوٌّ لي، فتركتُ عداوة الخَلق.

قال: أحسنتَ يا حاتم، فما السَّابعة؟ قال: نظرتُ إلى هذا الخَلق، فرأيتُ كلَّ واحد منهم يطلب هذه الكِسرة، فيُذِلُّ(٢) نَفْسه ويدخل فيما لا يَحِلُّ، ثمَّ نظرتُ إلى قول اللَّه تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٣]، [٤٢/ و]

---

(١) في «إحياء علوم الدِّين»: «القسمة». (٢) في الأصل: «فبذل».

فعلمتُ أنِّي واحد من هذه الدَّوابِّ الَّتي على اللَّه رِزقها، واشتغلتُ بما للَّه تعالى عليَّ، وتركتُ ما لي عنده.

قال: أحسنتَ يا حاتم، فما الثَّامنة؟ قال: نظرتُ إلى هذا الخَلق، فرأيتُ كلَّ واحد منهم متوكِّلًا على مخلوق مثله، هذا على ضَيْعته[1]، وهذا على تجارته، وهذا على صِحَّة بَدَنه، وكلُّ مخلوق متوكِّل على مخلوق، فرجعتُ إلى قول اللَّه تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطَّلاق: ٣]، فتوكَّلتُ عليه فهو حسبي.

قال شَقيق: أحسنتَ يا حاتم، وفقَّك اللَّه؛ فإنِّي نظرتُ في عِلم التَّوراة والإنجيل والزَّبُور والفرقان العظيم، وهي تَدُور على هذه الثَّماني مسائل، فمن استعمَلَها[2] فقد استعمل الكتب الأربعة.

فهذا الفنُّ من العِلم الَّذي يهتمُّ بإدراكه بالتَّفطُّن له علماءُ الآخِرة»[3].

وقريب منه قول القائل: [الرَّمَل]

كلُّ حـالٍ أنـتَ فيـه تنتهـي ... هكذا المقدورُ عِش ما تشتهي
فرحةُ المسجونِ في دارِ البَلَا[4] ... عـادةُ الحمقى وشـغلُ الأبلَـهِ
اعتبِرْ كم من قرونٍ قد مضتْ ... هل ترى آثارَهُم قُل أين هِي؟ /
يا عديمَ الأمسِ مفقودًا[5] غدًا ... عاجـزًا في وقتـه كـي تَزتَهـي[6]

---

(١) في الأصل: «صنعة». (٢) في الأصل: «استعمل».

(٣) إلى هنا انتهى النَّقل من «الإحياء».

(٤) في الأصل: «البلايا»، والمثبَت من «سيف الملوك والحكَّام» للمصنِّف (ص١٢٣).

(٥) في الأصل: «منقودًا»!

(٦) أي: تزدهي؛ من الزَّهو. وراجع: «سرّ صناعة الإعراب» لابن جنِّي (١/ ١٩٧). =

وكذا هذا القول: [الوافر]

لــه مَلِــكٌ يُنــادي كلَّ يــومٍ: لِدُوا للموتِ وابنُوا للخرابِ[١]
ومـن يَرجُـو مـن الدُّنيـا وفـاءً كمَن يرجو شـرابًا من سـرابِ[٢]

وكذلك قول النَّاظم: [الوافر]

دَعِ الدُّنيــا ولا تَركَــنْ إليهــا ومع مَن[٣] فَرَّ منها سَلْ سبيلَا
عســاك بتَركِها تحظَـى بـدارٍ بهــا عيــنٌ تُسَـمَّى سَلسَـبيلَا

وأنشَد إبراهيم بن أدهم هذين البيتين: [الوافر]

هجرتُ الخَلقَ طُرًّا في هواكَا وأيتمـتُ العِيـالَ لِكَـي أراكَا
فلو قطَّعتَني في الحُبِّ إرْبًا لَمَـا حَنَّ الفـؤادُ إلـى سِـواكَا[٤]

وقال الآخَر: [مجزوء الرَّمَل]

كَبُـرَتْ هِمَّـةُ عَبـدٍ طَمِعـتْ في أن تَـراكَا

---

= وفي «سيف الملوك»: «ترتهي»، وبالرَّجوع إلى نسخ الكتاب الخطِّيَّة وجدناها على الصَّواب، وأنَّ المثبَت قراءة غير صحيحة من المحقِّق، وقال في الحاشية: «لعلَّ الصَّواب: كم تلتهي».

(١) هذا البيت مقتبَس من حديث أخرجه أبو الشَّيخ الأصبهانيُّ في «العظمة» (٥١٧) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه، وإسناده ضعيف.

وهو منسوب لعليِّ بن أبي طالب رضي اللَّه عنه؛ كما في «خزانة الأدب» (٩/ ٥٣٠)، وعجُز البيت هو صدر لأبي العتاهية؛ كما في «ديوانه» (ص٤٦).

(٢) البيتان أوردهما السَّمين الحلبيُّ (ت: ٧٥٦هـ) في «عمدة الحفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ» (٢/ ١٨٦)، دون نِسبة.

(٣) سقطت من الأصل، واستدركناها من «سيف الملوك والحكَّام» للمصنِّف (ص٩٠).

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٣٠٦)، وابن الجوزيُّ في «مثير العزم السَّاكن» (٢٨٠).

أَوَمَا يكفي لعَيني أن ترى مَن قد رآكا[١]

قيل لإبراهيم بن أدهم: لِم لا تكتب الحديث؟ فقال: «إنِّي مشغول بثلاث؛ بالشُّكر على النِّعم، والاستغفار [٤٣/ و] من الذُّنوب[٢]، والاستعداد للموت»، ثمَّ صاح فغُشي عليه، فسمعوا هاتفًا يقول: «لا تدخلوا بيني وبين أوليائي[٣]»[٤].

ولمَّا مات سهل بن عبد اللَّه التُّستَريُّ انكبَّ النَّاس على جنازته، وحضرها من الخَلق ما لا يعلمه إلَّا اللَّه تعالى، وكانت في البَلدة ضَجَّة، فسمعها يهوديٌّ شيخ كبير فخرج، فلمَّا رأى الجنازة صاح، وقال: هل ترون ما أرى[٥]؟ قالوا: ما ترى؟ قال: أرى قومًا ينزلون من السَّماء يتمسَّحون بالجنازة، ثمَّ أسلَم وحَسُن إسلامه[٦].

قيل: إنَّ البُلبل أحسن الطُّيور لَونًا، لكن يتكلَّم بمراد نَفْسه، فلا جَرَم رُزق الدُّود، والطُّوطِيُّ[٧] يتكلَّم بمراد نَفْسه وصاحبِه؛ رُزق السُّكَّر، فالفاسق مثل البُلبل

---

(١) البيتان بنحوهما في «الزّهرة» (١/ ١٥٩) لأبي بكر الظَّاهريِّ (ت: ٢٩٧هـ) منسوبان لإبراهيم ابن العبَّاس، وهو الصُّوليُّ الشَّاعر (ت: ٢٤٣هـ)، وهما في «ديوانه» (ص٢٠)
وقد وردا في «مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار» لابن خميس (ت: ٥٥٢هـ) (٢/ ٦٨٣)، وفي «التَّدوين في أخبار قزوين» (١/ ١٨٩)، ونُسبا لمجهول.

(٢) في الأصل: «بالذُّنوب».

(٣) في الأصل: «أولياء».

(٤) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٣٥٧)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٢٩٢) دون قوله: «لا تدخلوا بيني وبين أوليائي»، وهذا اللَّفظ رواه ابن عساكر (٦/ ٢٩١) وحده.

(٥) في الأصل: «ما لدي».

(٦) أورده أبو القاسم القُشيريُّ في «رسالته» (٢/ ٤٧٥)، وعزاه لأبي الحسين الحِمصيِّ مصنِّف كتاب «بهجة الأسرار». وراجع أيضًا: «العاقبة في ذِكر الموت» للأشبيليِّ (ص١٥٨).

(٧) هو: البَبَّغاء. راجع: «حياة الحيوان الكبرى» (٢/ ١٣٣).

يتكلَّم بمراد نَفْسه، فلا يكون له قيمة واعتبار، والمؤمن المتَّقي مثل الطُّوطِيِّ يتكلَّم بمراد ربِّه، فيذكر اسم ربِّه، فلا جَرَم يكون عزيزًا في الدُّنيا والآخرة(١).

أُحِبُّ الصَّالحينَ ولستُ منهم لعلَّ اللَّهَ يَرزُقُنا الصَّلاحَا(٢) /

فينبغي أن يكون العبد تاركًا لِهواه، وتابعًا لِمُراد مولاه ورِضاه، على ما هو عادة المتَّقِي التَّابع لإرادة مولاه، اللَّهمَّ احشُرنا يوم القيامة في مقام أمين مع الَّذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

* * *

ثمَّ إنَّ الكعبة ـ شرَّفها اللَّه تعالى وحرسها ـ بُنيت سبع مرَّات:

الأولى(٣): بناء الملائكة، وقيل: آدم أو بنوه.

الثَّانية: بناها إبراهيم ـ صلوات اللَّه تعالى عليه ـ بعد الطُّوفان.

الثَّالثة: بَنَتْها العمالقة بعد أن هُدمت.

الرَّابعة: بَنَتْها بنو جُرْهُم بعد الانهدام.

الخامسة: بَنَتْها قريش، وقد حضر النَّبيُّ ﷺ هذا البناء، وكان ينقُل معهم الحجارة، قيل: لمَّا أرادوا وضع الحجر الأسود تنازَعوا في وضعه، وطلب كلٌّ أن يضعه، فاتَّفقوا على أنَّ من دخل من الباب فهو يضعه، فكان أوَّل من دخل من ذلك النَّبيَّ ﷺ، فقالوا له: ضَعْه، وقال لهم: «ضَعُوهُ في عَباءةٍ، ولْيَحمِلِ من

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) البيت من الوافر، وهو في «الدُّرّ الفريد وبيت القصيد» للمستعصميّ (٢/ ١٧٢)، دون نِسبة.

(٣) في الأصل: «الأوَّل».

**كلِّ طائفةٍ منكم واحدٌ من**(١) **جَوانِبِهِ، وارفَعُوه إلَيَّ** [٤٤/ و] **لِأَضَعَهُ**»(٢)، ففعلوا ذلك، وأخذه فوضعه في مكانه.

السَّادسة: بناها عبد اللَّه بن الزُّبَير في خلافته، وأظهر قواعد الخليل، وبنى البيت على قواعده بمحضر من النَّاس، وأدخل الحَطِيم فيه، وألصَق العتبة بالأرض، وجعل لها بابين؛ شرقيٌّ وغربيٌّ.

وكان قد سمع قبل ذلك حديثًا دالًّا على ذلك، وهو: ما رُوي أنَّ عائشة كانت قد نذرت إن فتح اللَّه مكَّة على رسول اللَّه ﷺ أن تصلِّي في البيت ركعتين، فأخذ رسول اللَّه ﷺ بيدها وأدخلها الحَطِيم(٣)، وقال: «**صلِّي هاهُنا؛ فإنَّ الحَطِيمَ من البَيتِ، إلَّا أنَّ قَومَكِ قَصُرَتْ بِهِمُ النَّفَقةُ فأَخرَجُوهُ من البَيتِ، ولَولا حِدْثانُ عَهِدُ قَومِكِ بالجاهِلِيَّةِ لَنَقَضتُ بناءَ الكعبةِ، وأَظهَرتُ قواعِدَ الخليلِ، وأدخَلتُ الحَطِيمَ في البَيتِ، وأَلصَقتُ**(٤) **العَتَبَةَ بالأرضِ، وجعلتُ له بابين؛ بابًا شَرقِيًّا وبابًا غَربِيًّا، وإن عِشتُ إلى قابِلٍ لأَفعَلَنَّ ذلك**»(٥).

---

(١) في الأصل: «في».

(٢) أخرجه الطَّيالسيُّ (١١٥)، وابن أبي شيبة (٢٩٦٩٣)، وابن أبي عاصم في «الأوائل» (٩٥)؛ من حديث عليِّ بن أبي طالب رضي اللَّه عنه، بإسناد فيه ضعف.
وله عدَّة شواهد أوردها ابن كثير في «البداية والنِّهاية» (٣/ ٤٧٥) وما بعدها.

(٣) هو: ما بين المَقام إلى الباب. وقيل: هو ما بين الرُّكن والمَقام وزمزم والحِجر. وقيل غير ذلك. وراجع لذلك: «معجم البلدان» (٢/ ٢٧٣)

(٤) في الأصل: «وألصق».

(٥) أخرجه بنحوه البخاريُّ (١٥٨٦)، ومسلم (١٣٣٣)؛ من حديث عائشة رضي اللَّه عنها، وفيه ألفاظ لم نقف عليها مسنَدة.

السَّابعة(١): أنَّ الحَجَّاج الثَّقفيَّ أعادها على ما كانت عليه في الجاهليَّة، وأخرَج الحَطِيم من البيت لمَّا كره أن يكون بناء الكعبة على ما فعله [٤٤/ ظ] ابن الزُّبَير، فنقض بناء الكعبة.

قيل: قَصُرَت النَّفقة بقريش من الحلال؛ وذلك أنَّهم كانوا قد جمعوا مالًا كثيرًا لذلك، فخرج عليهم ثعبان، ومنعهم عن البناء، فتشاوَرُوا فيه، فقالوا: إنَّ لهذا البيت حُرمة، وإنَّ اللَّه طيِّب لا يقبل إلَّا طيِّبًا(٢)، فجمَعُوا الطَّيِّب الحلال من أموالهم، فلم يبلغ كلَّ البناء، فقصَّروا عن قواعد إبراهيم لهذا، وأخرَجوا بعض البيت وجعلوه في الحِجْر.

وقد رُوي أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لعائشة: «إن شِئتِ أَرَيتُكِ القَدْرَ الَّذي أَخرَجُوهُ من البَيتِ، حتَّى أنَّ قَومَكِ لو أرَادُوا أن يَبنُوهُ لَبَنَوهُ عليه»، فأراني نحوًا(٣) من سبعة أذرُع(٤).

وعن ابن عبَّاس، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «يَنزِلُ على البَيتِ كلَّ يَومٍ مئةٌ وعِشرُونَ رَحمةً؛ سِتُّونَ للطَّائِفِينَ(٥)، وأربَعُونَ للمُصَلِّينَ، وعِشرُونَ للنَّاظِرِينَ»(٦).

---

(١) مقابله في الأصل حاشية نصُّها: «وهو البناء هو [كذا] الموجود الآن».

(٢) في الأصل: «طيِّب». (٣) في الأصل: «نحو».

(٤) أخرج معناه مسلم (١٣٣٣)، وهو إحدى روايات الحديث السَّابق.

(٥) في الأصل: «للطَّائف».

(٦) رُوي هذا الحديث من عدَّة طُرُق، لعلَّ أمثلها: ما رواه الأزرقيُّ في «أخبار مكَّة» (٢/ ٨)، والحارث بن أبي أسامة في «مسنَده» [كما في «بغية الباحث» (٣٩٢)]؛ من طريق سعيد بن سالم القدَّاح، عن ابن جُريج، عن عطاء، عن عبد اللَّه بن عبَّاس رضي اللَّه عنهما.

وله شواهد، منها: حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما، أخرجه ابن الأعرابيِّ (١٨٨٨) بنحوه. =

وعنه ﷺ: «**النَّظَرُ إلى الكَعبةِ عِبادةٌ**[١]**، ومَن نَظَرَ إلى البيتِ**[٢] **إيمانًا واحتِسابًا، غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنبِهِ وما تَأَخَّرَ**[٣]». [٤٥/ و]

وفي رواية: «**مَن نَظَرَ إلى البَيتِ مِن غيرِ طَوافٍ ولا صَلاةٍ تَطَوُّعًا، فذلك أفضلُ عند اللَّهِ من عِبادةِ سَنةٍ؛ صِيامِ نَهارِها وقِيامِ لَيلِها**»[٣].

وقال ﷺ: «**صَلاةٌ في مَسجِدِي**[٤] **هذا أفضَلُ مِن ألفِ صَلاةٍ فيما سِواهُ من المَساجِدِ، إلَّا المَسجِدَ الحَرامَ**»[٥]؛ فإنَّ صلاة في المسجد الحرام بمئة ألف صلاة إذا صلَّاها وحدَه، وإذا صلَّاها في جماعة بألف ألف صلاة وخمس مئة ألف صلاة؛ فذلك خمسة وعشرون مرَّة مئة ألف صلاة.

وذُكر في «خالصة الحقائق»[٦]: «أنَّ مقام إبراهيم والحِجْر والرُّكن اليمانيَّ

---

= والحديث مختلَف فيه؛ فقد حسَّنه المنذريُّ والعراقيُّ، وقال ابن الجوزيِّ: «لا يصحُّ». وراجع: «العلل المتناهية» (٢/ ٨٢)، و«التَّرغيب والتَّرهيب» (٢/ ١٢٣)، و«الأجوبة المرضيَّة» (٥)، و«المقاصد الحسنة» (١٣٥١) كلاهما للسَّخاويِّ.

(١) أخرجه ابن الجوزيِّ في «العلل المتناهية» (١٣٨٦) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه، وفيه همَّام ابن مسلم، وهو متروك ومنهم من اتَّهمه. راجع: «لسان الميزان» (٨/ ٣٤٣).
وله شاهد أخرجه الفاكهيُّ في «أخبار مكَّة» (٣٢٨) من طريق مكحول الشَّاميِّ، عن النَّبيِّ ﷺ، وهو مرسَل على أقلِّ الأحوال؛ فإنَّ عامَّة رواية مكحول عن التَّابعين، لا عن الصَّحابة رضي اللَّه عنهم؛ فقد ذكر أبو حاتم أنَّه لا يصحُّ له سماع من أحد من الصَّحابة رضي اللَّه عنهم إلَّا من أنس بن مالك رضي اللَّه عنه. «مراسيل ابن أبي حاتم» (٧٨٩).

(٢) كُتب فوقها في الأصل بخطٍّ دقيق: «نظرة». (٣) لم نقف عليه.

(٤) في الأصل: «مسجد».

(٥) أخرجه البخاريُّ (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤)؛ من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه.

(٦) (ل٥١/ ظ) من النُّسخة الخطِّيَّة المحفوظة بدار الكتب القطريَّة برقم: (٥٩٢)، واسمه الكامل: =

يَقُلنَ للنَّبيِّ ﷺ يوم القيامة: اشفَع أنت لمن لم يَزُرنا؛ فإنَّا نشفع لمن زارَنا».

وعن ابن عبَّاس، عن النَّبيِّ ﷺ: «إنَّ اللَّهَ تعالى يَلحَظُ [إلى] الكَعبةِ في كلِّ عامٍ لَحظةً في لَيلةِ النِّصفِ مِن شَعبانَ، فعند ذلك تَحِنُّ إليه قُلُوبُ المُؤمِنِينَ»[١].

وعنه ﷺ: «مَن ماتَ في طَرِيقِ مَكَّةَ مُقبِلًا أو مُدبِرًا، [٤٥/ ظ] غُفِرَ له البَتَّةَ، وشُفِّعَ في سَبعِينَ مِن أهلِ بَيتِهِ»[٢].

وعن أبي الدَّرداء رضي اللَّه عنه، قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «لا يُعَذِّبُ اللَّهُ قَدَمَينِ مَشَتَا إلى بَيتِ اللَّهِ الحَرامِ»[٣].

ورُوِي: أنَّه في زمن الطُّوفان لم تأكل الحِيتان الكبارُ صغارَها في أرض الحَرَم[٣].

وإنَّ مكَّة - شرَّفها اللَّه تعالى - أفضل من المدينة عندنا وعند كثير [من] أهل العِلم، وعند مالك المدينة أفضل، وأجمَعُوا على أنَّ موضع قبره ﷺ أفضل بقاع الأرض، لنا قولُه ﷺ لمكَّة: «واللَّهِ، إنَّكِ لَخَيرُ أرضِ اللَّهِ، وأَحَبُّ أرضِ اللَّهِ إلى اللَّهِ، ولَولا أنِّي أُخرِجتُ مِنكِ ما خَرَجتُ»[٤].

---

= «خالصة الحقائق لِما فيه من أساليب الدَّقائق»، وهو لأبي المحامد محمود بن أحمد الفاريابيِّ الحنفيِّ (ت: ٦٠٧هـ). وراجع: «الجواهر المضيَّة في طبقات الحنفيَّة» (٢/ ١٥٣)، و«كشف الظُّنون» (١/ ٦٩٩). والأثر المذكور لم نقف عليه.

(١) أخرجه الدَّيلميُّ في «مسند الفردوس» [كما في «الغرائب المتقطة» (٧٥٣)] من حديث عائشة وعبد اللَّه بن عبَّاس رضي اللَّه عنهم، وإسناده ضعيف جدًّا(٢) لم نقف عليه.

(٣) رواه الأزرقيُّ في «أخبار مكَّة» (٢/ ١٣٢) من طريق ابن أبي نَجِيح، عن أبيه، بإسناد ضعيف.

(٤) أخرجه التِّرمذيُّ (٣٩٢٥)، وابن ماجه (٣١٠٨)؛ من حديث عبد اللَّه بن عديِّ بن حمراء رضي اللَّه عنه، وقال التِّرمذيُّ: «حديث حسن صحيح غريب».

وقولُه عليه السلام: «صَلاةٌ في مَسجِدِ المَدِينةِ بعَشرةِ آلافِ صلاةٍ، وصَلاةٌ [٤٦/و] في مَسجِدِ الأقصَى بألفِ صَلاةٍ، وصَلاةٌ في المَسجِدِ الحَرامِ بمئةِ ألفِ صَلاةٍ»(١)؛ فلولا أنَّ مكَّة أفضل لَما جعل الصَّلاة بالمدينة بعشرة آلاف وبمكَّة بمئة ألف.

وأمَّا المجاوَرة بمكَّة فمكروهة عند أبي حنيفة.

وكان عمر يقول: «يا أهلَ اليَمَن يَمَنَكُم، ويا أهلَ الشَّام شامَكُم، ويا أهلَ العِراق عِراقَكُم»(٢).

وقال: «خطيئة أُصِيبُها بمكَّة أعَزُّ عليَّ من سبعين خطيئة في غيرها»(٣).

وقال ابن عبَّاس حين اختار المُقام بالطَّائف وما يليه: «لأن أُذنِب خمسين ذَنبًا في غير مكَّة أحَبُّ إليَّ من أن أُذنِب ذَنبًا واحدًا بمكَّة»(٤).

لكن من قَدَر على الوفاء بحقِّها كما يجب من التَّعظيم والتَّوقير، بلا إخلال بالحُرمة؛ فمقامه بها هو الفوز العظيم والفضل الكبير العميم، رزَقَنا ذلك بمنِّه وكرمه.

❊ ❊ ❊

---

(١) قال العراقيُّ في «المغني عن حمل الأسفار» (١/ ١٩٨): «غريب، لم أجده بجملته هكذا». قلنا: وظاهره مخالف لما ثبت في «الصَّحيحين» وغيرهما من أنَّ الصَّلاة في المسجد النَّبويِّ الشَّريف أفضل من ألف صلاة ممَّا سواه، إلَّا المسجد الحرام، وقد تقدَّم الحديث قريبًا.

(٢) أخرجه الفاكهيُّ في «أخبار مكَّة» (١٥٥٦) من طريق عمر بن أبي معروف، عن ابن أبي مُلَيكة، عن عمر رضي الله عنه، وعمر بن أبي معروف منكر الحديث. راجع: «لسان الميزان» (٤/ ٣٥٧).

(٣) رواه الأزرقيُّ في «أخبار مكَّة» (٢/ ١٣٤) بإسناد ضعيف.

(٤) أورده أبو طالب المكِّيُّ في «قوت القلوب» (٢/ ١٩٨)، والغزاليُّ في «الإحياء» (١/ ٢٤٣).

والمُقام بالمدينة والجِوار بها كالجِوار بمكَّة.

رُوي أنَّ النَّبيَّ(١) [٤٦/ ظ] ﷺ قال: «لا يَصبِرُ على لَأواءِ(٢) المَدِينةِ وشِدَّتِها أَحَدٌ مِن أُمَّتِي إلَّا كُنتُ له شَفِيعًا يومَ القِيامةِ»(٣).

وقال رسول اللَّه ﷺ: «على أَنقابِ المَدِينةِ مَلائِكةٌ، لا يَدخُلُها الطَّاعُونُ ولا الدَّجَّالُ»(٤).

وقال عليه الصلاة والسلام: «أَوَّلُ مَن أَشفَعُ له مِن أُمَّتِي يومَ القِيامةِ أهلُ المَدِينةِ، [وأهلُ مَكَّةَ]، وأهلُ الطَّائِفِ»(٥).

وعن عائشة، أنَّها قالت: «كلُّ البلاد افتُتحت بالسَّيف، وافتُتحت(٦) المدينة بالقرآن»(٧).

وعن النَّبيِّ ﷺ: «مَنِ استَطاعَ أن يَمُوتَ بالمَدِينةِ فَلْيَمُتْ بها؛ فإنِّي شَفِيعٌ لِمَن يَمُوتُ بها»(٨).

---

(١) بعدها في الأصل: «أنَّ رسول اللَّه».

(٢) اللَّأواء: الشِّدَّة وضِيق المعيشة.

(٣) أخرجه بهذا اللَّفظ مسلم (١٣٧٨) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه.

(٤) أخرجه البخاريُّ (١٨٨٠)، ومسلم (١٣٧٩)؛ من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه.

(٥) أخرجه البخاريُّ في «التَّاريخ الكبير» (٥/ ٤٠٤) ـ مختصرًا ـ والفاكهيُّ في «أخبار مكَّة» (١٨١٧)، وغيرهما؛ من حديث عبد الملك بن عبَّاد بن جعفر رضي اللَّه عنه، بسند فيه ضعف.

(٦) في الأصل: «وانفتحت».

(٧) أخرجه البلاذريُّ في «فتوح البلدان» (ص١٧)، وابن أبي خيثمة في «التَّاريخ الكبير» (١/ ٣٦٤)، ومن طريقه ابن المقرئ في «معجمه» (٢٧).

(٨) أخرجه التِّرمذيُّ (٣٩١٧)، وابن ماجه (٣١١٢)؛ من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما، وقال التِّرمذي: «حديث حسن صحيح غريب».

[و] قال رسول اللَّه ﷺ: «ما بَينَ بَيتِي ومِنبَرِي رَوضةٌ مِن رِياضِ الجَنَّةِ، ومِنبَرِي على حَوضِي»(١). [٤٧/ و]

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلَّا إلى ثَلاثةِ مَساجِدَ: مَسجِدِ الحَرامِ، ومَسجِدِ الأقصى، ومَسجِدِي هذا»(٢).

* * *

وعن أبي أُمامة الباهِليِّ: أنَّ حَبرًا من اليهود سأل النَّبيَّ ﷺ: أيُّ البقاع خير؟ فسكَتَ عنه، وقال: «اسْكُت حتَّى يَجِيءَ جِبرِيلُ»، فسكَتَ، وجاء جبريل فسأَلَه، فقال: «ما المَسئُولُ عنها بأَعلَمَ مِن السَّائلِ، ولكنْ أسأَلُ ربِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى»، ثمَّ قال جبريل: «يا مُحمَّدُ، إنِّي دَنَوتُ من اللَّهِ دُنُوًّا ما دَنَوتُ مِثلَهُ قَطُّ»، قال: «كيف كان يا جِبرِيلُ؟» قال: «كان بَينِي وبَينَهُ سَبعُونَ ألفَ حِجابٍ، فقال: شَرُّ البِقاعِ أسواقُها، وخَيرُ البِقاعِ مَساجِدُها»(٣).

ورُوي أنَّ النَّبيَّ ﷺ نظر قِبَل اليمن فقال: «اللَّهمَّ أَقبِل بقُلُوبِهِم، وبارِك لنا في [٤٧/ ظ] صاعِنا ومُدِّنا»(٤).

وقال رسول اللَّه ﷺ: «طُوبَى للشَّامِ»، قلنا: لأيِّ ذلك يا رسول اللَّه؟ قال:

---

(١) أخرجه البخاريُّ (١١٩٦)، ومسلم (١٣٩١)؛ من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه.

(٢) أخرجه البخاريُّ (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧)؛ من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه.

(٣) عزاه السُّيوطيُّ في «جمع الجوامع» (٢٢/ ٢٨٧) لابن زَنجُويه، من حديث أبي أمامة رضي اللَّه عنه.

وأخرجه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» [كما في «بغية الباحث» (١٢٤)]، وابن حبَّان (١٥٩٩)؛ من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما.

(٤) أخرجه التِّرمذيُّ (٣٩٣٤) من حديث زيد بن ثابت رضي اللَّه عنه، وقال: «حديث حسن غريب».

«لأنَّ مَلائِكةَ الرَّحمَنِ باسِطةٌ أَجنِحَتَها عليها»(١).

وقال رسول اللَّه ﷺ: «عليكم بالشَّامِ؛ فإنَّها خِيرةُ اللَّهِ مِن أَرضِهِ، يَجتَبِي إليها خِيرَتَهُ مِن عِبادِهِ»(٢).

هذا، ثمَّ إنَّه قد ذُكر في كتاب «المصباح المُضِيِّ في كتَّاب النَّبيِّ الأُمِّيِّ»(٣) في فضل مصر وأهلها وما خصَّها اللَّه به: «عن أبي ذرٍّ، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إنَّكُم سَتَفتَحُونَ مِصرَ، وهي أَرضٌ يُسَمَّى فيها القِيراطُ، فإذا فَتَحتُمُوها فأَحسِنُوا إلى أهلِها؛ فإنَّ لهم ذِمَّةً ورَحِمًا»، أو قال: «ذِمَّةً وصِهرًا، فإذا رَأَيتَ رَجُلَينِ يَختَصِمانِ فيها في مَوضِعِ لَبِنةٍ فاخرُج منها»، قال: رأيتُ عبد الرَّحمن بن شُرَحبيل بن حَسَنة وأخاه ربيعة يختصمان في موضِع لَبِنة، فخرجتُ منها(٤).

وقال المحدِّثون: في هذا الحديث ثلاثة أعلام من أعلام نُبوَّته ﷺ [٤٨/ و] قد وُجدت جميعها؛ أحدها: فَتْح مِصر، والثَّاني: إعطاء أهلها العهد، ودخولها في الذِّمَّة؛ فإنَّها فُتحت صُلحًا في أيَّام عمر رضي اللَّه عنه، والثَّالث: قوله ﷺ: «فَإِذا رَأَيتَ رَجُلَينِ يَختَصِمانِ [فيها] في مَوضِعِ لَبِنةٍ فاخرُج منها»، فكان كما قال(٥).

وأمَّا الرَّحِم؛ فكانت هاجَرُ أمُّ إسماعيل منهم، فالعرب كلُّهم مِن وَلَد إسماعيل وقَحطان.

---

(١) أخرجه التِّرمذيُّ (٣٩٥٤) من حديث زيد بن ثابت رضي اللَّه عنه، وقال: «حديث حسن غريب».

(٢) أخرجه أبو داود (٢٤٨٣) من حديث عبد اللَّه بن حَوَالة الأزديِّ رضي اللَّه عنه.

(٣) لابن حديدة (ت: ٧٨٣هـ) (٢/ ١٤١-١٤٨) بتصرُّف.

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٤٣) من حديث أبي ذرٍّ الغِفاريِّ رضي اللَّه عنه.

(٥) راجع: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٧/ ٥٨٥).

وصاهَر إلى القِبط من الأنبياء ثلاثةٌ: إبراهيم عليه السلام تسرَّر هاجَر، ويوسف تزوَّج بنت صاحب عَين شمس، الَّتي تسمَّى في وقتنا هذا المطريَّة، ورسول اللَّه ﷺ تسرَّر مارِيَة.

فقال[1] عليه الصلاة والسلام: «استَوصُوا بالأُدمِ الجُعدِ»، فسألوه فقالوا: مَن الأُدمُ الجُعدُ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «قِبطُ مِصرَ؛ فإنَّهم أَخوالٌ وأَصهارٌ، وهم أَعوانُكم على عَدُوِّكُم، وأَعوانُكُم على دِينِكُم»، قالوا: كيف يكونون أعوانَنا على دِيننا يا رسول اللَّه؟ قال: «يَكفُونَكُم أعمالَ الدُّنيا، وتَتَفَرَّغُونَ[2] للعِبادةِ»[3]. [٤٨/ ظ]

ورُوي عن ابن عبَّاس رضي اللَّه عنهما، أنَّه قال: «دعا نوح ربَّه لولد ولده مِصر بن بيصر ابن حام، وبه سمِّيت مِصر، وهو أبو القِبط، فقال: اللَّهمَّ بارِك فيه وفي ذُرِّيَّته، وأسكِنه الأرض المبارَكة الَّتي هي أمُّ البلاد وغَوث العِباد، الَّتي نَهرُها أفضل أنهار الدُّنيا، واجعل فيها أفضل البرَكات، وسخِّر له ولولده الأرض، وذلِّلها لهم»[4].

وكان منهم السَّحرة؛ آمَنوا جميعًا في ساعة واحدة، ولا يُعلَم جماعة أسلَموا أكثر من جماعة القِبط، فكان جميع السَّحرة مئتي ألف وأربعين ألفًا ومئتين واثنين وخمسين إنسانًا، وقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف].

وقال البعض: مِصر خِزانة الأرض كلِّها، قال اللَّه تعالى حكاية عن يوسف:

---

(١) كذا.

(٢) في الأصل: «ويتفرَّغون».

(٣) أخرجه ابن عبد الحكَم في «فتوح مصر والمغرب» (ص٢٢) من طريق موسى بن أيُّوب الغافقيِّ، عن رجل من الزّبد، هكذا مرسَلًا.

وفيه عبد الملك بن مَسلمَة، وهو منكر الحديث. راجع: «لسان الميزان» (٥/ ٢٧١).

(٤) أخرجه ابن عبد الحكَم في «فتوح مصر والمغرب» (ص٢٧)، وفيه ابن لَهيعة، وهو ضعيف.

﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٥]. ولم تكن تلك الخزائن بغير مِصر، [٤٩/ و] فذكر[ها] اللَّه تعالى بخزائن الأرض، فأغاث اللَّه بمِصر وخزائنها كلَّ حاضر وبادٍ في جميع الأرضين، وجعلها وسط الدُّنيا، وهي في الإقليم الثَّالث والرَّابع، فسَلِمَت من حَرِّ الإقليم الأوَّل والثَّاني، ومن بَرْد الإقليم السَّادس والخامس، فطابَ هواها، وضَعُف حَرُّها، وخَفَّ بَرْدها، فأَمِن أهلها من غارات التُّرك وجيوش الرُّوم وقَحْط الأمطار، قال اللَّه تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ﴾ [يونس: ٨٧](١)(٢).

قال النَّبيُّ ﷺ: «قِبطُ مِصرَ أكرَمُ الأعاجِمِ كلِّها، وأقربُهُم رَحِمًا بالعَرَبِ عامَّةً، وبِقُرَيشٍ خاصَّةً»(٣).

وقال اللَّه تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩].

وذُكر في بعض التَّاريخ(٤): أنَّ مصر مصوَّرة في كتب الأوائل وسائرُ المدن مادَّةٌ أيديها إليها تستطعمها.

وقال عمرو بن العاص: «ولاية مصر جامعة تَعدِل الخِلافة»(٥).

---

(١) راجع: «فضائل مصر» لأبي عمر الكِنديِّ (ص٢٧).

(٢) مقابله في الأصل حاشية نصها: «وقال اللَّه تعالى: ﴿وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾»، وعليها علامة التَّصحيح، وستأتي هذه العبارة بنصِّها في المتن بعد أقلَّ من سطرين.

(٣) لم نقف عليه مرفوعًا، وقد أخرجه ابن عبد الحكَم في «فتوح مصر والمغرب» (ص٢٣) عن عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما، موقوفًا عليه. وفيه ابن لَهيعة، وهو ضعيف.

(٤) أورده أبو عمر الكِنديُّ في «فضائل مصر» (ص٢٨) عن سعيد بن أبي هلال المصريِّ.

(٥) أورده ابن عبد الحكَم في «فتوح مصر والمغرب» (ص٢٢٠)، فقال: «قال ابن لَهيعة: وكان عمرو بن العاص يقول...».

وذكر أهل العِلم أنَّه مكتوب في التَّوراة: «بلد مصر خزانة اللَّه؛ [٤٩/ ظ] فمن أرادها بسُوء قَصَمَه اللَّه»(١).

وعن كعب الأحبار، أنَّه قال: «أنَّه من أراد [أن ينظر] إلى شبه الجنَّة، فلينظر إلى أرض مصر إذا أزهَرَت»(٢)»(٣).

* * *

هذا، ثمَّ إنَّ مكَّة المشرَّفة فُتحت سنة ثمان ونصف من الهجرة -على ما اختاره البخاريُّ(٤)-، وقيل: إنَّها فُتحت سنة ثمان من الهجرة، ويقوِّي هذا قول من قال: «إنَّ أوَّل من أقام الحَجَّ للمسلمين عتَّاب بن أَسِيد، سنة ثمان من الهجرة»(٥).

ثمَّ حجَّ أبو بكر سنة تسع من الهجرة(٦)، ثمَّ حجَّ رسول اللَّه ﷺ بعد ذلك حجَّة الوداع، وسمِّيت حجَّة الوداع إذ طَفِق النَّبيُّ ﷺ يودِّع النَّاس، ويقول لهم: «**خُذُوا عَنِّي مَناسِكَكُم؛ فلَعَلِّي لا ألقاكُم بعد عامِي هذا**»(٧).

---

(١) أورده أبو عمر الكِنديُّ في «فضائل مصر» (ص٢٩).

(٢) رواه ابن عبد الحكَم في «فتوح مصر والمغرب» (ص٢٤).

(٣) إلى هنا انتهى النَّقل من كتاب «المصباح المُضِيِّ».

(٤) لعلَّ ذلك مستنبَط من تبويب البخاريِّ في «جامعه» (٥/ ١٤٥): «باب غزوة الفتح في رمضان»، وتخريجه تحته حديث عبد اللَّه بن عبَّاس رضي اللَّه عنهما (ح ٤٢٧٦): «أنَّ النَّبيَّ ﷺ خرج في رمضان من المدينة ومعه عشرةُ آلاف، وذلك على رأس ثمان سنين ونصف من مَقدَمه المدينة، فسار هو ومن معه من المسلمين إلى مكَّة...».

(٥) راجع: «المحبَّر» لابن حبيب (ص١١، ١٢)، و«السُّنن الكبرى» للبيهقيِّ (٤/ ٣٤١).

(٦) قوله: «ثمَّ حجَّ أبو بكر سنة تسع من الهجرة» ملحَق من حاشية الأصل.

(٧) أخرجه مسلم (١٢٩٧) من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما، بمعناه.

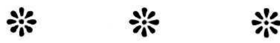
قيل: إنَّ الحجَّ فُرض سنة تسع من الهجرة، وفيها نزل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وفيها نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨]. [٥٠/و]

ثمَّ إنَّ الصَّلاة فُرضت بمكَّة بعدما أوحى اللَّه إلى الرَّسول ﷺ بخمس سنين[١]، وذكر في «القبس»[٢]: أنَّ الإسراء كان قبل الهجرة بسنة.

قيل: «إن اللَّه تعالى بعث نبيَّه على رأس أربعين سنة، فأقام بمكَّة عشرًا، ثمَّ هاجَر إلى المدينة»[٣].

ثمَّ إنَّ صوم رمضان فُرض في السَّنة الثَّانية من الهجرة.

وقد غزا أيضًا رسول اللَّه ﷺ في السَّنة الثَّانية من الهجرة غزوة بَدْر[٤]، ثمَّ أُحُد، ثمَّ ذات الرِّقاع، ثمَّ الخندَق، وفي السَّنة الثَّانية من الهجرة فُرضت زكاة الفِطر، وفُرضت الزَّكاة في الثَّانية من الهجرة أيضًا، وقيل: فُرضت الزَّكاة قبل الهجرة.



---

(١) مقابله في الأصل حاشية نصُّها: «والجمهور على أنَّها فُرضت بسنة سِتٍّ، وقيل: بسنة سبع، وقيل: بغير ذلك».

(٢) لم نقف عليه في «القبس» للقاضي ابن العربيِّ، وهو في «المسالك» له (١/ ٣٦٣).

(٣) أخرجه البخاريُّ (٣٥٤٨)، ومسلم (٢٣٤٧)؛ موقوفًا على أنس بن مالك رضي اللَّه عنه، بنحوه.

(٤) مقابله في الأصل حاشية نصُّها: «والمشهور أنَّ أوَّل غزوة سَرِيَّة في [...] عبد اللَّه بن جحش، وهي غزوة النَّبيِّ ﷺ».

# خاتمة الكتاب

## فيما يتعلَّق بالسَّلاطين والملوك

أقول: إنَّ الولاية نعمة من نعم اللَّه عز وجل؛ فمن عرف قَدْرها وقام بحقِّها نال من السَّعادة ما لا نهاية له، ولا سعادة بعدها، ومن قصَّر عن القيام بحقِّها حصل[1] في شقاوة لا شقاوة بعدها إلَّا الكفر باللَّه[2]. [٥٠/ ظ]

والدَّليل على عِظَم قَدْرها وجلالة خَطَرها: قولُه تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النِّساء: ٥٩].

وما رُوي عن رسول اللَّه ﷺ أنَّه قال: «عَدلُ السُّلطانِ يومًا واحِدًا خَيرٌ[3] مِن عِبادةِ سَبعِينَ سَنَةً»[4][5].

(١) أي: بقي. والحاصل من كلِّ شيء: ما بقي وثبَت وذهب ما سواه. راجع: «تهذيب اللُّغة» للأزهريِّ (٤/ ١٤١).

(٢) هذه عبارة الغزاليِّ في «التِّبر المسبوك في نصيحة الملوك» (ص١٤). وقد نقل منه المصنِّف رحمه اللَّه واستفاد في مواضع من هذه الخاتمة. (٣) في الأصل: «خيرًا».

(٤) أخرجه الطَّبرانيُّ في «المعجم الكبير» (١١٩٣٢)، وفي «المعجم الأوسط» (٤٧٦٥)، والبيهقيُّ في «السُّنن الكبرى» (٨/ ١٦٢)؛ من حديث عبد اللَّه بن عبَّاس رضي اللَّه عنهما، بلفظ: «يومٌ من إمامٍ عادلٍ أفضلُ من عبادةِ سِتِّينَ سَنَةً».

وقال العراقيُّ في «المغني عن حمل الأسفار» (١/ ١٢٢): «سنده حسن».

(٥) مقابله في الأصل حاشية نصُّها: «وقال النَّبيُّ ﷺ: «عَدلُ ساعةٍ خَيرٌ مِن عِبادةِ سَنَةٍ»».

والحديث المذكور أخرجه أبو نُعيم في كتاب «فضيلة العادلين من الولاة» (١٥) من حديث =

وقال رسول اللَّه ﷺ: «أَحَبُّ النَّاسِ إلى اللَّهِ وأَقرَبُهُم إليهِ السُّلطانُ العادِلُ، وأبعَدُهُم وأبغَضُهُم إليهِ السُّلطانُ الجائِرُ»[1].

وقال: «والَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، إنَّهُ ليُرفَعُ للسُّلطانِ العادِلِ إلى السَّماءِ مِن العَمَلِ مِثلُ [عَمَلِ] جُملةِ الخَلائِقِ[2]، وكلُّ صَلاةٍ يُصَلِّيها السُّلطانُ العادلُ بسَبعِينَ[3] ألفِ صَلاةٍ»[4].

فإذا كان كذلك، فلا نعمة أجلَّ وأكبر من أن يُعطى الإنسان درجة السَّلطنة، ويجعل ساعة من عمره كجميع عمر غيره، ومن لم يعرف قَدْر هذه النِّعمة، واشتغل بظُلمه وهواه، يُخاف عليه أن يجعله اللَّه تعالى من جملة أعدائه.

وقال النَّبيُّ ﷺ: [٥١/ و] «إنَّ المُقسِطِينَ عند اللَّهِ على مَنابِرَ مِن نُورٍ[5]، الَّذين يَعدِلُونَ في حُكمِهِم وأَهلِيهِم وما وُلُّوا»[6].

ويُحكى في «ربيع الأبرار»[7] عن عمر رضي اللَّه عنه، قال للنَّبيِّ ﷺ: أخبرني عن هذا السُّلطان الَّذي ذَلَّت له الرِّقاب، وخضعت له الأجساد؛ ما هو؟ قال:

---

= أبي هريرة رضي اللَّه عنه، وفيه أحمد بن عيسى بن زيد الخشَّاب، وهو متَّهم بالكذب. راجع: «لسان الميزان» (١/ ٥٦٨، ٥٦٩).

(١) أورده الغزاليُّ في «التِّبر المسبوك» (ص١٥)، ولم نقف عليه مسندًا.

(٢) مقابله في الأصل حاشية نصُّها: «إلى مثل جملة عمل الخلائق».

(٣) في الأصل: «سبعين».

(٤) أورده الغزاليُّ في «التِّبر المسبوك» (ص١٥)، ولم نقف عليه مسندًا.

(٥) بعدها في مصادر التَّخريج: «عن يَمِينِ الرَّحمَنِ عز وجل، وكِلْتا يَدَيهِ يَمِينٌ».

(٦) أخرجه مسلم (١٨٢٧) من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما.

(٧) «ربيع الأبرار ونصوص الأخيار» للزَّمخشريِّ (٥/ ١١٦).

«ظِلُّ اللَّهِ في الأرضِ، فإذا أحسَنَ فله الأجرُ وعليكم الشُّكرُ، وإذا أساءَ فعليه الإصرُ وعليكم الصَّبرُ»(١).

وقال ابن عبَّاس: قال النَّبيُّ ﷺ: «وَقِّرُوا السُّلطانَ وبَجِّلُوا(٢)؛ فإنَّهم عِزُّ اللَّهِ وظِلُّهُ في الأرضِ، إذا كانوا عُدُولًا»(٣).

وقال ابن عبَّاس: «السُّلطان عِزُّ اللَّه في أرضه، فمن استخَفَّ به فنابَتْه نائبةٌ، فلا يلومنَّ إلَّا نَفْسه»(٤).

وقال مالك بن دينار: وجدتُ في بعض الكتب: يقول اللَّه تعالى: «أنا مالِكُ قلوبِ المُلُوكِ بِيدَيَّ، فمَن أطاعَني جَعَلتُهُم عليهم رَحمةً، [٥١/ ظ] ومَن عَصانِي جَعَلتُهُم عليهم نِقمةً، لا تَشغَلُوا ألسِنَتَكُم بسَبِّ المُلُوكِ، ولكن تُوبُوا إلى اللَّهِ أُعطِّفْهُم عليكم»(٥).

---

(١) لم نقف عليه من حديث عمر رضي اللَّه عنه، وقد أخرجه البزَّار (٥٣٨٣)، وابن عديٍّ في «الكامل» (٨٣١٦)، ومن طريقه البيهقيُّ في «شعب الإيمان» (٦٩٨٤)؛ من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما.
وإسناده ضعيف جدًّا؛ فيه سعيد بن سِنان الحِمصيُّ، وهو متروك، ومنهم من اتَّهمه بالكذب.
راجع: «ميزان الاعتدال» (٢/ ١٣٦).

(٢) في «ربيع الأبرار»: «وبَجِّلُوهُم»، وفي «تاريخ دمشق»: «وأَجِلُّوهُم».

(٣) أورده الزَّمخشريُّ في «ربيع الأبرار» (٥/ ١٦١)، فقال: «قال الحسن للحجَّاج: سمعت ابن عبَّاس يقول...»، به.
ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٢/ ١٧٥) عن الحسن البصريِّ، مرسَلًا. وفيه غير واحد من الضُّعفاء والمجاهيل.

(٤) لم نقف عليه مسنَدًا، وقد أورده الرَّاغب الأصفهانيُّ في «محاضرات الأدباء» (١/ ٢٣٤).

(٥) رواه ابن أبي الدُّنيا في «التَّوبة» (١٠١)، وفي «العقوبات» (٣٠)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٧٧).

رُوي أنَّ موسى عليه السلام قال: «يا ربِّ، أنتَ في السَّماءِ ونحن في الأرضِ؛ فما عَلامةُ رِضاكَ مِن سَخَطِكَ؟» قال: «إذا استَعمَلتُ عليكم خِيارَكُم [فهو عَلامةُ رِضايَ، وإذا استَعمَلتُ عليكم شِرارَكُم فهو عَلامةُ سَخَطِي عليكم](١)»(٢).

وكان عبد اللَّه بن المبارَك يُنشد: [البسيط]

اللَّـهُ يدفـعُ بالسُّـلطانِ معضِلـةً عـن دِينِنا رحمـةً منه ورِضوانَا
لـولا الأئمَّةُ لـم يَأمَنْ لنا سُبُلٌ وكان أضعَفُنـا نَهبًـا لِأقـوانَا(٣)

ثمَّ إنَّ خطر الولاية وخَطْبها جسيم، لا يتمُّ إلَّا بحُسن التَّدبير والمشورة مع الأخيار والعلماء الأبرار، الَّذين غرضهم الإصلاح(٤)، لا يطمعون فيما بأيدي الملوك من المال، وينصحونهم في الوعظ والمقال(٥).

حُكي أنَّ شَقِيقًا البَلخيَّ دخل يومًا على هارون الرَّشيد، فقال له: «أنتَ شَقِيق [٥٢/ و] الزَّاهد؟ فقال: أنا شَقِيق ولستُ بزاهد، فقال له: أوصِني(٦)، فقال: إنَّ اللَّه قد أجلَسَك مكان الصِّدِّيق، وإنَّه يطلب منك صِدقَه، وأعطاك موضِع عمر بن الخطَّاب، وهو يطلب منك مِثلَ فَرقِه بين الحقِّ والباطل، وأعطاك موضِع

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، واستدركتُه من مصادر التَّخريج.

(٢) رواه أحمد في «الزُّهد» (١٥٩٩)، وابن أبي الدُّنيا في «العقوبات» (٣٢)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٩٠)؛ عن قتادة، قال: قال موسى بن عمران عليه السلام، به.

(٣) رواه أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٦٤).

(٤) في الأصل: «الاصطلاح».

(٥) غير واضحة بالأصل، والمثبَت من «التِّبر المسبوك» (ص١٨).

(٦) في الأصل: «أوصيني».

عثمان، وهو يطلب منك مِثلَ حيائه، وأجلسَك مكان عليٍّ بن أبي طالب، وهو يطلب منك مِثلَ عِلمه وعدله، وإنصافه وخشوعه.

فقال له: زِدني، فقال: نعم، اعلم أنَّ للَّه تعالى دارًا تُعرف بجهنَّم، وأنَّه قد جعلك بوَّاب تلك الدَّار، وأعطاك ثلاثة أشياء: بيت المال، والسَّيف، والسَّوط، وأمرك أن تمنع الخَلق من اعتداء بعضهم على بعض بهذه الثَّلاثة؛ فمن جاءك محتاجًا فلا تمنعه[1] من بيت المال، ومن خالَف أمر ربِّه فأدِّبه بالسَّوط، ومن قتل نَفْسًا بغير [٥٢/ ظ] نَفْس فاقتُله بالسَّيف بإذن وليِّ المقتول، فإن فعلتَ ما أمرك به فلك الخير في الدُّنيا والآخرة، وإلَّا فأنت تكون الزَّعيم لأهل النَّار، والمتقدِّم عليهم إلى دار البَوار.

فقال: زِدني من الوصيَّة، فقال: إنَّما مَثَلُك كمَثَل مَعِين الماء، ومَثَل سائر العلماء كمَثَل السَّواقي، فإذا كان المَعِين صافيًا لا يضرُّه كَدَر السَّواقي، وإذا كان كَدِرًا فكذلك[2] السَّواقي»[3].

ولأجْل ذلك قالوا[4]: لا بأس أن ينظر في التَّاريخ؛ فإنَّه ممَّا يحتاج إليه المَلِك والوزير والقائد وغيرهم، أمَّا المَلِك فيَعتَبِر بما مضى من الدُّول ومن سَلِف الأمم، وأمَّا الوزير فيَقتَدِي بفِعال مَن تقدَّم ممَّن حاز فَضِيلَتي السَّيف والقَلَم، وأمَّا قائد الجيوش فيطَّلع منه على [٥٣/ و] مكائد الحرب، ومواقف الطَّعن والضَّرب،

(١) في الأصل: «يمنعه».

(٢) كذا، والَّذي في «التِّبر المسبوك» وغيره: «لا ينفع صفاء السَّواقي».

(٣) أورده الغزاليُّ في «التِّبر المسبوك» (ص١٩).

(٤) أعاد المصنِّف رحمه اللَّه ذِكر هذه العبارة في كتابه «المختصر في علم التَّاريخ» (ص١١٧، ١١٨).

وأمَّا غيرهم فيسمعونه على سبيل المسامَرة، فيحصل لهم بذلك المبادَرة إلى أنواع الخيرات، والاجتناب عن المنكَرات.

ويجب على السُّلطان أن ينظر في أمور الرَّعيَّة، ويقف على قليلها وكثيرها، وعظيمها وخطيرها.

ويجب عليه احترام الصَّالحين، ويعاقب النَّاس على حَسَب ارتكابهم القبيح، وألَّا يحابي(١)؛ ليرغب النَّاس في الخيرات ويحذروا من السَّيِّئات، ومتى كان السُّلطان بلا سياسة، وكان لا ينهى المفسِد عن فساده ويتركه على مراده؛ فيفسد سائر رعيَّته في بلاده.

ثـمَّ إنَّ المَلِك يجب عليه أن يسلك طريق الملوك الَّذين تقدَّموا، ويعمل عملهم في الخير، وأن يقرأ كتب مواعظهم [٥٣/ ظ] ووصاياهم؛ لأنَّهم أطول أعمارًا، وأكثر اعتبارًا، وإنَّهم فرَّقوا بين الجيِّد والرَّديء، وعرفوا الجليَّ من الخفيِّ، فكان أَنُوشِروان ـ مع حُسن سيرته ـ يقرأ كتب الأوَّلين، ويطلب استماع حكاياتهم، ويمضي على طريقتهم(٢).

وقال عبد الرَّحمن بن عوف: «دعاني عمر بن الخطَّاب رضي اللَّه عنه، وقال: قد نزل بباب المدينة قافِلة، وأخاف عليهم إذا ناموا أن يُسرق شيء من متاعهم، فمضيتُ معه، فلمَّا وَصَلْنا إلى باب المدينة قال لي: نَم أنتَ، ثمَّ إنَّه جعل يحرس طُول اللَّيلة»(٣).

---

(١) في الأصل: «يجابي»، والمثبَت من «التِّبر المسبوك» (ص٥٠)، ونصُّه: «ولا يحابي من أصرَّ على المعصية؛ ليرغب النَّاس...».

(٢) راجع: «المختصر في علم التَّاريخ» (ص١١٨).

(٣) لم نقف عليه مسندًا، وقد أورده الغزاليُّ في «التِّبر المسبوك» (ص٥٤).

ثمَّ إنَّه يجب عليه أن يرى لرعيَّته ما يرى لنَفْسه، وإلَّا فقد خان رعيَّته، وغَشَّ أهل ولايته.

قال رسول اللَّه ﷺ: «مَن أصبَحَ وفي قَلبِهِ هَمٌّ سِوَى [٥٤/و] اللَّهِ تعالى، فليس مِن اللَّهِ في شَيءٍ، ومَن لم يُشفِق على المُسلِمِينَ، فليس منهم»(١).

ورُوي: أنَّ رسول اللَّه ﷺ كان قاعدًا يوم بَدْر في ظِلٍّ، فهبط جبريل عليه السلام وقال: «يا مُحَمَّدُ، تَقعُدُ في الظِّلِّ وأصحابُكَ في الشَّمسِ؟»(٢). فعُوتب بهذا القَدْر.

ومهما كان لأحد من المسلمين حاجة إلى السُّلطان فلا يشتغل بنوافل العبادة عن قضاء حاجته؛ فإنَّ قضاء حوائج المسلمين أفضل من نوافل العبادة.

ثمَّ إنَّه يجب عليه أن يعتقد أنَّ قُدرته وقوَّته على أعدائه، ونُصرته ووصوله إلى مراده إنَّما ذلك كلُّه من اللَّه تعالى، وألَّا يُعجَب بنَفْسه، وإن عجب بنَفْسه خُشي عليه.

---

(١) أخرجه الطَّبرانيُّ في «المعجم الأوسط» (٤٧١) من حديث أبي ذرٍّ الغِفاريِّ رضي اللَّه عنه، وفيه يزيد ابن ربيعة الرَّحَبيّ، وهو منكر الحديث. راجع: «لسان الميزان» (٤/ ٥٤٦).
ولـه شاهد من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه، أخرجه أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٤٨)، والبيهقيُّ في «شعب الإيمان» (١٠١٠٢)، وقال: «إسناده ضعيف».

(٢) أخرجه الطَّبرانيُّ في «المعجم الأوسط» (٧١٣٢)، وأبو نُعيم في «معرفة الصَّحابة» (٦٧٥٦)؛ من حديث أبي حازم الأنصاريِّ رضي اللَّه عنه (مختلَف في صحبته).
وفيه الحسن بن صالح بن أبي الأسود؛ لم يوثِّقه غير ابن حبَّان، وقال الهيثميُّ: «ضعيف جدًّا». راجع: «ثقات ابن حبَّان» (٨/ ١٦٩)، و«مجمع الزَّوائد» (٦/ ٨٣).
وله شاهد أخرجه الخطيب في «الجامع» (٩٨٣) من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه، وفيه عمر ابن الحسن بن علي الأُشنانيُّ، وهو ضعيف، وكذَّبه بعضهم. راجع: «لسان الميزان» (٦/ ٧٨).

حُكي أنَّ سليمان عليه السلام [٥٤/ ظ] كان جالسًا على سَرير مَملكته، وقد حمَلَتْه الرِّيح في الجَوِّ، فنظر سليمان عليه السلام إلى مَملكته، وطاعة الجنِّ والإنس، وانقيادهم لعظيم مَملكته، وهَيبته وسياسته، فاضطرَب السَّرير وهَمَّ بالانقلاب، فقال سليمان عليه السلام: «استقِم»، فنظر السَّرير إليه، وقال: استقِم أنت حتَّى نستقيم نحن[١].

قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرَّعد: ١١]؛ ولذلك قيل: فساد المَملَكة من فساد نِيَّة المَلِك، ومن فساد حاشيته.

وأقول: نِعم قول من قال: إذا عَذُبَت العَين طابَت الأنهار.

وسُئل ذو القَرنين فقيل له: أيُّ شيء من مَملكتك أنت به أكثر سرورًا؟ فقال: «بشيئين؛ أحدهما: العدل والإنصاف، ثانيهما: أن أكافِئ مَن أحسَن إليَّ بأكثر من إحسانه»[٢]. [٥٥/ و]

قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الإحسانَ في كُلِّ شَيءٍ، حتَّى إنَّه يُحِبُّ إنسانًا إذا أرادَ ذَبحَ شاةٍ أن يُمهِيَ[٣] لها المُديَةَ؛ ليُعَجِّلَ خَلاصَها من أَلَمِ الذَّبحِ**»[٤].

وقال موسى عليه السلام: «**إنَّ اللَّهَ تعالى لم يَخلُق في الدُّنيا أفضلَ من العَدلِ، والعَدلُ مِيزانُ اللَّهِ تعالى، مَن تَعَلَّقَ به أَوصَلَهُ[٥] إلى الجَنَّةِ**»[٦].

---

(١) أورده الغزاليُّ في «التِّبر المسبوك» (ص٨٥). (٢) المصدر السَّابق (ص٤٩).

(٣) أمهيتُ السِّكِّين، إذا حدَّدتها. وقد تصحَّفت في الأصل إلى: «يمضي».

(٤) لم نقف عليه بهذا اللَّفظ إلَّا عند الغزاليِّ في «التِّبر المسبوك» (ص٤٩)، وقد أخرج معناه مسلم (١٩٥٥) من حديث شدَّاد بن أوس رضي اللَّه عنه، وأوَّله: «إنَّ اللَّهَ كتب الإحسانَ على كلِّ شيءٍ».

(٥) في الأصل: «واصله».

(٦) لم نقف عليه مسندًا، وقد أورده الغزاليُّ في «التِّبر المسبوك» (ص٤٩).

فاللَّائق للمَلِك أن يقتدي بمَن سلف من أهل العدل، فيحصل له الأبقيان: الذِّكر الجميل في الأُولى، والأجر الجزيل في العُقبى.

وقال الشَّاعر: [الوافر]

ولا شيءٌ يَدُومُ فَكُن حديثًا  جميلَ الذِّكرِ فالدُّنيا حديثُ[1]

حُكي أنَّه «كان في زمن عمر بن عبد العزيز قَحْط عظيم، فجاء إليه ناس من العرب، واختاروا منهم رجلًا لخِطابه، فقال ذلك الرَّجل: يا أمير المؤمنين، إنَّا قد أتَيْناك عن ضرورة [٥٥/ ظ] عظيمة، وقد نَشِفَت جلودنا على أجسامنا لفَقْد الطَّعام، وهذا المال الَّذي عندك إمَّا للَّه أو لعِباد اللَّه أو لك، فإن كان للَّه فهو غنيٌّ عنه، وإن كان لعِباد اللَّه فنحن من عِباد اللَّه، وإن كان لك فتصدَّق به علينا، إنَّ اللَّه يجزي المتصدِّقين، ففاضَت عَينا[2] عمر بن عبد العزيز من الدَّمع، وقال: الأمر كما ذَكَرتَ، وأمَرَ بقضاء حوائجهم من بيت المال، فلمَّا هَمَّ الأعرابيُّ بالخروج قال له عمر بن عبد العزيز: أيُّها الإنسان، كما رفعتَ إليَّ حوائج عِباد اللَّه وأسمَعتَني كلامهم، فأوصِل كلامي إلى اللَّه تعالى وارفَع حاجتي إليه، فحوَّل الأعرابيُّ وجهه نحو السَّماء، قال: اللَّهمَّ اصنَع مع عمر بن عبد العزيز كصَنِيعه [٥٦/ و] في عِبادك، فما استَتَمَّ كلامه حتَّى ارتفع غَيم فأمطَرَ مطرًا غزيرًا، فنزلت مع المطر بَرَدةٌ، فوقعت على صخرة فانكسَرَت، فخَرَّت منها ورقة عليها مكتوب: هذا براءة من اللَّه تعالى العزيز لعمر بن عبد العزيز من النَّار»[3].

فانظُر في هذا واعتَبِر به.

---

(١) أورده الطُّرطُوشيُّ في «سراج الملوك» (ص١٢٩)، دون نِسبة. (٢) في الأصل: «عيناه».

(٣) أورده الغزاليُّ في «التِّبر المسبوك» (ص٥٦).

قال الشَّاعر(١): [البسيط]

ما مرَّ يومٌ على حيٍّ ولا ابتَكَرا  إلَّا رأى عبرةً فيه إنِ اعتبَرا

وحُكي أنَّ الحَجَّاج كان على المِنبَر وقال: «أيُّها النَّاس، اعلَموا أنَّ شَمسَكم هذه شمس قارون وفرعون، طلعت على قصورهم، ثمَّ طلعت على قبورهم»(٢).

رأيتُ الدَّهرَ مختلفًا يَدُورُ  فلا حُزنٌ يَدُومُ ولا سرورُ
وشَيَّدتِ الملوكُ بها قصورًا  فما يبقى الملوكُ ولا القصورُ(٣)

وعمر بن عبد العزيز أمُّه بنت عاصم بن عمر بن الخطَّاب. [٥٦/ ظ]

وقال سفيان الثَّوريُّ: «الخلفاء خمسة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليٌّ، وعمر بن عبد العزيز»(٤).

وقال أحمد بن حنبل: «يُروى في الحديث: «**إنَّ اللَّهَ يَبعَثُ لِهذه الأُمَّةِ على رأسِ كُلِّ [مئةِ] عامٍ مَن يُصَحِّحُ لها دِينَها**»(٥)، فنظَرْنا في المئة الأُولى، فإذا هو عمر بن عبد العزيز»(٦).

---

(١) هو: ابن أبي عُيينة المهلَّبيّ، كما في «الكامل في الأدب» (٢/ ١٢) للمبرِّد، و«روضة العقلاء» لابن حبَّان (ص٢٨٢).

(٢) أورده ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» (٢/ ١٠٣)، وعزاه لـ«أمالي أبي أحمد العسكريِّ».

(٣) البيتان من الوافر، وقد نُسبا إلى عليِّ بن أبي طالب رضي اللَّه عنه. «ديوانه» (ص١٠٠) ط العلميَّة!

(٤) رواه أبو داود (٤٦٣١) من طريق عبَّاد السَّمَّاك، عن الثَّوريِّ. وعبَّاد هذا قال عنه ابن حجر: «مجهول». «تقريب التَّهذيب» (٣١٥٦).

(٥) أخرجه أبو داود (٤٦٣١) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه.

(٦) رواه أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٩٧)، والبيهقيُّ في «المدخل إلى علم السُّنن» (٨٠).

فلمَّا وَلِي الخلافة بعد سليمان بن عبد المَلِك صعد المِنبَر، وحمد اللَّه وأثنى عليه، وصلَّى على النَّبيِّ ﷺ، وقال: «يا أيُّها النَّاس، أوصيكم بتقوى اللَّه؛ فإنَّها خَلَف من كلِّ شيء، وليس من تقوى[1] اللَّه خَلَف، واعمَلُوا لآخرتكم؛ فإنَّه من عمل لآخرته كفاه اللَّه[2] أمْر دُنياه، وأصلِحُوا سرائركم يُصلح اللَّه علانيتكم، وأكثِروا ذِكر الموت، وأحسِنوا الاستعداد له قبل أن ينزل بكم؛ فإنَّه[3] هادم اللَّذَّات»[4]. [٥٧/ و]

وقال: «إنَّ هذه الأمَّة لم تختلف في ربِّها عز وجل، ولا نبيِّها، ولا في كِتابها، إنَّما اختلَفُوا في الدِّينار والدِّرهم، وإني ـ واللَّه ـ لا أعطي أحدًا باطلًا، ولا أمنَع أحدًا حقًّا»، ثمَّ رفع صوته وقال: «أيُّها النَّاس، من أطاع اللَّه فقد وجبت طاعته، ومن عصى اللَّه فلا طاعة [له]، أطيعوني ما أطعتُ اللَّه، فإذا عصيتُ اللَّه فلا طاعة لي عليكم»[5].

قيل: «كان عمر بن عبد العزيز ينظر [ليلًا] في قَصص الرَّعيَّة في ضوء السِّراج، فجاءه غلامه يحدِّثه في أمْر كان يتعلَّق بأهل بيته، وقال عمر: أطْفِ السِّراج وحدِّثني؛ فإنَّ هذا الدُّهن من بيت مال المسلمين، لا يجوز استعماله إلَّا في أشغال المسلمين»[6].

---

(١) في الأصل: «يقوي».
(٢) في الأصل: «كفى اللَّه».
(٣) في الأصل: «فإنَّ».
(٤) رواه أبو بكر الآجرِّيُّ في «أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز وسيرته» (ص٥٥)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٥/ ٣٥٧).
(٥) المصادر السَّابقة.
(٦) أورده الغزاليُّ في «التِّبر المسبوك» (ص٥٦، ٥٧).

وسُئل عمر بن عبد العزيز: ما كان سبب توبتك؟ فقال: «كنتُ أضرب يومًا غلامًا، فقال: اذكُر تلك [اللَّيلة] الَّتي تكون صبيحتُها [٥٧/ ظ] القيامةَ، فأثَّر ذلك الكلام في قلبي»(١).

وحُكي: «أنَّ قيصر الرُّوم أرسل رسولًا إلى عمر بن الخطَّاب لِيَنظُر أحواله ويشاهِد أفعاله، فلمَّا دخل المدينة سأل أهلها، وقال: أين مَلِكُكم؟ قالوا: ما لَنا مَلِك، بل لنا أمير قد خرج إلى ظاهر المدينة، فخرج الرَّسول في طَلَبه، فرآه نائمًا في الشَّمس فوق [الرَّمل] الحارِّ، وقد وضع دِرَّته كالوِسادة تحت رأسه، والعَرَق يسقط من جبينه إلى أن قد بَلَّ الأرض، فلمَّا رآه على تلك الحالة وقع الخشوع في قلبه، وقال: رجل تكون جميع الملوك لا يَقِرُّ لهم قَرار من هَيبته، وتكون هذه حالته؟! لكنَّك يا عمر(٢) قد عَدَلتَ فأَمِنتَ فنِمتَ، ومن لا يكون على حالته فلا جَرَم أنَّه لا يزال خائفًا ساهِرًا، أشهَد أنَّ دِينكم الحَقُّ، ولولا أنَّني أتيتُ رسولًا لأسلَمتُ، ولكن سأعود بعدها وأُسلِمُ»(٣). [٥٨/ و]

وقال عبد اللَّه بن عمر وجماعة من أهل بيته: «إنَّا كنَّا ندعو اللَّه تعالى أن يُرِيَني عمر في المَنام، فرأيتُه بعد اثنَتي عشرة سنة كأنَّه اغتسل وهو متلفِّع بإزار، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، كيف وجدتَ ربَّك؟ وبأيِّ حسناتك جازاك(٤)؟ فقال: يا عبد اللَّه، كم لي منذ(٥) فارَقتُك؟ قلتُ: اثنَتا عشرة سنة، فقال: منذ فارَقتُك كنتُ

---

(١) رواه ابن أبي الدُّنيا في «الرِّقَّة والبكاء» (٢٩٩)، والدِّينوريُّ في «المجالسة» (٤٠٩).

(٢) بعدها في الأصل: «إنك»!

(٣) راجع: «أدب الدُّنيا والدِّين» (ص١٥٣)، و«التِّبر المسبوك» (ص١٨)، و«ربيع الأبرار» (٤/ ١٣).

(٤) في الأصل: «جارك»!

(٥) في الأصل: «من حيث»، والتَّصويب من مصادر التَّخريج.

في الحِساب، وخِفتُ أن أَهلِك، لولا أنَّ اللّٰه غفور رحيم، جوَّاد كريم»[(١)].

فانظُر، إنَّ هذه حالة عمر، ولم يكن له من الدُّنيا إلَّا دِرَّة، أسأل اللَّه تعالى العفو والعافية في الدُّنيا والآخرة.

وحُكي في «مناقب أبي حنيفة»[(٢)] أنَّه أوصَى إلى أبي يوسف فقال: «يا يعقوب، وَقِّر السُّلطان وعَظِّم منزلته، وإيَّاك والكذبَ بين يديه والدُّخولَ عليه في كلِّ وقت ما لم يَدعُك لحاجة عِلميَّة؛ فإنَّك إذا أكثرتَ إليه الاختلاف يتهاوَن بك وصَغُرَت منزلتك عنده، [٥٨/ ظ] فكُن منه كما أنت من النَّار؛ تَنتَفع وتباعَد ولا تَدنُ منها؛ فإنَّ السُّلطان لا يرى لأحَد ما يرى لنَفْسه، وإيَّاك وكثرةَ الكلام بين يديه، ولكن إذا دخلتَ عليه تعرف قَدْرك وقَدْر غيرك، ولا تدخل عليه وعنده من أهل العِلم من لا تعرفه؛ فإنَّك إن كنتَ أدوَنَ حالًا منه لعلَّك تترفَّع عليه ويضرُّك، وإن كنت أعلَم منه لعلَّك تنحَطُّ عنه وتسقط بذلك من أعين السُّلطان، وإذا عرض عليك شيئًا من أعماله فلا تقبل منه إلَّا بعد أن تعلم منه أنَّه يرضاك ويرضى مذهبك في العِلم والقضايا؛ كي لا تحتاج إلى ارتكاب مذهب غيرك في الحُكومات، ولا تُواصِل أولياء السُّلطان وحاشيته، بل تقرَّب إليه وحده، وتباعَد عن حاشيته ليكون محلُّك[(٣)] وجاهُك باقيًا».

وقال [٥٩/ و] الغزاليُّ في «الإحياء»[(٤)]: «اعلَم أنَّ لك مع الأمراء والعمَّال

---

(١) أورده الغزاليُّ في «التِّبر المسبوك» (ص١٨).

(٢) «مناقب أبي حنيفة» للموفَّق المكِّيِّ (٢/ ١١٢)، و«مناقب أبي حنيفة» للكَردَريِّ (٢/ ٩٤).

(٣) كذا في الأصل، وفي كافَّة المصادر: «مجدك».

(٤) «إحياء علوم الدِّين» (٢/ ١٤٢ـ ١٥٢). وقد وقع في مواطن من هذا النَّقل الطَّويل تصحيفات =

الظَّلَمة ثلاثـةَ أحوال: الحالة الأُولى ـ وهي أشرُّها ـ: أن تدخل عليهم، والثَّانية ـ وهي دُونها ـ: أن يدخلوا عليك، والثَّالثة ـ وهي الأسلَم ـ: أن تعتزل عنهم ولا تراهم ولا يَرَونك.

أمَّا الحالة الأُولى ـ وهي الدُّخول عليهم ـ؛ فهو مذموم جدًّا في الشَّرع، قال رسول اللَّه ﷺ: «سَيكُونُ بَعدِي أُمَراءُ يَكذِبُونَ ويَظلِمُونَ، فمَن صَدَّقَهُم بِكَذِبِهِم وأعانَهُم على ظُلمِهِم، فليس منِّي ولستُ منه، ولم يَرِد عَلَيَّ الحَوضَ»(١).

وروى أبو هريرة، أنَّه ﷺ قال: «أَبغَضُ القُرَّاءِ إلى اللَّهِ تعالى الَّذين يَزُورُونَ الأُمَراءَ»(٢).

وفي الخَبَر: «خَيرُ الأُمَراءِ الَّذين يَأتُونَ العُلماءَ، وشَرُّ العُلَماءِ الَّذين يَأتُونَ الأُمَراءَ»(٣).

وفي الخَبَر: «العُلَماءُ أُمَناءُ الرُّسُلِ على عِبادِ اللَّهِ، ما لَم [٥٩/ ظ] يُخالِطُوا السُّلطانَ، فإذا فَعَلُوا ذلك فقد خانُوا [الرُّسُلَ]، فاحذَرُوهُم واعتَزِلُوهُم». رواه أَنَس رضي اللَّه عنه(٤).

---

= ظاهرة، اكتفينا بتصويبها من «الإحياء»، مع عدم الإشارة إليها غالبًا؛ لعدم إثقال الحواشي.

(١) أخرجه التِّرمذيُّ (٦١٤، ٢٢٥٩)، والنَّسائيُّ (٤٢٠٧)؛ من حديث كعب عُجرة رضي اللَّه عنه، وقال التِّرمذيُّ مرَّة: «حديث حسن غريب»، وقال مرَّة أخرى: «حديث صحيح غريب».

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٥٦) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه، وفيه عمَّار بن سيف الضَّبِّيُّ، وهو ضعيف، كما في «تقريب التَّهذيب» (٤٨٢٦).

لذا قال ابن رجب: «في هذا الإسناد ضعف». «مجموع رسائل ابن رجب» (٤/ ٢١٧).

(٣) لم نقف عليه.

(٤) أخرجه الحسن بن سفيان في «مسنده» [كما في «اللآلئ المصنوعة» (١/ ٢٠٠)]، وأبو اللَّيث في =

وقال حُذيفة: «إيَّاكم ومواقف الفتن»، قيل: وما هي؟ قال: «أبواب الأمراء؛ يدخل أحدكم على الأمير فيصدِّقه بالكذب، ويقول له ما ليس فيه»(١).

وقال سفيان: «في جهنَّم وادٍ لا يسكنه إلَّا القرَّاء الزَّوَّارون للملوك»(٢).

وقال الأوزاعِيُّ: «ما من شيء أبغض إلى اللَّه من عالِم يزور عاملًا»(٣).

وقال عُبادة بن الصَّامت: «حُبُّ القارئ النَّاسك للأمراء نِفاقٌ، وحُبُّه للأغنياء رِياءٌ»(٤).

وقال أبو ذَرٍّ: «من كثَّر سَوَاد قوم فهو منهم»(٥)؛ أي: من كثَّر سَوَاد الظَّلَمة.

وقال ابن مسعود: «إنَّ الرَّجل ليدخل على السُّلطان ومعه دِينه، فيخرج ولا دِين له»، قيل له: [لِم؟] قال: «لأنَّه يُرضيه بسَخَط اللَّه»(٦).

وقال الفُضَيل: «ما ازداد رجل من ذي سلطان [٦٠/ و] قُربًا إلَّا ازداد من اللَّه بُعـدًا»(٧).

---

= «تنبيه الغافلين» (٦٧٥)، وابن الجوزيِّ في «الموضوعات» (٥١٠)، والرَّافعيُّ في «التَّدوين» (٢/ ٤٤٥)، وقال ابن الجوزيِّ: «هذا حديث لا يصحُّ عن رسول اللَّه ﷺ».
وقال أبو حاتم: «هذا حديث منكر». «علل ابن أبي حاتم» (٥/ ١٨٦).

(١) أخرجه معمر في «جامعه» (٢٠٦٤٣)، ومن طريقه ابن أبي شيبة (٣٨٨٨٨)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٧٧).

(٢) رواه ابن عبد البرِّ في «جامع بيان العلم وفضله» (١٠٩٧).

(٣) رواه أبو بكر المرُّوذيُّ في «أخبار الشُّيوخ وأخلاقهم» (١٨٨).

(٤) لم نقف عليه.

(٥) رواه ابن المبارك في «الزُّهد والرَّقائق» (٢/ ١٢).

(٦) رواه ابن سعد في «الطَّبقات الكبير» (٨/ ٣٢٧)، وهنَّاد في «الزُّهد» (٢/ ٥٥٥).

(٧) لم نقف عليه.

وكان سعيد بن المسيَّب يتَّجِر في الزَّيت ويقول: «إنَّ في هذا لَغِنًى عن هؤلاء السَّلاطين»(١).

وقال وُهَيب: «هؤلاء الَّذين يدخلون على الملك أَضَرُّ على الأمَّة من المقامِرين»(٢).

وقال محمَّد بن مَسلَمة: «الذُّباب على العَذِرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء»(٣).

ولما خالَط الزُّهريُّ السَّلاطين كتب إليه أخ له في الدِّين: «عافانا اللَّه وإيَّاك أبا بكر من الفتن، فقد أصبحتَ بحال ينبغي لِمَن عرفك أن يدعو اللَّه لك ويرحمك، واعلَم أنَّ أيسَر ما ارتكبتَ وأخفَّ ما احتملتَ أنَّك آنستَ وَحشة الظَّالم، وسهَّلتَ سبيل الغَيِّ بدُنُوِّك، اتَّخذك قُطبًا يدور عليه رَحَى ظلمه، وجِسرًا(٤) يعبُر عليه إلى بلائه، وسُلَّمًا يصعد فيه إلى ضلالته، ويُدخل بك الشَّكَّ على العلماء، ويقتاد بك قلوب الجهلاء، فما أيسَر ما [٦٠/ ظ] عمَّروا لك في جنب ما خرَّبوا عليك، وما أكثَر ما أخَذوا منك فيما أفسَدوا عليك في دِينك، فَداوِ دِينك فقد دخله السَّقم، وهيِّئ زادك فقد حضرك سفر بعيد، ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨]، والسَّلام(٥).

---

(١) لم نقف عليه هكذا، وراجع: «معرفة الثِّقات» للعِجليِّ (١/ ٤٠٥).

(٢) رواه أحمد في «الورع» (رواية المرُّوذيِّ) (٢٩٥).

(٣) رواه أحمد في «الورع» (رواية المرُّوذيِّ) (٢٩٧)، وأبو بكر المرُّوذيُّ في «أخبار الشُّيوخ وأخلاقهم» (٤٩).

(٤) بعدها في الأصل: «بغير».

(٥) رواه أبو نُعيم في «الحلية» (٣/ ٢٤٦)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٤١).

وأمَّا الحالة الثَّانية: فهي أن يدخل عليك السُّلطان الظَّالم زائرًا.

أمَّا جواب السَّلام؛ فلا بُدَّ منه، وأمَّا القِيام والاحترام؛ فلا يَحرُم؛ مقابَلةً له على إكرامه؛ فإنَّه بإكرام العالم والدِّين مستحِقٌّ للإحماد[1]، كما أنَّه بالظُّلم مستحِقٌّ للإبعاد، فالاحترام بالاحترام، والجواب بالسَّلام.

وإن كان الدَّاخل عليه في جمْع؛ فمراعاة حِشمة أرباب الولايات فيما بين الرَّعايا أمْر مهمٌّ، ولا بأس بالقِيام على هذه النِّيَّة.

وإن علم أنَّ ذلك لا يُورث فسادًا في الرَّعيَّة، ولا يناله أذًى [٦١/ و] من غضبه؛ فترْكُ الإكرام بالقِيام أولَى.

ثمَّ يجب عليه بعدُ إن وقع اللِّقاء أن ينصحه، فإن كان يقارِف ما لا يعرف تحريمه، وهو يتوقَّع أن يتركه إذا عرف= فليعرِّفه؛ فذلك واجب.

وأمَّا ذِكر تحريم ما يُعلَم تحريمه من الشُّرب[2] والظُّلم فلا فائدة فيه، بل يجب عليه أن يخوِّفه فيما يرتكبه من المعاصي، مهما ظنَّ أنَّ التَّخويف يؤثِّر فيه.

وعليه أن يرشده إلى المصلحة، إن كان يعرف طريقًا على وَفْق الشَّرع؛ بحيث يحصل فيه[3] غرض الظَّالم من غير معصية، فيصدُّه بذلك عن الوصول إلى غرضه بالظُّلم.

---

(١) حمدتُ الرَّجل، إذا شكرتَ له صنيعه، وأحمدتُه؛ إذا أصبتَه محمودًا. فالفرق بين الحمد والإحماد: أنَّ الحمد كلام تُظهره، أمَّا الإحماد فمعرفة تُضمرها. ذكره ابن دُرُستويه في «تصحيح الفصيح وشرحه» (ص١٤١).

(٢) أي: شرب المسكِر.

(٣) كذا، وفي «الإحياء»: «بها».

فإذن، يجب عليه التَّعريف في محلِّ جهله، والتَّخويف فيما [هو] مستجرئ عليه، والإرشاد إلى ما هو غافل عنه ممَّا يغنيه عن الظُّلم، فهذه ثلاثة تلزمه إذا توقَّع للكلام فيه أثرًا، وهو أيضًا لازم على كلِّ من اتَّفق له دخول على السُّلطان [٦١/ ظ] بعُذر[١] أو بغير عُذر.

عن محمَّد بن صالح[٢]، قال: «كنتُ عند حمَّاد بن سلمة، وإذا ليس في البيت إلَّا حصير، وهو جالس عليه، ومصحف يقرأ فيه، وجِراب فيه عِلمه، ومَطهرة يتوضَّأ منها، فبينا أنا عنده إذ دَقَّ داقٌّ البابَ، وإذا هو محمَّد بن سليمان، فأذن له، فدخل وجلس بين يديه، ثمَّ قال: ما لي إذا رأيتُك امتلأتُ منك رُعبًا؟ قال حمَّاد: لأنَّه ﷺ قال: «**إنَّ العالِمَ إذا أرادَ بِعِلمِهِ وَجهَ اللَّهِ هابَهُ كُلُّ شَيءٍ، وإذا أرادَ أن يَكنِزَ به الكُنُوزَ هابَ مِن كُلِّ شَيءٍ**»، ثمَّ عرض عليه أربعين ألف درهم، وقال: تأخذها وتستعين بها، قال: اردُدها على من ظلمتَه بها، قال: واللَّه، ما أعطيتُك إلَّا ممَّا ورثتُه، قال: لا حاجة لي فيها، قال: تأخذها فتَقسِمها، قال: لَعَلِّي إن عدلتُ في قِسمتها أن يقول [٦٢/ و] بعض من لم يُرزَق منها: إنَّه لم يعدل في قِسمتها، فيأثم، فازْوِها عنِّي»[٣].

وأمَّا الحالة الثَّالثة: أن يعتزل عنهم، فلا يراهم ولا يرونه، وهو الواجب؛

---

(١) في الأصل: «يغدر»، وهو تصحيف.

(٢) كذا، وهو خطأ، والصَّواب: «مقاتل بن صالح».

(٣) رواه الخطيب في «الجامع لأخلاق الرَّاوي وآداب السَّامع» (٨٣٧)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٣/ ١٣٢).

والقَدْر المرفوع من هذه الحكاية لا يصحُّ؛ فإنَّ بين حماد بن سلمة وبين النَّبيِّ ﷺ راويين على الأقلِّ؛ لذا قال عنه العراقيُّ في «المغني عن حمل الأسفار» (١/ ٤٥٥): «معضَل».

إذ لا سلامة إلَّا فيه، فعليه أن يعتقد بعضهم على ظلمهم، ولا يحِبُّ بقاءهم، ولا يستخبر عن أحوالهم، ولا يتقرَّب إلى المتَّصلين بهم، ولا يتأسَّف على ما يفوت بسبب مفارقتهم، وذلك إذا خطر بباله أمرُهم، وإن غفل عنهم فهو الأحسَن.

وإذا خطر بباله تنعُّمهم فليذكر ما قال حاتم الأصَمُّ: «إنَّما بيني وبين الملوك يوم واحد، أمَّا أمس فلا يجدون لذَّته، وإنِّي وإيَّاهم في غدٍ على وَجَلٍ، إنمَّا هو اليوم؛ فما عسى أن يكون في اليوم؟!»(١)(٢).

وما أحسن قول أبي الدَّرداء: «من قال: نحن نأكل ونشرب ونلبَس، كما أنَّ أهل الأموال [٦٢/ ظ] يأكلون ويشربون ويلبَسون، ولهم فضول الأموال ينظرون إليها، وننظر معهم، وعليهم حِسابها، ونحن منها براء»(٣).

**والحاصل**: أنَّ كلَّ مَن أحاط عِلمه بظُلم ظالم ومعصية عاص؛ فينبغي أن يَحُطَّ ذلك من درجته في قلبه، فهذا واجب عليه.

**فإن قلتَ**: الكراهية لا تدخل تحت الاختيار، فكيف تَجِب؟

**قلتُ**: ليس كذلك، فإنَّ المحِبَّ يكره بضرورة الطَّبع ما هو مكروه عند محبوبه ومخالِف له؛ فإنَّما لا يكره معصية اللَّه من لا يحِبُّ اللَّه، وإنَّما لا يحِبُّ اللَّه من لا يعرفه، والمعرفة واجبة، والمحبَّة للَّه واجبة، وإذا أَحَبَّه كره ما كرهه، وأَحَبَّ ما أَحَبَّه.

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) مقابله في الأصل حاشية نصُّها:

«فإنَّما هذه الدُّنيا وزينتها ... كالزَّاد لا بدَّ يومًا أنَّه فانِي».

والبيت منسوب في «شرح أبيات سيبويه» (٢/ ١١٤) لكعب بن مالك رضي اللَّه عنه.

(٣) رواه ابن المبارك في «الزُّهد والرَّقائق» (٥٩٢)، والمعافَى بن عمران في «الزُّهد» (١٦٩).

تَعصِـي الإلَـهَ وأنـتَ تُظهِـرُ حُبَّهُ هـذا مُحـالٌ فـي الفِعـالِ بَدِيـعُ
لـو كان حُبُّـكَ صادِقًـا لأَطَعتَـهُ إنَّ المُحِـبَّ لِمَـن يُحِـبُّ مُطِيـعُ(١)

فإن قلتَ: فلقد كان علماء السَّلف يدخلون على [٦٣/ و] السَّلاطين(٢).

قلتُ: نعم، يدخلون عليهم لأجْل الإصلاح.

رُوي أنَّ سفيان الثَّوريَّ قال: «أُدخلت على أبي جعفر بمِنًى، فقال لي: ارفع إلينا حاجتك، فقلتُ له: اتَّقِ اللَّه؛ فقد ملأتَ الأرض ظُلمًا وجَورًا، فطَأطَأَ رأسه، ثمَّ رفع وقال: ارفع إلينا حاجتك، فقلتُ: إنَّما أُنزِلتَ هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والأنصار، وأبناؤهم يموتون جُوعًا، فاتَّقِ اللَّه وأَوصِل إليهم حقوقهم، قال: فطَأطَأَ رأسه وقال: ارفع إلينا حاجتك، قلت: حَجَّ عمر بن الخطَّاب [فـ]ـقال لخادمه: كم أنفقتَ؟ قال: بضعة عشر درهمًا، وأرى هاهنا أمورًا لا تُطيقها الجبال»(٣).

وحُكي أنَّ عثمان لمَّا استعمل [عبد اللَّه بن عامر](٤) أتاه أصحاب رسول اللَّه ﷺ، وأبطأَ عنه أبو ذرٍّ، وكان له صديقًا، فعاتَبَه، فقال أبو ذرٍّ: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ [٦٣/ ظ] يقول: «**إنَّ الرَّجُلَ إذا وُلِّيَ وِلايةً تَباعَدَ اللَّهُ عنه**»(٥).

وحُكي أنَّ سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكَّة، فأرسل إلى

---

(١) البيتان من الكامل، وقد نُسبا لابن المبارك وللشَّافعيِّ ولغيرهما.

(٢) كُتب إزاءها في حاشية الأصل: «بالطَّلب»، ولا ندري وجهَها في هذا الموضع.

(٣) رواه أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٤٤).

(٤) في الأصل: «عبَّاس»!

(٥) قال العراقيُّ: «لم أقف له على أصل». «المغني عن حمل الأسفار» (١/ ٤٥٦).

أبي حازم فدعاه، فلمَّا أُدخل عليه قال سليمان: «يا أبا حازم، ما لنا نكره الموت؟ قال: لأنَّكم خرَّبتم آخِرَتكم وعمَّرتم الدُّنيا، فكرهتم أن تنتقلوا من العِمران إلى الخراب، قال: يا أبا حازم، كيف القُدُوم على اللَّه؟ قال: يا أمير المؤمنين، أمَّا المُحسِن فكالغائب يقدم على أهله، وأمَّا المسيء فكالآبِق يقدم على مولاه، فبكى سليمان وقال: لَيتَ شِعري ما لي عند اللَّه؟ قال أبو حازم: اعرِض نَفْسك على كتاب اللَّه تعالى حيث قال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار]، قال سليمان: فأين رحمة اللَّه؟ قال: قريب من المحسنين، ثمَّ قال سليمان: يا أبا حازم، أيُّ عباد اللَّه أكرَم؟ [٦٤/ و] قال: أهل المروءة والتُّقى، قال سليمان: وما تقول فيما نحن فيه؟ قال: أوَتُعفِيني؟ قال: لا، ولكن نصيحة تُلقيها إليَّ، قال: يا أمير المؤمنين، إنَّ آباءك قهروا النَّاس بالسَّيف، وأخذوا هذا المُلك عَنوة من غير مشورة ولا رضًا منهم، حتَّى قتلوا مَقتَلة عظيمة، وقد ارتَحَلُوا، فلو شعرتَ ما قالوا وما قيل [لهم]؟ فقال له رجل من جلسائه: بِئسَ ما قلتَ، قال أبو حازم: إنَّ اللَّه تعالى قد أخذ الميثاق على العلماء لَيُبيِّنُنَّه للنَّاس ولا يكتمونه، فقال سليمان: ادْعُ لي، فقال أبو حازم: اللَّهمَّ إن كان سليمان وَلِيَّك فيَسِّره لخيري الدُّنيا والآخرة، وإن كان عدوَّك فخُذ بناصيته إلى ما تحِبُّ وتَرضَى»[١]. [٦٤/ ظ]

وقال عمر بن عبد العزيز لأبي حازم: «عِظني، فقال: اضطَجِع، ثمَّ اجعل الموت عند رأسك، ثمَّ انظُر ما تحِبُّ أن يكون فيك تلك السَّاعة، [فخُذ به الآن، وما تكره أن يكون فيك تلك السَّاعة][٢]، فدعه الآن، فلعلَّ تلك السَّاعة قريبة»[٣].

---

(١) رواه الدَّارميُّ في «مسنده» (٦٧٣). (٢) مابين المعقوفين زيادة لا بدَّ منها.

(٣) رواه أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣١٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٤٥).

فهكذا كان يدخل علماء الآخرة على السَّلاطين، وأمَّا علماء الدُّنيا فيدخلون عليهم ليتقرَّبوا إلى قلوبهم فيدلُّونهم على الرُّخَص، ويستنبطون بدقائق الحِيَل طُرُق السَّعة فيما يُوافِق أغراضهم، وإن تكلَّموا بمِثل ما ذَكَرْنا في معرِض الوعظ، لم يكن قصدهم الإصلاح، بل اكتساب الجاهِ والقَبول عندهم.

*** 

مسألةٌ: إذا بعث السُّلطان إليك مالًا لتفرِّقه على الفقراء، فإن كان له مالِك معيَّن فلا يحلُّ أَخْذه، وإن لم يكن[١]، بل كان حُكمه [٦٥/ و] أنَّه يجب التَّصدُّق به على المساكين، فلك أن تأخذ وتتولَّى التَّفرقة ولا تعصي بأَخْذه، وإن امتنع بعض العلماء عنه أيضًا، لكن فيه غوائل:

الأولى: أن يظنَّ السُّلطان بسبب أَخْذك به أنَّ مالَه طيِّب، ولولاه لكنتَ لا تمدُّ إليه اليد.

الثَّانية: أن ينظر إليك غيرُك من العلماء والجهَّال، فيقتدون بك في الأَخْذ، ويستدلُّون به على جواز أَخْذه، ثمَّ لا يفرِّقون.

الثَّالثة: أن يتحرَّك قلبك إلى حُبِّه[٢] بتخصيصه إيَّاك به، فإذا كان كذلك، فلا تقبل؛ فإنَّ ذلك هو السُّمُّ القاتل.

قالت عائشة رضي اللَّه عنها: «جُبِلت النُّفوس على حُبِّ مَن أحسَن إليها»[٣].

---

(١) في الأصل: «يكره»، وهو تصحيف.

(٢) في الأصل: «هبة»! وهو تصحيف.

(٣) رواه الجاحظ في «البيان والتَّبيين» (٢/ ٩٩)، وفيه عليُّ بن مجاهد، وهو متروك، وكذَّبه غير واحد. راجع: «ميزان الاعتدال» (٣/ ١٦٨)، و«تهذيب التَّهذيب» (٣/ ١٩٠). وإن كان معنى الأثر صحيحًا.

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**اللَّهمَّ لا تَجعَل لفاجِرٍ عِندي يَدًا، فَيُحِبَّهُ قَلبِي**»(١)، فظهر أنَّ القلب لا يكاد يمتنع من ذلك. [٦٥/ ظ]

رُوي أنَّ بعض الأمراء أرسل إلى مالك بن دينار بعشرة آلاف، فأخرَجها كلَّها، فأتاه محمَّد بن واسع، وقال: «ما صنعتَ فيما أعطاك هذا المخلوق؟ فقال: سَل أصحابي، فقالوا: أخرَجه كلَّه، فقال: أنشُدك اللَّه، أقلبُك أشدُّ حُبًّا له الآن أم قبل أن أرسَل إليك؟ فقال: لا، بل الآن، فقال: إنَّما كنتُ أخافُ هذا»(٢).

وقد صَدَق؛ فإنَّه إذا أحَبَّه أحَبَّ بقاءه، وكره عَزْله ونكبته ومَوته، وأحَبَّ اتِّساع ولايته وكثرة مالِه، وكلُّ ذلك حُبٌّ لأسباب الظُّلم، وهو مذموم.

وأمَّا المعامَلة معهم؛ ففيها أقوال، والمعامَلة مع قضاتهم وعمَّالهم وخدمهم كمعاملتهم، وقيل: بل أشدُّ، وكذلك القول في المواضع [الَّتي] بناها الظَّلَمة؛ كالقناطر والرِّباطات، والمساجد [٦٦/ و] والسِّقايات»(٣).

❊ ❊ ❊

مسألةٌ: يجوز تقبيل يد العالم والسُّلطان العادل. رُوي عن سفيان، أنَّه قال: «تقبيل يد العالم والسُّلطان سُنَّة»(٤).

---

(١) أخرجه الهرويُّ في «ذمِّ الكلام وأهله» (١٣٤٤) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه، وفيه موسى ابن عُبيدة الرَّبَذيُّ، وهو متروك. راجع: «ميزان الاعتدال» (٤/ ٤٠٥).

وقال العراقيُّ في «المغني» (١/ ٤٥٦) بعد أن ذكر له عدَّة طُرُق: «وأسانيده كلُّها ضعيفة».

(٢) لم نقف عليه.

(٣) إلى هنا انتهى النَّقل من كتاب «إحياء علوم الدِّين».

(٤) رواه ابن المقرئ في «الرُّخصة في تقبيل اليد» (١٠) بلفظ: «تقبيل يد الإمام العادل سُنَّة».

وأمَّا تقبيل يد غيرهما؛ ففيه اختلاف، ولو قبَّل رَجُل الأرض بين يدي أَحَد من أصحاب السُّلطان لا يَكفُر؛ لأنَّه يريد التَّحيَّة، لا العِبادة، وإذا قيل لمُسلم: اسجُد للمَلِك وإلَّا قتلناكَ، فالأفضل ألَّا يسجد؛ لأنه يَكفُر، والأفضل ألَّا يأتي بما هو كُفر، وإن كان في حالة الإكراه، وإن سجد بنِيَّة التَّحيَّة فالأفضل أن يسجد؛ لأنه ليس بكُفر.

* * *

مسألةٌ: رجل يختلف إلى أهل الباطل والشَّرِّ ليدفع ظُلمه وشَرَّه عن نَفْسه، فإن كان هذا الرَّجل مشهورًا ممَّن يُقتدى به= يُكرَه؛ لأنَّه إذا كان يُختلَف إليه يظنُّ النَّاس أنَّه رَضِي بأمْره، وكان ذلك مفسدة للنَّاس، وإن لم [٦٦/ ظ] يكن مشهورًا لا يُقتدى به= لا بأس به إن شاء اللَّه؛ لأنَّه عَرِي عن هذا المعنى.

* * *

مسألةٌ: رجل يدعوه الأمير فيسأله عن أشياء؛ فإن تكلَّم بما يوافِق الحقَّ يَنالُه المكروه؛ لا ينبغي أن يتكلَّم بخِلاف الحقِّ؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: «**مَن تَكَلَّم عند ظالِمٍ بما يُرضِيهِ بغيرِ حَقٍّ، غَيَّرَ اللَّهُ قَلبَ الظَّالِمِ عليه، وسَلَّطَهُ عليه**»[1]، وهذا إذا لم يَخَف القتل، أو تَلَف بعض جسده، أو أَخْذ مالِه، فإن خاف ذلك لا بأس به؛ لأنَّه مُكرَه عليه معنًى.

* * *

(١) لم نقف عليه مسنَدًا، وقد أورده غير واحد من الفقهاء. راجع مثلًا: «المحيط البرهانيّ في الفقه النُّعمانيّ» لابن مازَه (٥/ ٢٨٠)، و«الاختيار لتعليل المختار» للموصليّ (٤/ ١٦٥).

مسألةٌ: السُّؤال عن الأخبار المحدَثة في البلد وغير ذلك كرهه بعضهم مطلَقًا، ورخَّص بعضهم الاستخبار، ولم يرخِّصوا الإخبار، وقيل: لا بأس بذلك؛ لِما فيه من المصالح.

❊ ❊ ❊

اعلَم(١) أنَّ المقصود الأصليَّ ممَّا ذُكر لقاءُ اللَّه في دار الثَّواب، ولا طريق للوصول إلى اللِّقاء إلَّا بالعِلم [٦٧/ و] والعمل، ولا يمكن المواظَبة عليهما إلَّا بسلامة البدَن، ولا تَصفُو سلامة البَدَن إلَّا بالأطعمة والأقوات، والتَّناول منها بقَدْر [الحاجة] على تكرُّر الأوقات.

قال اللَّه تعالى: ﴿كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ [المؤمنون: ٥١]؛ فينبغي أن يكون الطَّعام حلالًا طيِّبًا موافِقًا للسُّنَّة؛ فيغسل يده، قال النَّبيُّ ﷺ: «**الوُضُوءُ قَبلَ الطَّعامِ يَنفِي الفَقرَ، وبَعدَهُ اللَّمَمَ**»(٢)(٣).

وينبغي أيضًا أن يُوضع الطَّعام على السُّفرة الموضوعة على الأرض؛ فهو أقرب إلى فعل رسول اللَّه ﷺ من رَفْعه على المائدة، كان رسول اللَّه ﷺ إذا أُتي بطعام وضعه على الأرض(٤)، وهو أقرب إلى التَّواضع، فإن لم يكن فعلى السُّفرة؛

---

(١) راجع لِما يأتي: «إحياء علوم الدِّين» (كتاب: آداب الأكل) (٢/ ٣) وما بعدها.

(٢) أخرجه القُضاعيُّ في «مسند الشِّهاب» (٣١٠) من حديث عليِّ بن أبي طالب رضي اللَّه عنه. وقال الذَّهبيُّ: «إسناده مظلم». وقال العراقيُّ: «ضعيف». راجع: «ميزان الاعتدال» (٤/ ٣٩٧)، و«المغني عن حمل الأسفار» (١/ ٣٤٧).

(٣) مقابله في الأصل حاشية نصُّها: «واللَّمم أيضًا: طَرَف من الجنون».

(٤) وأخرج البخاريُّ (٦٤٥٠) من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه، قال: «لم يأكل النَّبيُّ ﷺ على خِوانٍ حتَّى مات». والخِوان: مائدة الطَّعام.

فإنَّه يذكِّر السَّفر، ويتذكَّر من السَّفر سَفَر الآخرة، وحاجته [٦٧/ ظ] إلى زاد التَّقوى(١).

وينبغي أن يُحسن الجلسة على السُّفرة في أوَّل جلوسه ويستديمها.

كان رسول اللَّه ﷺ ربَّما جَثَا للأكل على ركبتيه(٢)، وجلس على ظهر قدميه، وربَّما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى(٣)، وكان يقول: «**لا آكُلُ مُتَّكِئًا، أنا عَبدٌ؛ آكُلُ كما يَأكُلُ العَبدُ**»(٤)(٥).

ومن آداب حالة الأكل: أن يقول في أوَّله: بسم [اللَّه]، وأن يقول في آخِره: الحمد للَّه، ولو قال مع كلِّ لُقمة: بسم اللَّه، فهو أحسن؛ حتَّى لا يشغله الشَّرَه عن ذِكر اللَّه، ويقول مع اللُّقمة الأولى: بسم اللَّه الرَّحمن، ومع الثَّالثة: بسم اللَّه الرَّحمن الرَّحيم، ويجهر به ليذكِّر غيره.

---

(١) أورد الغزاليُّ في هذا الموضع تقريرًا وتأصيلًا جيِّدًا من المستحسَن ذِكره، قال رحمه اللَّه: «واعلَم أنَّا وإن قلنا: الأكل على السُّفرة أولى... فلسنا نقول: الأكل على المائدة منهيٌّ عنه نهي كراهة أو تحريم؛ إذ لم يثبت فيه نهيٌ، وما يقال: إنَّه ابتُدع بعد رسول اللَّه ﷺ؛ فليس كلُّ ما أُبدع منهيًّا، بل المنهيُّ بدعة تضادُّ سنَّةً ثابتةً، وترفع أمرًا من الشَّرع مع بقاء علَّته، بل الابتداع قد يجب في بعض الأحوال؛ إذا تغيَّرت الأسباب، وليس في المائدة إلَّا رفع الطَّعام عن الأرض لتيسير الأكل، وأمثال ذلك ممَّا لا كراهة فيه...»، ثمَّ قال: «وأمَّا المائدة فتيسير للأكل، وهو أيضًا مباح، ما لم ينته إلى الكِبر والتَّعاظم». «إحياء علوم الدِّين» (٢/ ٣، ٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٧٣)، وابن ماجه (٣٢٦٣)؛ من حديث عبد اللَّه بن بُسر رضي اللَّه عنه.

(٣) عزاه العراقيُّ في «المغني» (٣/ ٣٤٨) إلى أبي الحسن بن المقرئ في «الشَّمائل» من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه، قال: «وإسناده ضعيف».

(٤) أخرجه البخاريُّ (٥٣٩٨) من حديث أبي جُحيفة رضي اللَّه عنه بالشَّطر الأوَّل منه. وقد أخرجه بتمامه الحارثيُّ في «مسند أبي حنيفة» (٤٨٥) بنحوه.

(٥) مقابله في الأصل حاشية نصُّها: «ومن الآداب عند الأكل أيضًا: ألَّا يتكلَّم بما يذكر المستقذَرات».

**ومن الآداب عند الأكل أيضًا:** ألَّا ينظر إلى أصحابه، ولا يراقب أكلهم؛ فيستَحيُون، بل يغضُّ بصره عنهم ويشتغل بنَفْسه، وأن يأكل بيمينه، وألَّا يذمَّ ما كره، كان النَّبيُّ ﷺ لا يَعِيب مأكولًا؛ كان إذا أعجَبَه أكَلَه، وإلَّا ترَكَه(١).

وأن يأكل ممَّا يليه، إلَّا الفاكهة؛ فإنَّ له أن يُجِيل يده، قال رسول اللَّه ﷺ: «**كُل ممَّا يَلِيكَ**»(٢)، ثمَّ كان يَدُور على الفاكهة، فقيل له في ذلك، فقال: «**ليس هو نَوعًا واحِدًا**(٣)»(٤).

وألَّا يقطعه بالسِّكِّين، ولا يقطع [٦٨/ و] اللَّحم أيضًا؛ لوُرود النَّهي عنه(٥)، وألَّا يُوضع على الخبز قَصعة(٦) وغيرها، إلَّا ما يأكل به، قال ﷺ: «**أكرِمُوا الخُبزَ؛**

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٣٥٦٣)، ومسلم (٢٠٦٤)؛ من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢)؛ من حديث عمر بن أبي سلمة رضي اللَّه عنه.

(٣) في الأصل: «نوع واحد».

(٤) أخرجه التِّرمذيُّ (١٨٤٨)، وابن ماجه (٣٢٧٤)؛ من حديث عِكراش بن ذؤيب رضي اللَّه عنه، قال: أُتي النَّبيُّ ﷺ بجَفنة كثيرة الثَّريد والوَدَك، فأقبَلْنا نأكُل منها، فخَبَطتْ يَدِي في نواحِيها، فقال: «**يا عِكراشُ، كُلْ من مَوضِعٍ واحِدٍ؛ فإنَّه طَعَامٌ واحِدٌ**»، ثمَّ أُتينا بطَبَق فيه ألوان من الرُّطَب، فجالَتْ يَدُ رسول اللَّه ﷺ في الطَّبَق، وقال: «**يا عِكراشُ كُل من حيث شِئتَ؛ فإنَّه غيرُ لونٍ واحِدٍ**». وقال التِّرمذيُّ: «حديث غريب». وهذا لفظ ابن ماجه.

(٥) أخرجه أبو داود (٣٧٧٨) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها، بلفظ: «**لا تَقطَعُوا اللَّحمَ بالسِّكِّينِ؛ فإنَّه من صَنِيعِ الأعاجِمِ، وانهَسُوهُ؛ فإنَّه أَهْنأُ وأَمْرَأُ**»، وقال: «وليس هو بالقويِّ». والحديث -مع الاتِّفاق على ضعفه- ثبت ما يعارضه؛ فقد روى عمرو بن أميَّة الضَّمْريُّ رضي اللَّه عنه: «أنَّه رأى رسول اللَّه ﷺ يَحتَزُّ من كَتِف شاةٍ، فدُعِي إلى الصَّلاة فألقى السِّكِّينَ، فصلَّى ولم يتوضَّأ». أخرجه البخاريُّ (٢٠٨)، ومسلم (٣٥٥).

(٦) في الأصل: «قطعة». والقَصعة: إناء كبير يؤكَل فيه.

فإنَّ اللَّهَ أنزلَهُ مِن بَركاتِ السَّماءِ»[١].

ثمَّ إنَّ لتقديم الطَّعام إلى الإخوان فضلًا كثيرًا[٢]؛ قال جعفر بن محمَّد رضي اللَّه عنهما: «إذا قعدتم مع الإخوان على المائدة فأَطِيلُوا الجلوس؛ فإنَّها ساعة لا تُحسَب عليكم من أعماركم»[٣].

وقال الحسن رحمه اللَّه: «كلُّ نفقة يُنفقها الرَّجل على نَفْسه وأبويه فمن دونهم يحاسَب عليها العبد، إلَّا نفقة الرَّجل على إخوانه في الطَّعام؛ فإنَّ اللَّه يستحي أن يسأله عن ذلك»[٤].

هذا مع ما ورد من الأخبار في الإطعام[٥]:

قال ﷺ: «لا تَزالُ الملائكةُ تُصَلِّي على أَحَدِكُم ما دامَت مائدَتُهُ مَوضُوعةً بين يديهِ حتَّى تُرفَعَ»[٦].

---

(١) أخرجه العُقيليُّ في «الضُّعفاء الكبير» (٣٤٣٨)، والطَّبرانيُّ في «مسند الشَّاميِّين» (١٥)، وعنه أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٤٦)؛ من حديث عبد اللَّه بن أمِّ حرام الأنصاريِّ رضي اللَّه عنه.
وقد ذكر ابن معين أنَّه حديث باطل، وقال العراقيُّ: «إسناده ضعيف جدًّا، وذكره ابن الجوزيِّ في «الموضوعات»». وله شواهد استوفاها السَّخاويُّ، لكنَّها بين الضعيف جدًّا والموضوع.
وراجع: «موضوعات ابن الجوزيِّ» (٣/ ١٠٥، ١٠٦)، و«المغني عن حمل الأسفار» (١/ ٣٤٩)، و«الأجوبة المرضيَّة» (٢/ ٤٨٩) وما بعدها، و«تنزيه الشَّريعة المرفوعة» (٢/ ٤٤٥، ٤٤٦).

(٢) في الأصل: «فضل كثير». (٣) أورده أبو طالب المكِّيُّ في «قوت القلوب» (٢/ ٣٠٦).

(٤) المصدر السَّابق، و«سير السَّلف الصَّالحين» لأبي القاسم الأصبهانيِّ (ص٧٣٣).
وقد رواه أبو عبد الرَّحمن السُّلَميُّ في «الفُتُوَّة» (ص٥٩) بسنده إلى محمَّد بن عبد اللَّه الكتَّانيِّ.

(٥) في الأصل: «الطَّعام».

(٦) أخرجه ابن راهويه في «مسنده» (١٠٢٥)، والطَّبرانيُّ في «المعجم الأوسط» (١٠٣٥)؛ من حديث عائشة رضي اللَّه عنها، دون قوله: «بين يديهِ حتَّى تُرفَعَ». =

[(١)] ورُوي عن بعض علماء خراسان: أنَّه كان يقدِّم إلى إخوانه طعامًا كثيرًا[(٢)]، لا يقدرون على أكل جميعه، وكان يقول: بلغنا عن رسول اللَّه ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ الإخوانَ إذا رَفَعُوا أيدِيَهُم عن الطَّعامِ** [٦٨/ ظ] **لم يُحاسَب مَن أكَلَ**[(٣)] **مِن فَضلِ ذلك الطَّعامِ**»[(٤)]، فأنا أحِبُّ أن أستكثر ممَّا أقدِّم إليكم؛ لنأكل فضل ذلك[(٥)].

وفي الخبر: «**لا يُحاسَبُ العَبدُ على ما يَأكُلُهُ مع إخوانِهِ**»[(٦)].

وكان بعضهم يُكثر الأكل مع الجماعة لذلك، ويقلِّل إذا أكل وحده، وفي الخبر: «**ثَلاثٌ لا يُحاسَبُ العَبدُ عليها مع الأكلِ: الإخوانُ، والسُّحورُ، وما أفطَرَ عليه**»[(٧)].

وقال عليٌّ رضي اللَّه عنه: «لَأَن أجمع إخواني على صاع من طعام أحَبُّ إليَّ من أن أُعتق رَقَبة»[(٨)].

---

= والحديث فيه مَندَل بن عليٍّ العَنَزيُّ، وهو ضعيف. راجع: «ميزان الاعتدال» (٤/ ٣٨٠).
لذا قال العراقيُّ في «المغني عن حمل الأسفار» (١/ ٣٥٤): «سنده ضعيف».

(١) مقابله في الأصل حاشية نصُّها: «ومن الآداب عند الأكل: ألَّا يفعل ما يستقذره غيره؛ فلا ينفض يده في القَصعة».
وحاشية أخرى نصُّها: «ثمَّ إنَّ من الآداب عند الأكل: ألَّا يسكتوا على الطَّعام؛ فإنَّ ذلك من سيرة العجم، ولكن يتكلَّمون بالمعروف».

(٢) في الأصل: «طعام كثير». (٣) في الأصل: «الأكل».

(٤) قال العراقيُّ في «المغني عن حمل الأسفار» (١/ ٣٥٤): «لم أقف له على أصل».

(٥) أورده أبو طالب المكِّيُّ في «قوت القلوب» (٢/ ٣٠٦).

(٦) المصدر السَّابق، وفيه: «وفي خبر عن بعض السَّلف...».

(٧) المصدر السَّابق.

(٨) رواه البخاريُّ في «الأدب المفرد» (٥٦٦)، وهنَّاد في «الزُّهد» (١/ ٣٤٥)، وابن أبي الدُّنيا في «الإخوان» (١٩١).

وكان ابن عمر يقول: «مِن كَرَم المرء [طِيب] زاده في سفره، وبَذْله لأصحابه»(١).

وكان الصَّحابة يقولون: «الاجتماع على الطَّعام من مكارم الأخلاق»(٢).

قال النَّبيُّ ﷺ: «إذا جاءَكُمُ الزَّائرُ فأكرِمُوهُ»(٣).

قال عليه السلام: «إنَّ في الجنَّةِ غُرَفًا يُرى باطِنُها من ظاهِرِها وظاهِرُها مِن باطِنِها، هي لِمَن ألانَ الكلامَ، وأطعَمَ الطَّعامَ، وصلَّى باللَّيلِ والنَّاسُ نِيامٌ»(٤).

وقال ﷺ: «خيرُكُم مَن أطعَمَ الطَّعامَ»(٥).

قال عليه الصلاة والسلام: «مَن أطعَمَ أخاهُ حتَّى يُشبِعَهُ، وأسقاهُ حتَّى يَروِيَهُ؛ أَبعَدَهُ اللَّهُ من النَّار بسَبعةِ خَنادِقَ، ما بين كُلِّ خَندَقَينِ مَسِيرةُ خَمسِ مئةِ عامٍ»(٦).

---

(١) أورده أبو طالب المكِّيُّ في «قوت القلوب» (٢/ ١٩١، ٢٩٩)، وابن عبد البرِّ في «التمهيد» (٢٣/ ١٧٨)، فقال: «رُوِّينا عن ابن عمر من وجوه أنَّه قال...».

(٢) أورده أبو طالب المكِّيُّ في «قوت القلوب» (٢/ ٣٠٤).

(٣) أخرجه الخرائطيُّ في «مكارم الأخلاق» (٣٣٠)، وأبو الشَّيخ في «أمثال الحديث» (١٤٨)، والقُضاعيُّ في «مسند الشِّهاب» (٧٦٣)؛ من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه.
وفيه أبو المقدام هشام بن زياد البصريُّ، وهو متروك. راجع: «ميزان الاعتدال» (٥/ ٥٥).
لذا قال أبو حاتم: «هذا حديث منكر». «علل ابن أبي حاتم» (٦/ ٣٠٩).

(٤) أخرجه مَعمَر في «جامعه» (٢٠٨٨٣)، ومن طريقه أحمد (٢٢٩٠٥)، وابن خزيمة (٢١٣٧)، وابن حبَّان (٥٠٩)؛ من حديث أبي مالك الأشعريِّ رضي اللَّه عنه.

(٥) أخرجه أحمد (٢٣٩٢٩)، والحاكم (٤/ ٢٧٨)، والبيهقيُّ في «شعب الإيمان» (٨٥٦٥)، وقال الحاكم: «حديث صحيح الإسناد».

(٦) أخرجه الدُّولابيُّ في «الكنى والأسماء» (٦٣٧)، والطَّبرانيُّ في «المعجم الكبير» (١٣/ ٥٤ ح١٣٥)، وفي «الأوسط» (٦٥١٨)، والحاكم (٤/ ١٢٩)؛ من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما، وقال الحاكم: «حديث صحيح الإسناد». =

وقال رسول اللَّه [٦٩/ و] ﷺ: «اعبُدُوا الرَّحمَنَ، وأَطعِمُوا الطَّعامَ، وأَفشُوا السَّلامَ؛ تَدخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلامٍ»(١).

وقال النَّبيُّ ﷺ: «مَن كان يُؤمِنُ بِاللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَليُكرِم ضَيفَهُ، ومَن كان يُؤمِنُ بِاللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَليَقُل خَيرًا أو لِيَصمُت»(٢).

❊ ❊ ❊

ثـمَّ إجابة الدَّعوة سُنَّة، قال رسول اللَّه ﷺ: «لو دُعِيتُ إلى كُراعٍ لَأَجبتُ، ولو أُهدِيَ إِلَيَّ كُراعٌ لَقَبِلتُ»(٣).

لكنَّ الإجابة لها آداب:

منها: ألَّا يميِّز الغنيَّ بالإجابة عن الفقير؛ ولذلك قال بعض النَّاس: «انتظار المَرَقة ذُلٌّ»(٤).

---

= والحديث فيه رجاء بن أبي عطاء المصريُّ، وقد اتَّهمه الحاكم وابن حبَّان برواية الموضوعات.
راجع: «لسان الميزان» (٣/ ٤٦٦).
ومن عجب تصحيح الحاكم لحديثه، مع معرفته بحاله، واتِّهامه إيَّاه برواية الموضوعات!
والحديث قال ابن حبَّان في «المجروحين» (١/ ٣٣٨): «هذا شيء ليس من حديث رسول اللَّه ﷺ»، وأورده ابن الجوزيِّ في «الموضوعات» (١٠٨٤)، والسُّيوطيُّ في «اللآلىء المصنوعة» (٢/ ٧٤)، وابن عرَّاق في «تنزيه الشَّريعة المرفوعة» (٢/ ١٣٧). وقال الذَّهبيُّ في «الميزان» (٢/ ٤٤): «حديث غريب منكر».

(١) أخرجه التِّرمذيُّ (١٨٥٥) من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢) أخرجه البخاريُّ (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧)؛ من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه.

(٣) أخرجه البخاريُّ (٢٥٦٨) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه.

(٤) رواه ابن المقرئ في «معجمه» (٨٢٤) عن أبي نُعيم الفضل بن دُكين.

كما قال الآخَر: «إذا دخلتْ يدي في قَصعة غيري، فقد ذَلَّت له نَفْسي»(١).

وقال بعض الصُّوفيَّة: «لا تُجب إلَّا مَن يرى(٢) أنَّك أكلتَ رِزقك، وأنَّه سلَّم(٣) إليك وديعة كانت عنده، ويرى لك الفضل عليه في قَبول تلك الوديعة منه»(٤).

وقال سَرِيٌّ السَّقَطيُّ: «آهٍ على لُقمة ليس للَّه فيها تَبِعة، ولا لمخلوق فيها مِنَّة»(٥). [٦٩/ ظ]

ومنها: أنَّه لا ينبغي أن يمتنع من الإجابة لبُعد المسافة، كما لا يمتنع لفقر الدَّاعي وعدم جاهه، بل كلُّ مسافة يمكن احتمالها في العادة لا ينبغي أن يمتنع.

قيل ذلك في بعض الكتب(٦): «سِر مِيلًا عُد مريضًا، سِر مِيلَين شَيِّع جنازة، سِر ثلاثة أميال أَجِب إلى دعوة(٧)، سِر أربعة أميال زُر أخًا في اللَّه»(٨).

وقال رسول اللَّه ﷺ: «لَو دُعِيتُ إلى كُرَاعٍ [الغَمِيمِ](٩) لأَجَبتُ»، موضع

---

(١) أورده أبو طالب المكِّيُّ في «قوت القلوب» (٢/ ٣١١).

(٢) في الأصل: «ترى». (٣) في الأصل: «سلَّمه».

(٤) المصدر السَّابق (٢/ ٣١٢، ٣٣٥).

(٥) رواه أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١١٦).

(٦) بعدها في الأصل: «الأليفة»! ولا شكَّ في كونه تصحيفًا، ولعلَّ الصَّواب: «المنزَّلة»؛ فالَّذي في «قوت القلوب»: «نُقل أنَّ في التَّوراة أو في بعض الكتب...»، وبنحوه في «الإحياء».

(٧) كذا، وفي مصادر التَّخريج: «أجب دعوة».

(٨) أورده أبو طالب المكِّيُّ في «قوت القلوب» (٢/ ٣١٣، ٣٤٥).

(٩) سقطت من الأصل، وأثبتناها من «الإحياء» (٢/ ١٤). وقال العراقيُّ في «المغني» (١/ ٣٦١): «ذكر الغميمَ فيه ليُعرف، والمعروف: «لو دُعِيتُ إلى كُرَاعٍ»... ويردُّ هذه الزِّيادة ما رواه التِّرمذيُّ (١٣٣٨) من حديث أنس: «لو أُهدِيَ إليَّ كُرَاعٌ لَقَبِلتُ»».

الكَديد[١] على أميال من المدينة، أفطر رسول اللَّه ﷺ في رمضان لمَّا بلغه، وقصر عنده في سفره.

قال الغزاليُّ: «وإنَّما قدَّم إجابة الدَّعوة والزِّيارة لأنَّ فيه قضاء حقِّ الحيِّ؛ فهو أولى من الميِّت»[٢].

ومنها: ألَّا يمتنع لكونه صائمًا، فإن كان إفطاره يَسُرُّ أخاه فليُفطر، وإلَّا فليعتذر.

ومنها: ألَّا يقصد بالإجابة [٧٠/ و] قضاء شهوة البطن؛ فيكون عاملًا في أبواب الدُّنيا، بل يُحسن نِيَّته ليصير بالإجابة عاملًا للآخرة؛ وذلك بأن ينوي الاقتداء في ذلك بسُنَّة رسول اللَّه ﷺ، والاحتراس عن معصية اللَّه تعالى بعدم الإجابة، وإكرام أخيه المؤمن، وإدخال السُّرور في قلبه، وزيارته؛ ليكونا من المتحابِّين في اللَّه.

قال النَّبيُّ ﷺ: **«مَن أكرَمَ أخاهُ المُؤمِنَ فإنَّما أكرَمَ اللَّهَ، ومَن سَرَّ مُؤمِنًا فقد سَرَّ اللَّهَ»**[٣].

---

(١) كذا، والكَديد غير الغَميم؛ فالأوَّل موضع على اثنين وأربعين مِيلًا من مكَّة، أمَّا الثَّاني فعلى أميال من المدينة؛ كما ذكر المصنِّف. وراجع: «معجم البلدان» (٤/ ٢١٤، ٤٤٢).

(٢) «إحياء علوم الدِّين» (٢/ ١٤).

(٣) أخرجه العُقيليُّ في «الضُّعفاء» (٥١٧١)، وابن حبَّان في «المجروحين» (٢/ ٢٢٠)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٥٦)؛ من حديث أبي بكر الصِّدِّيق رضي اللَّه عنه، وقال العُقيليُّ: «حديث باطل، لا أصل له».

وقال ابن الجوزيِّ: «هذا حديث ليس بصحيح»، وقال الذَّهبيُّ: «هذا كذب بيِّن»، وقال العراقي: «إسناده ضعيف». «العلل المتناهية» (٢/ ٢٢)، و«ميزان الاعتدال» (٢/ ٢٢)، و«المغني عن حمل الأسفار» (١/ ٣٦٢).

قلنا: آفتُه محمَّد بن إسحاق العكَّاشيُّ، وهو كذَّاب. راجع: «ميزان الاعتدال» (٤/ ٥٢، ٥٣).

وكان بعض السَّلف يقول: «إنَّما أُحِبُّ أن تكون لي نِيَّة في كلِّ عمل، حتَّى في الطَّعام والشَّراب».

وفي مثل هذا قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ، وإنَّما لِكُلِّ امرِئٍ ما نَوَى**»[1]؛ فالنِّيَّة تؤثِّر في المباحات والطَّاعات، وأمَّا المنهيَّات فلا تؤثِّر فيها النِّيَّة.

ومنها: [٧٠/ ظ] أن يمتنع من الإجابة إذا كان الطَّعام طعام شبهة، أو كان الموضع موضع منكَر، أو موضعًا يظهر ويحدث فيه المنكَر، كما إذا كان الدَّاعي ظالمًا، أو مبتدِعًا، أو فاسِقًا، أو شرِّيرًا، أو متكلِّفًا طَلَبًا للمباهاة والفخر.

* * *

**ومن إكرام الضَّيف: تعجيل الطَّعام.**

قال حاتم الأصَمُّ: «العَجَلة من الشَّيطان إلَّا في خمسة؛ فإنَّها من سُنَّة رسول اللَّه ﷺ: إطعام الضَّيف، وتعجيل الخروج بالميِّت، وتزويج البِكر، وقضاء الدَّين، والتَّوبة من الذَّنب»[2].

ويُستحَبُّ التَّعجيل في الوليمة؛ فقيل: الوليمة في أوَّل يوم سُنَّة، وفي الثَّاني معروف، وفي الثَّالث رياء.

ورُوي عن النَّبيِّ ﷺ: «**الضِّيافةُ ثلاثةُ أيَّامٍ، فما بعد ذلك صَدَقةٌ**»[3].

---

(١) أخرجه البخاريُّ (١)، ومسلم (١٩٠٧)؛ من حديث عمر بن الخطَّاب رضي اللَّه عنه.

(٢) رواه السُّلَميُّ في «طبقات الصُّوفيَّة» (ص٨٧)، وعنه أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٧٨).

(٣) أخرجه البخاريُّ (٦٠١٩)، ومسلم (٤٨)؛ من حديث أبي شُريح العدويِّ رضي اللَّه عنه.

قال الثَّوريُّ: «إذا زارَكَ أخوك فلا تَقُل: تأكل؟ أو: أقدِّم إليك؟ ولكن قَدِّم؛ فإنْ أكل، وإلَّا فارفَع»(١). [٧١/ و]

وقال بعض الصُّوفيَّة: «إذا دخل عليكم الفقراء فقَدِّموا إليهم طعامًا، وإذا دخل الفقهاء فسَلُوهم عن مسألة، وإذا دخل القُرَّاء فدُلُّوهم على المحراب».

كما قال البعض الآخَر(٢): «الأكل ثلاثة أنواع: مع الفقراء بالإيثار، ومع الإخوان بالانبساط، ومع أبناء الدُّنيا بالأدب».

وكان عبد اللَّه بن المبارَك يقدِّم فاخر الرُّطب إلى إخوانه، ويقول: «من أكل أكثر أعطيتُه بكلِّ نَواة درهمًا»، وكان يَعُدُّ النَّوى ويُعطي كلَّ من له فضل نوىً بعدده درهمًا، وذلك لكسر الحياء، ولزيادة النَّشاط في الانبساط(٣).

قيل: اجتماع الإخوان على الكفاية مع الأُنس والأُلفة ليس هو من الدُّنيا.

قال أبو سليمان الدَّارانيُّ رضي اللَّه عنه: «أكْل الطَّيِّبات يُورِث الرِّضا عن اللَّه»(٤).

وتتمُّ هذه الطَّيِّبات بشُرب [٧١/ ظ] الماء البارد، وبصَبِّ الماء الفاتِر على اليد عند الغَسل.

ويستحَبُّ أنَّ ألوانًا في الضِّيافة بقَدْر الوُسع والطَّاقة.

---

(١) أورده أبو طالب المكِّيُّ في «قوت القلوب» (٢/ ٣١٠).

(٢) هو الإمام أحمد، كما رواه عنه ابن الجوزيِّ في «المناقب» (ص٢٧٦) بلفظ: «يؤكَل الطَّعام بثلاث: مع الإخوان بالسُّرور، ومع الفقراء بالإيثار، ومع أبناء الدُّنيا بالمروءة».

(٣) أورده أبو طالب المكِّيُّ في «قوت القلوب» (٢/ ٣١٢).

(٤) المصدر السَّابق (٢/ ٣٠٢).

قيل: إنَّ الملائكة تحضر على المائدة إذا كان [عليها] بَقْل[(١)]؛ فذلك أيضًا مستحَبٌّ؛ ولِما فيه من التَّزيُّن بالخُضرة.

وفي الخبر: «إنَّ المائدة الَّتي أُنزلت على بني إسرائيل كان عليها كلُّ البقول إلَّا الكُرَّاث، وكان عليها سمكة عند رأسها خَلٌّ، وعند ذَنَبها مِلح، وسبعة أرغفة، على [كلِّ] رغيف منها زيتون وحَبُّ رُمَّان»[(٢)].

وكان البعض يكتب على ورقة بما يستحضره من الألوان، ويعرض على الضِّيفان.

وكان الشَّافعيُّ نازلًا عند الزَّعفرانيِّ ببغداد، وكان الزَّعفرانيُّ يكتب كلَّ يوم ورقة بما يطبخ من الألوان، ويسلِّمها إلى الجارية، فأخذ الشَّافعيُّ الورقة في بعض الأيَّام، وألحَق بها لونًا آخر بخطِّه، فلمَّا رأى الزَّعفرانيُّ ذلك اللَّون أنكَر، وقال: ما أمرتُ بهذا، فعَرَضَتْ [عليه] خطَّ الشَّافعيِّ ملحَقًا بالورقة، فأعتَق الجارية؛ سُرورًا بذلك[(٣)].

وقال أبو سليمان الدَّارانيُّ: [٧٢/ و] «لو أنَّ الدُّنيا كلَّها لي، فجعلتُها في فَمِ أخٍ من إخواني؛ لاستقلَلْتُها له»[(٤)].

وقال الشَّافعيُّ: «الأكل أربعة أنحاء: الأكل بإصبع من المَقتِ، وبإصبعين

---

(١) أورده أبو طالب المكِّيُّ في «قوت القلوب» (٢/ ٣٠١)، وهو قول غريب جدًّا.

(٢) المصدر السَّابق.

(٣) لم نقف عليه.

(٤) رواه ابن أبي الدُّنيا في «الإخوان» (٢١٧) بلفظ: «لو أنَّ الدُّنيا كلَّها لي في لقمة، ثمَّ جاءني أخ؛ لأحببتُ أن أضعها في فِيه».

من الكِبر، وبثلاثة[1] من السُّنَّة، وبأربع وبخمس من الشَّرَه.

وقال: النَّوم أربعة أنحاء: فنَوم على القَفا، وهو نَوم الأنبياء - عليهم الصَّلاة والسَّلام - يتفكَّرون في خَلْق السَّماوات والأرض، ونَوم على اليمين، وهو نَوم العلماء والعبَّاد، ونَوم على الشِّمال، وهو نَوم الملوك ليهضم طعامهم، ونَوم على الوجه، وهو نَوم الشَّياطين[2].

وأربع تزيد في العَقل: تَرْك الفُضول من الكلام، والسِّواك، ومجالَسة الصُّلحاء، ومجالَسة العلماء»[3].

ورُوي أنَّ النَّبيَّ ﷺ دخل بالإذن لبيت سعد بن عُبادة، فقرَّب إليه زَبيبًا، فأكل نبيُّ اللَّه ﷺ، فلمَّا فرغ قال: [٧٢/ ظ] «أَكَلَ طَعامَكُمُ الأبرارُ، وصَلَّتْ عليكُمُ المَلائكةُ، وأفطَرَ عندَكُمُ الصَّائمُونَ، وذَكَرَكُمُ [اللَّهُ] فِيمَنْ عِندَهُ»[4].

ويقرأ بعد الطَّعام: «قُل هو اللَّه أحد» و«لِإيلاف قريش».

ولا يقوم من المائدة حتَّى تُرفع أوَّلًا، [و]يدعو عَقِيب الطَّعام فيقول: الحمد للَّه الَّذي أطعَمَنا وسقانا وكفانا، اللَّهمَّ أطعَمتَنا طيِّبًا، فاستَعمِلنا صالحًا.

فإن أكل طعامًا فيه شُبهة فليقل: الحمد للَّه على كلِّ حال، اللَّهمَّ لا تجعله قوَّة لنا على معصيتك، وليُكثر من الاستغفار على ما أكل من شُبهة؛ ليُطفئ به حَرَّ النَّار

---

(١) في الأصل: «وبثلاث».

(٢) في الأصل: «السَّلاطين»، وهو تصحيف.

(٣) لم نقف عليه.

(٤) أخرجه أبو داود (٣٨٥٤) من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه، وأخرجه ابن ماجه (١٧٤٧) من حديث عبد اللَّه بن الزُّبير رضي اللَّه عنه.

الَّتي أشار إليها النَّبيُّ ﷺ بقوله: «كلُّ لَحمٍ نبتَ مِن حَرامٍ، فالنَّارُ أولَى به»(١)، وليس من يأكل ويبكي كمن يأكل ويلهو.

فإذا أكل طعام الغير فليَدعُ(٢) له، وليقُل: «اللَّهمَّ بارِك له فيما رزقتَه، ويَسِّر له أن يفعل فيه خيرًا، وقنِّعه بما أعطيتَه، واجعلنا وإيَّاه من الشَّاكرين». [٧٣/ و]

فإنَّ الدُّعاء له مُجازاة له على إحسانه، لا سيَّما أنَّ الدُّعاء هو خير وعبادة؛ قوله(٣) تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال رسول اللَّه ﷺ: «إنَّ الدُّعاءَ هو العِبادةُ»(٤).

* * *

وعن معاذ، قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «مَن كان آخِرُ كلامِهِ لا إلهَ إلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الجَنَّةَ»(٥).

اللَّهمَّ اجعل آخِر كلامنا كلمة التَّوحيد والشَّهادة، واجعل مأوانا دار الخير والسَّعادة، وارزقنا بمَنِّك وكرمك النَّظر إلى وجهك الكريم، إنَّك أنت الجوَّاد الرَّحيم، وصلِّ على رسولك محمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وسلام على المرسَلين، والحمد للَّه ربِّ العالمين.

---

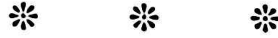
(١) أخرجه التِّرمذيُّ (٦١٤) من حديث كعب بن عُجرة رضي اللَّه عنه، وقال: «حديث حسن غريب».

(٢) في الأصل: «فليدعوا». (٣) كذا.

(٤) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والتِّرمذيُّ (٦١٤)، وابن ماجه (٣٨٢٨)؛ من حديث النُّعمان بن بشير رضي اللَّه عنه، وقال التِّرمذيُّ: «حديث حسن صحيح».

(٥) أخرجه أبو داود (٣١١٦) بهذا اللَّفظ. وأصله في «الصَّحيحين» بلفظ: «ما مِن عَبدٍ يَشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ، وأنَّ محمَّدًا عبدُهُ ورَسُولُهُ، صِدقًا من قَلبِهِ، إلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ على النَّارِ». «صحيح البخاريِّ» (١٢٨) -واللَّفظ له-، و«صحيح مسلم» (٣٢).

وقال مؤلِّفه عَفَا اللَّهُ عَنهُ: وكان الفراغ منه في الخامس
من جُمادى الآخر سنة إحدى وستِّين وثمان مئة
من الهجريَّة، غفر اللّه لمؤلِّفه ولكاتبه
ولجميع المسلمين، آمين
آمين آمين



# فهرس المحتويات التَّفصيليُّ

# فهرس المحتويات التَّفصيليُّ

المحتوى | الصَّفحة

المحتوى الصَّفحة

المحتوى الصَّفحة

المحتوى الصَّفحة

**المحتوى** **الصَّفحة**